اليهود بداية ونهاية

فى

القرآن الكريم والسنة النبوية

تاليف
دكتور/ رياض عبد الله ليلا

الناشر
دار مجد الإسلام

ليلا، رياض عبد الله ليلا
اليهود بداية ونهاية في القرآن الكريم والسنة النبوية والكتب السماوية
تأليف: رياض عبد الله ليلا.
القاهرة: دار مجد الإسلام، ٢٠٠٩م
٢٨٨ ص؛ ٢٤ سم
١- اليهود في القرآن
أ- العنوان ٢٢٩,٤٢٩٦
رقم الإيداع/ ٣٥١٧ التاريخ: ٢١/ ١/ ٢٠٠٩م

١٣ ش البيطار خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٠١٠٨ - جوال: ٠١٢١٦٣٠٨١٦ - ٠١٠٥٤٤٧٩٦٥
www.magdelislam.com
info@magdelislam.com
asem_sw2007@yahoo.com

اليهود بداية ونهاية
في القرآن الكريم والسنة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٤-٧].

الإهداء

إلى سيدي ونور قلبي رسول الله ﷺ

إلى والدي ووالدتي رحمهما الله تعالى

إلى أخوي دياب وعماد رحمهما الله تعالى وأخي محمد أطال الله بقائه

إلى زوجتي وأولادي خالد وعبد الله وإسلام

إلى ابن عمي صلاح الدين عبد القادر

إلى المهتمين بمستقبل دينهم وامتهم وإلى المسلمين كافة

لهم جميعًا أهدي هذا الجهد المتواضع

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير ولد آدم خلقًا وخُلُقًا وعلى آله الكرماء وأصحابه الفضلاء الغر الميامين أما بعد:

فمن المؤكد والمعلوم أن جميع الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى شعوبهم، لتبليغ رسالة التوحيد قد بذلوا قصارى جهدهم في دعوتهم، من غير أن يتوانوا لحظة عن أداء ما عليهم ولم يكن ليوهن عزيمتهم جحود الجاحدين ونفورهم، فقد كانت أول سمة يتحلى بها أنبياء الله تعالى هي الصبر على سفهاء الناس وغوغائهم، الذين أوكلوا أنفسهم إلى شياطينهم وأطلقوا لهم العنان، يوجهونهم كيف شاؤوا للصد عن ذكر الله ومحاربة رسله، والداعين إلى الله من صلحائهم.

وقد كانت تنتهي حياة أنبيائهم من غير أن يصلوا معهم إلى ما يتمنون من الإيمان والصلاح، إلاَّ في حالات محدودة كدعوة الإسلام بين العرب، الذين امتدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾.

وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم في كثير من آياته إلى مثل هذه الحالات وبشيء من الأختصار.

وكانت الغاية من ذكر تلك القصص، هي حصول العبرة لمن يأتي بعدهم من الأجيال.

ولو تفحصنا هذه القصص لوجدنا أنبياء بني إسرائيل كان لهم الحظ الأوفر من حيث الذكر والتفصيل والعدد، ولو أردنا أن نستلهم العبرة من ذلك فإننا نصل إلى أن موقف اليهود كان من الجحود والنفور ما يندى له جبين العاقلين، كيف لا ونحن نجد أن أنبياءهم قد وصلوا من الكثرة بحيث نرى عدّة أنبياء في زمن واحد كزكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام، وعلى الرغم من تلك الكثرة لا نجد إيمانًا راسخًا يتوافق مع هذا العدد بل على العكس من ذلك، فقد كام مصير أنبيائهم يؤول في أغلب الأحيان إلى القتل، ومن يَسْلَم من قتلهم يتعرض للإيذاء الجسدي والنفسي.

وعندما بعث الله محمدًا ﷺ نبيًّا كانت رسالته للبشر كافة على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأديانهم ولم يكن رسول الله ﷺ أقل حظًا من أسلافه الأنبياء، فقد تعرض لما تعرضوا له من الجحود والإيذاء من مجتمع وثني، لكن صبره وحلمه على ذلك وصل به إلى غايته في إسلامهم، وما كان ذلك إلاَّ بعد إقامة دولة الإسلام في المدينة المنورة التي كانت تضم فئتين من الناس، المسلمون أصحاب الدين الجديد وأهل الكتاب من اليهود، الذين كانوا على موعد مع خروجه.

وقد بذل رسول الله ﷺ جهودًا كبيرة في دعوته فلم يدع وسيلة إلاَّ واتبعها لكنه لم يحصد نتاج ذلك إلاَّ عدد قليل ممن هداه صدقه وعقله إلى ذلك.

أما سبب اختياري هذا الموضوع فيعود إلى كون اليهود، من المواضيع المهمة عند الناس عبر جميع العصور لا سيما في عصرنا، ويمكن القول أنهم ملأوا الدنياوشغلوا الناس، ولكن ليس كشغل المتنبي؟ وربما يقول قائل: إن مثل هذه المواضيع قد تَطرّق إليها الكثيرون، والجواب يتناسب مع حجم المصيبة التي ألّمت بالأمة العربية والإسلامية، وربما الشعوب الأخرى أيضًا، أكبر مما

كتب أو سيكتب عن هؤلاء لذلك فإن مثل هذا الموضوع يجب أن يُطرق من كل زواياه وأجزائه؛ لأنه بالتأكيد سيكون مفيدًا وبشكل كبير إذا علمنا أن لكل يوم في حياة الأمم تجددًا في الأحداث والمواقف، ولكي يتسنى للأجيال الحالية واللاحقة الإحاطة الكاملة بما يدور ويحاك، إذا ما عُلم أن مكائد اليهود لن تنتهي إلاَّ بنهاية العالم وقيام الساعة.

أما منهجي في هذا البحث فكان على الشكل الآتي:

لما كان موضوع بحثي يتناول تاريخ اليهود في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والكتب السماوية، فقد قمت بجمع المعلومات عن هذا الموضوع من القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب التاريخ والحديث والكتاب المقدس ووضعها تحت عناوين يتناول كل فصل موضوعًا معينًا، ولم أرع في منهجي الترتيب الزمني للأحداث المذكورة؛ لأن لكل حدث منها تاريخًا تتبعه أحداث أخرى تحت نفس العنوان، ولتمحيص هذه الأحداث وإلحاقها تحت مسمياتها التي وضعت لها، اتبعت هذا المنهج، فضلًا عن الروايات المذكورة عن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ﵃ التي تحدثت عن المناقشات الدينية وغيرها كما سيأتي وقد يكون فيها من السرد الطويل، ويعود ذلك إلى البيان الذي يلزمنا أن نقدمه للقارىء الكريم ؛ لأن في أحداث السيرة ما يفيد ويغني في بيان الغاية التي وجدت من أجلها، وكذلك إغناء الموضوع بما يستحق فلا يستقيم إلاَّ بتفاصيله، فضلًا عن أنني حاولت أن أذكر منها القليل للإيضاح وخشية الإطالة، وهي في كتب السيرة من الكثرة بحيث تستحق الأهتمام والدراسة.

أما خطة البحث فقد اشتملت على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: اليهود قبل ظهور الإسلام ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تسمية اليهود وأصولهم، وقد تناولت اسماءهم التي

وردت في القرآن الكريم بشيء من التفصيل وأضفت إلى تلك الأسماء ما أورده المؤرخون من اسم العبرانيين، الذي لم يرد ذكره في القرآن والسنة للبيان ولانضواء هذا الأسم تحت الأسماء الأخرى المذكورة، وقد حاولت تفنيد الأدعاءات التي تقول بصفاء العرق اليهودي ورجوعه إلى نبي الله يعقوب عليه السلام.

المبحث الثاني: الديانة اليهودية وأشهر فرقها : وقد ذكرت شيئًا مختصرًا عن تلك الديانة مع ذكر أسفارها وما يحتويه كل سفر وذكر لبعض أعيادهم، وكذلك الفرق اليهودية التي تشكلت بعد وفاة نبي الله موسى عليه السلام، وقد تناولت أيضًا بعض الفرق التي كان تاريخها متأخرًا إلى العهد العباسي ؛ لأنه من المؤكد أن الفرق التي تنبثق عن الديانات إنما تكون بعدها وعلى حقب زمنية سواء أكانت متقاربة أم متباعدة وهي في نهايتها تنضوي تحت هذا المسمى، فضلًا عن ذكر تراجم مختصرة لبعض أنبيائهم الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: تاريخ اليهود وأماكن وجودهم في شبه الجزيرة العربية وأسبابه:

ذكرت في هذا المبحث الأماكن التي نزل فيها اليهود، وقمت بدراسة الأسباب التي دفعتهم إلى تلك الهجرة، وحاولت تحليل كل رواية منها وأبديت رأيي فيها مُدعّمًا بالأدلة من السنة النبوية والروايات الواردة بشأنها.

المبحث الرابع: العلاقات بين العرب واليهود قبل ظهور الإسلام:

حاولت في هذا المبحث أن أتناول العلاقات بين العرب واليهود من حيث التعامل والمهن التي امتهنها اليهود، وحالات التأثير والتأثر بين كلٍ منهما من حيث الديانة والثقافة.

الفصل الثاني: العلاقات بين العرب واليهود بعد ظهور الإسلام في يثرب، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف اليهود من الإسلام ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: النزاع بين العرب واليهود وأثره في انتشار الإسلام في يثرب حيث تناولت في هذا المطلب الأثر الإيجابي في نزاع عرب المدينة مع يهودها والذي كان له الأثر في دخول الأوس والخزرج الإسلام لما كانوا يسمعونه من اليهود من ظهور نبي آخر الزمان.

المطلب الثاني: لقاء النبي ﷺ اليهود في يثرب: والوثيقة المهمة التي وضعها رسول الله لمواطني المدينة من مسلمين وغيرهم، وبشكل تناولت بعض البنود التي تخص اليهود.

المبحث الثاني: ما كان من أمر الإسلام بعد الهجرة من توافق لبعض العبادات:

تناولت في هذا المبحث بعض العبادات التي توافقت مع اليهود، كجهة القبلة وصوم عاشوراء وما شرعه رسول الله ﷺ من مخالفتهم في صومه، وجواز نكاح الكتابيات وذكرتها بالأدلة كما وردت في القرآن والسنة.

المبحث الثالث: كيفية دعوة الرسول ﷺ اليهود ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دعوة الرسول ﷺ اليهود للإسلام، وقد تناولت في هذا المبحث ذكر لبعض الروايات عن كيفية دعوته ﷺ لهم وكيف أن الرسول لم يدع وسيلة ولا مكانًا إلَّا وطرقه في دعوته، مع ذكر أسماء بعض من أسلم منهم، فضلًا عن ذكر التواصل بين يهود المدينة واليمن والعراق وغيرهم، لتوحيد مواقفهم حيال الرسالة المحمدية.

المطلب الثاني: أسئلة اليهود للنبي ﷺ والمناقشات الدينية : حاولت في هذا المبحث أن أسرد بعض الروايات التي تتحدث عن أسئلتهم وبينت الأسباب التي تقف ورائها، والتي كانت الغاية منها، إحراج الرسول ﷺ ومن ثمَّ صد الناس عنه، فضلًا عن الأسئلة التي تسيء إلى الذات الإلهية من طعن وانتقاص.

المبحث الرابع: تعنتهم وحسدهم في عدم الإيمان وتحاكمهم إلى رسول الله ﷺ : وقد تناولت في هذا المبحث تعنت اليهود في رفضهم للإسلام مع علمهم بحقيقة نبيه وصدقه، وبينت السبب الذي يقف وراء ذلك الرفض من الحسد، وخروج النبوة من البيت اليهودي، فضلًا عن الكره الذي يضمرونه للعرب، وعلى الرغم من ذلك كانوا يأتون إليه ليتحاكموا في بعض شأنهم.

المبحث الخامس: معاملة الرسول ﷺ لليهود والاستعانة بهم في الحرب: ذكرت في هذا المبحث بعض الروايات التي تناولت المعاملات المادية ومواقفهم المشينة التي كانت تحدث خلالها، فضلًا عن محاولة الرسول ﷺ الاستعانة بهم في حربه، وبينت أن ذلك لم يكن عجزًا منه ﷺ في تحقيق ما يريد، وإنما كان ذلك ليأتلف قلوبهم.

الفصل الثالث: أساليب اليهود التآمرية في محاربة الإسلام ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: سبب عداء اليهود للإسلام والمسلمين:

تناولت في هذا المبحث الأسباب الكامنة وراء العداء والحقد اليهودي على الإسلام والمسلمين، على الرغم من الحريات الدينية التي أبداها الإسلام اتجاههم، ومعاملتهم كمواطنين في وطن واحد وعدم فرضه الجزية عليهم.

المبحث الثاني: دخولهم الإسلام نفاقًا والتشكيك فيه:

ذكرت في هذا المبحث المحاولات التي قام بها اليهود في محاربة الإسلام، والطعن فيه من خلال إسلامهم ظاهرًا، والكيد له من الداخل، مع ذكر الغاية التي كانت وراء ذلك وتمثلت بالتشكيك في صدق رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث: إثارتهم للأحقاد والفتن ومحاولة قتل النبي ﷺ وصحابته وسحرهم:

تناولت في هذا المبحث ذكر الأحقاد التي يضمرها اليهود للمسلمين، والعمل على افشال التلاحم الأخوي بينهم من حيث اشاعة الفتنة، كما تناولت ذكر المحاولات الهدامة التي اتبعوها لقتل رسول الله ﷺ وفي أحيان أخرى سحره وسمه، وكذلك لبعض صحابته ﷺ.

المبحث الرابع: التحريض على حرب المسلمين: تناولت في هذا المبحث المحاولات التي قام بها اليهود في جمع القبائل العربية وتجيشها لحرب رسول الله ﷺ والتي تمثلت بغزوة الأحزاب.

الفصل الرابع: تصدي الرسول ﷺ للمؤامرات اليهودية: ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: اجلاء المتآمرين من اليهود عن المدينة: تناولت في هذا المبحث الأسباب المباشرة التي كانت وراء إجلاء رسول الله ﷺ اليهود عن المدينة، وكيف أن رسول الله ﷺ قد تعامل مع كل حالة وفق الذنب الذي اقترفته؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

المبحث الثاني: قتل رؤوس التآمر اليهودي وقادته أو الحرب الوقائية: حيث بينت في هذا المبحث الأساليب التي اتبعها رسول الله ﷺ في صد كيد عدوه بما

يستحقه من قتل لتلك الرموز الإعلامية والعدائية للإسلام والمسلمين، وكيف آتت أُكُلَها في منع شرهم.

المبحث الثالث: فرض السيطرة على أماكن البؤر اليهودية في الجزيرة العربية: ذكرت في هذا المبحث خطة الرسول ﷺ في فرض سيطرته على أوكار المؤامرات والقضاء عليها في مهدها وفرض الجزية على القبائل التي تقيم على أطراف الجزيرة العربية كي يأمن شرها.

المبحث الرابع: وصية الرسول ﷺ بإجلاء اليهود عن جزيرة العرب:

تناولت بشيء من التفصيل الأسباب التي دعت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العمل على إجلاء اليهود عن الجزيرة العربية مع ذكر لبعض الأحاديث والروايات التي تناولت هذا الموضوع، والعدالة العمرية في إعطائهم مستحقاتهم كاملة غير منقوصة كتعويض عن أملاكهم، مع ذكر لبعض القوانين التي سنها في مدة إقامتهم داخلها.

الفصل الخامس والأخير: النبوءات الدينية والتاريخية لمستقبل اليهود التاريخي: ويشتمل على ثلاث نبوءات:

النبوءة الأولى: المهدي المنتظر وأهميته في صنع الأحداث التي تسبق النهاية وتشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وصفته تناولت في هذا المطلب الأحاديث النبوية الشريفة التي ذكرته بالاسم والصفة والنسب، وبينت التقائه برسول الله ﷺ.

المطلب الثاني: معاركه : أشرت في هذا المطلب إلى المعارك التي يخوضها والأسباب المرافقة لها التي وقفت وراءها، والدور الكبير الذي لعبه فيها والتي ستكون الفيصل في بلوغ المسلمين مجدهم وانتصاراتهم بعد ذلك، كما بينت

الغدر من حلفاء الأمس من غير المسلمين، غايتهم استئصال أمة الإسلام والزهد فيها وبدينها وقوتها.

النبوءة الثانية: سورة الإسراء والمستقبل اليهودي: تناولت في هذه النبوءة الآيات القرآنية التي بينت نهايتهم بعد جمعهم في بيت المقدس.

النبوءة الثالثة: الدجال وعلو اليهود في الأرض: تناولت في هذه النبوءة ذكر اسمه والصفات المهمة فيه، من حيث ذكر الاسم والصفة والنسب ومكان خروجه وبينت يهوديته والحروب التي يخوضها وأن علو اليهود يكون به.

النبوءة الرابعة: نزول عيسى بن مريم عليه السلام ونهاية اليهود الحتمية، ذكرت فيها صفته والأحداث المرتبطة بنزوله والمهمة التي يقوم بها من القضاء على الدجال واليهود، والأحاديث النبوية التي تناولته، وما يترتب على ذلك من أحداث.

أما بالنسبة للمصادر والمراجع فقد استعنت بالكثير منها للتوفيق بين الروايات لكون بعضها تحتوي تفصيل برواية أو حدث عن بقية المصادر.

ومن هذه المصادر التاريخية على سبيل المثال، مقدمة ابن خلدون، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن خياط، وغيرها من كتب التاريخ، ومن كتب السيرة : كتاب السيرة لابن هشام، والدرر في اختصار المغازي والسير، والسيرة الحلبية وغيرها.

ومن كتب التفسير : تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم، ومن كتب الحديث: البخاري ومسلم ومسند أحمد بن حنبل وسنن أبي داود والترمذي وغيرها، وأيضًا هناك كتاب الفتن لابن حماد والملل والنحل للشهرستاني.

ومن كتب الفقه: كتاب الأم للشافعي، والمغني لابن قدامة المقدسي وغيرها،وبعض المصادر لابن حجر نحو كتاب العجاب في بيان الأسباب، وفي

مجال اللغة : العين للفراهيدي ولسان العرب لابن منظور، وبعض الكتب التي تناولت علوم القرآن.

وفي النهاية لا بد أن أُنوّه إلى أن هذا الكتاب هو رسالتي للدكتوراة تقدمت بها إلى معهد التاريخ العربي للتراث الفكري والعلمي العربي الموسوم: (تاريخ بني إسرائيل كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - دراسة تاريخية) وكان الأصح أن يكون (اليهود بداية ونهاية كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية والكتب السماوية)؛ لأن طبيعة البحث تناولت اليهود منذ بدايتهم وحتى نهايتهم كما ورد في العنوان الآخير وهذا العنون هو أول ما تقدمت به إلى اللجنة العلمية لإقراره لكنه رُفض بعد سقوط بغداد وخشية تلك اللجنة من تبعات ليست في حسبانهم، وقد أقرني العديد من الأساتذة الكبار على تغيير العنوان في حال طباعته ليستقيم بمضمونه ومحتواه.

كما أنني أدين بالشكر للأساتذة الذين ناقشوها وقيَّموها علميًّا حتى خرجت بما هي عليه الآن وهم كالآتي:

أ. د. محيي هلال السرحان رئيسًا

أ. د. عدنان علي الفراجي عضوًا ومشرفًا

أ. د. عبد الستار حامد الدباغ عضوًا

أ. د. شاكر محمود عبد المنعم عضوًا

أ. د. محمد حسين الزبيدي عضوًا

وأخيرًا أسأل الله تعالى أن يتقبل مني عملي هذا ويجعله في صحيفتي يوم القيامة، وأن يكون من العلوم التي يُنتفع بها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول: اليهود قبل ظهور الإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: تسمية اليهود وأصولهم

المبحث الثاني: الديانة اليهودية وأشهر فرقها

المبحث الثالث: تاريخ اليهود وأماكن وجودهم في شبه الجزيرة العربية وأسبابه

المبحث الرابع: العلاقات بين العرب واليهود قبل الإسلام

المبحث الأول تسمية اليهود وأصولهم

اشتهر بنو إسرائيل بأسماء عديدة، وقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم باسم بني إسرائيل، وقوم موسى، واليهود، والذين هادوا، وأهل الكتاب، وأضاف المؤرخون اسم العبرانيين لهذه الأسماء، وجميع هذه الأسماء تعود إلى أصل واحد وهم قوم موسى وسوف استعرض كل اسم بالتفصيل:

١- **بنو إسرائيل**(١): مما لاشك فيه أن اسم بني إسرائيل، قد ارتبط باسم نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وقد لُقِّب يعقوب بإسرائيل، ومعناه عبد الله، وقيل صفوة الله، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه: إن إسرائيل كقولك عبد الله، وفيه لغات، أشهرها بياء بعد الهمزة، وقد قُرِىء أيضًا إسراييل بلا همز(٢). وقد هاجر سيدنا يعقوب إلى مصر مع أولاده الأحد عشر وذريتهم، بعد أن استدعاه نبي الله يوسف عليهم الصلاة والسلام بعد فراق دام سنوات عديدة، نتيجة مؤامرة إخوة يوسف وإبعاده عن أبيه

---

(١) جاء ذكر بني إسرائيل في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة، ففي سورة البقرة الآيات: (٤٠، ٧٤، ٨٣، ١٢٢، ٢١١، ٢٤٦)، وفي آل عمران الآية: (٤٩)، وفي المائدة الآيات: (١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ١١٠)، وفي سورة الأعراف: الآيات: (١٠٥، ١٣٤، ١٣٧)، وفي سورة يونس الآية: (٩٣)، وفي سورة الإسراء الآيتان: (٤، ١٠١)، وفي سورة طه الآيات: (٤٧، ٨٠، ٩٤)، وفي سورة الشعراء الآيات: (١٧، ٢٢، ٥٩، ١٩٧)، وفي سورة النمل الآية: (٧٦)، وفي سورة غافر الآية: (٥٣)، وفي سورة الدخان الآية: (٣٠)، وفي سورة الجاثية الآية: (١٦)، وفي سورة الأحقاف الآية: (١٠)، وفي سورة الصف الآيتان: (٦، ١٠).

(٢) البيضاوي، (ت٧٩١هـ). تفسير البيضاوي. تحقيق: عبد القادر عرفات، العشا حسونة. (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م)، ١/ ٣٧؛ الغزي، محمد بن محمد بن محمد (ت١٠٦١). إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن. تحقيق: خليل محمد الغزالي. ط١ . (القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤١٥هـ)، ٢/ ٣٨٠ .

وأسرته، والقصة معروفة في القرآن الكريم في سورة يوسف، وقد كان سيدنا يعقوب وذريته النواة الأولى لوجود بني إسرائيل في مصر بعد ذلك، ولم يكن لهم أي دور مميز في المجتمع المصري آنذاك، إلاَّ في تميزهم في دين التوحيد في مجتمع وثني يؤمن بتعدد الآلهة[١]، ويدل على ذلك قول يوسف عند وجوده في السجن ودعوته لنزلائه للإيمان بالله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[٢].

ولم يظهر دورهم إلاَّ في عهد نبي الله موسى عليه السلام، عندما قسم الأسباط وهم ذرية يعقوب الأثني عشر[٣]، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾[٤] وهم بمنزلة القبائل في ذرية إسماعيل عليه السلام[٥]، فكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدًا من أولاد يعقوب[٦]. وهم: روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ويسحر ودينة ابنة يعقوب، وهؤلاء من ابنة خاله ليا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، وتزوج بأختها راحيل فولدت يوسف وبنيامين، وولد له من سريتين وهما زلفة وبلهة أربعة أولاد وهم: دان ونفثالي وجاد وأشر،

(١) أ. د. رشدي عليان، وأ.د. سعدون الساموك، الأديان دراسة تاريخية مقارنة. (جامعة بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م)، ص٤٥ .

(٢) سورة يوسف الآية (٣٩).

(٣) الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر (ت٣١٠هـ). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)، ١/ ٥٦٨ .

(٤) سورة الأعراف من الآية (١٦٠) .

(٥) النحاس، أبو جعفر (ت٣٣٨هـ). معاني القرآن. تحقيق: محمد علي الصابوني. ط ١ . (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ)، ٣/ ٩٢ .

(٦) الألوسي، محمود أبو الفضل (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٩/ ٨٧ .

فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلًا[١] .

وقد امتزجت ذرية يعقوب في المجتمع المصري[٢]، وصاروا جزءًا منه، بعد أن تأثروا بثقافته وأعرافه وتقاليده، حتى بتعاليم أديانه وهذا ما سنراه عند استعرضنا لقوم موسى، وبهذا الامتزاج والذوبان في المجتمع المصري، يكون النسب الإسرائيلي قد ضعف عما كان عليه في بداية إقامتهم.

إن لقب بني إسرائيل ليس المقصود منه نسب إسرائيل على وجه الخصوص، لجميع من خرج مع نبي الله موسى، وإنما كان لكل من دان بدين موسى عليه السلام.

وقد نقل السيوطي[٣] عن ابن درستويه[٤] في شرح الفصيح: البنوة أصلها الياء من بنيت؛ لأن الابن مبني من الأبوين، والابن يستعار في كل شيء يكون صغيرًا، فيقول الشاب الكبير للشاب الأجنبي منه يابني، وكذلك يسمي الملك رعيته بالأبناء، ويسمي الأنبياء من بني إسرائيل أممهم أبناء، والحكماء والعلماء يسمون تلامذتهم أبنائهم، ويقال لطالبي العلم: أبناء العلم ونحو ذلك.

ومما قيل أن الله جلَّ ثناؤه، قد خاطب اليهود في القرآن بـ (يابني إسرائيل)

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك. ط ١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)، ١/ ١٩١؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء (٧٧٤هـ) البداية والنهاية. تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرين. ط٣ . (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٢/ ٤٢ .

(٢) أحمد، سوسة. مفصل العرب واليهود في التاريخ. ط٥ . (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م)، ص٨٨ .

(٣) السيوطي، جلال الدين (ت٩١١ هـ). المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تحقيق: فؤاد علي منصور. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١/ ٤٠٨ .

(٤) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي (ت٣٤٧هـ)، ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت ١٠٨٩هـ). شذرات الذهب. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١/ ٣٧٥ .

وليس يابني يعقوب لغاية وهو أنهم خُوطبوا بعبادة الله تعالى، وذُكّروا بدين سلفهم إسرائيل، الذي كان على دين التوحيد موعظة لهم وتنبيهًا من غفلتهم، لذلك خاطبهم بالاسم الذي فيه تذكرة بالله تعالى[١].

وعلى كل ما تقدم فإن النسب اليهودي الرفيع الذي ينسبونه لأنفسهم إنما اختص به ذرية يعقوب عليه السلام، الذين حافظوا على نسبهم غير أن الكثير منهم لا ينتمون لهذا النسب، فليس كل اليهود من نسل إسرائيل، لأن؛ هناك الكثيرون ممن آمن بنبي الله موسى وخرج معه، وليس لهم من النسب الإسرائيلي إلاّ الاسم، وقد سموا ببني إسرائيل مجازًا.

ونحن نجد في دين الإسلام شبيهًا لهذه الأسماء والأنساب، فقد قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[٢].

فسيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن أبًا لجميع المسلمين أو من نسله، وإنما كان أبًا مجازًا لكل من دان بالإسلام.

ونجد أثر ذلك في السنة الشريفة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: سُئل رسول الله ﷺ من آلك قال: «كل تقي»، وتلا رسول الله[٣] ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٤].

---

(١) الغزي. إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، ٢/ ٣٨٠ .

(٢) سورة الحج من الآية (٧٨).

(٣) الطبراني، أبو القاسم سليمان ين أحمد بت أيوب اللخمي (ت ٣٦٠ هـ). المعجم الأوسط، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (القاهرة : دار الحرمين، ١٤١٥ هـ)، ٢/٣٣٨؛ المعجم الصغير، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١/ ١١٥؛ الهيثمي، نور الدين (ت ٨٠٧هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. (القاهرة - بيروت: دار الريان - دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، وقال : حديث ضعيف لأن فيه نوح بن أبي مريم وهو متروك، ١٠/ ٢٦٩ .

(٤) سورة الأنفال من الآية (٣٤).

وقد قيل أن المراد بـ (الآل) جميع أمة الإجابة، أي الأمة التي دخلت في الإسلام، ونقل صاحب فتح الباري عن ابن العربي قوله: مال إلى ذلك الإمام مالك واختاره الأزهري، وحكاه أبو الطيب عن بعض الشافعية، ورجحه النووي في شرح مسلم(١).

ونجد أثر ذلك عند العلماء أيضًا حيث يقال للنبي ﷺ: أبو المؤمنين والمؤمنات(٢).

وعن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا لي: أنكم تقرأون ياأخت هارون وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين فلم أدر ما أجيبهم به؟.

حتى رجعت إلى النبي فسألته فقال: «**آلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين من قبلهم**»(٣).

وفضلًا عما تقدم قول نبينا ﷺ لسلمان الفارسي: (سلمان منا آل البيت)(٤)

---

(١) ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. ط٢ . (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر)، ١١/ ١٦٠ .

(٢) الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ). الأم. تحقيق: محمد زهري النجار. ط٢ . (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٣هـ)، ٥/ ١٤١؛ ابن سلمة، عبد الملك (ت ٣٢١هـ). شرح معاني الآثار. تحقيق: محمد زهري النجار. ط٣ . (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١/ ٤٢٧؛ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين. تهذيب الأسماء. ط١ . (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م)، ١/ ٦٤ .

(٣) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ). مصنف بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط١ . (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)، ٧/ ٤٢٧ .

(٤) الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، ٣/ ٦٩١؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ). الجامع لأحكام القرآن، (المطبعة: إحياء التراث العربي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية ١٣٧٩هـ)، ١٤/ ١٢٩ .

ويدل هذا الحديث الشريف على الصفة المجازية في نسب سلمان لآل بيت المصطفى ﷺ، ومما تقدم فالنبي محمد وإبراهيم الخليل أبوان لكل من اعتنق دين الإسلام مهما كان لونه وجنسه وعرقه.

وفي ذلك دليل على أن المقصود ببني إسرائيل وبقية أسمائهم، هم الذين دانوا بالديانة الموسوية، التي أُنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، سواء أكانوا من نسل يعقوب أم من دان بدين موسى عليه السلام.

٢- **قوم موسى**(١) لقد خاطب الله تعالى بني إسرائيل في كتابه العزيز بقوم موسى(٢)، قال تعالى ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَ﴾(٣).

وتأتي تسمية قوم موسى، بعد ستمائة عام، من تسمية بني إسرائيل، وهذه الحقبة الطويلة بين نبي الله إسرائيل وقوم موسى مستقلة تمام الاستقلال ولا علاقة لاحداهما بالأخرى، إلاَّ من خلال النسب الإسرائيلي للأسباط، الذين التحقوا بموسى عليه السلام، وقوم موسى هؤلاء قد خرجوا من مصر فرارًا من ظلم

---

(١) تكرر ذكر قوم موسى في القرآن الكريم عشر مرات، ففي سورة البقرة الآيات: (٥٤، ٦٠، ٦٧)، الأعراف الآيات: (١٢٨، ١٤٨، ١٥٩)، وفي سورة المائدة الآية (٢٠)، وفي القصص الآية (٧٦) وفي سورة إبراهيم الآية (٦)، وفي سورة الصف الآية: (٥).

(٢) موسى: اسم مصري وهو بالقبطية مؤلف من كلمتين، يعني بهما ماء وشجر (فمو) هو الماء، و(سا) الشجر، وإنما سمي بهذا الاسم لأن أم موسى ألهمها الله أن تجعله في التابوت وتلقي به في اليم، حين خافت عليه من فرعون، واليم هو نهر النيل حيث دفعته الأمواج إلى أشجار قصر فرعون، فأخذته آسية زوج فرعون، وسمي باسم المكان الذي وجد فيه، وكان في المكان ماء وشجر، فقيل موسى ماء وشجر، وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. الطبري، جامع البيان لتأويل القرآن، ١/ ٢٨٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٢٧.

(٣) سورة البقرة من الآية: (٦٠).

فرعون وملأه، وغالبيتهم من عبيد المصريين والهكسوس[١] الذين ذاقوا ذل العبودية والتسلط، ونسبة قليلة من بني إسرائيل، الذين يعودون بنسبهم إلى نبي الله يعقوب، الذين لا يزيد عددهم عن أربعة آلاف[٢].

وقد جاء في الكتاب المقدس عن عدد بني إسرائيل: (وكان جميع المعدودين من بني إسرائيل بحسب أسرهم من ابن عشرين سنة فصاعدًا ممن يخرجون إلى الحرب في إسرائيل ست مئة ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسين)[٣]، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس[٤].

وقد شكك محمود نعناعة[٥] في هذا العدد ودعّم ذلك بتحليل هذه القصة، التي تتحدث عن هذا العدد الكبير فقال: إن ظروف الارتحال في الصحراء لهاربين من ملك يتعقبهم، فكيف يكون لهذا العدد وفيه النساء والأطفال يخرجون من مصر دفعة واحدة، ومعهم متاعهم ومواشيهم مع قلة الماء، وقد قال في قصة انشقاق البحر وأنهم قطعوا البحر في ليلة واحدة، ورجوع البحر عند إقبال الصبح، ويقول: هل يستطيع مليون من البشر وفيهم النساء والأطفال اجتيازه في ليلة واحدة؟ وأجاب أن هذه المسألة لا يحلها إلاّ

---

(١) الهكسوس: هم جماعة من العرب البائدة أو العماليق كما يسمونهم العرب، نزحوا من جزيرة العرب إلى شبه جزيرة سيناء، واستقروا هناك وصارت هذه القبائل تعرف لدى اليونانيين باسم الهكسوس أي ملوك الرعاة. أحمد سوسة مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص١٩٣ .

(٢) سنقراط، داود عبد الغفور. جذور الفكر اليهودي. ط١ . (عمان: دار الفرقان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، ص٥٢ .

(٣) سفر العدد، ١/ ٤٥-٤٦ .

(٤) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد الظاهري (٤٥٦هـ)، الفصل في الملل. (القاهرة: مكتبة الخانجي)، ١/ ١٢٧ .

(٥) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢)، ص١٥١-١٥٢ .

الافتراض بأن المهاجرين من مصر كانوا من أبناء راحيل وهما يوسف وبنيامين وذريتهما الذين لم يتعد عددهم سبعة آلاف نسمة فقط.

وقد عدَّ الدكتور أحمد سوسة[١] أن قوم موسى هم من الجنود الفارين وبقايا الهكسوس، الذين كانوا يدينون والنبي موسى بدين التوحيد الخالص، الذي نادى به إخناتون فرعون مصر، الذي كان يدعو لعبادة إله واحد، وتحت ضغط فرعون وملأه من الوثنيين واضطهادهم بعد موت إخناتون، خرجوا من مصر مع نبي الله موسى[٢]، وقد كانوا يتكلمون اللغة السائدة في مصر آنذاك، وبها نقل موسى الوصايا العشر التي تلقاها عن ربه جلَّ جلاله[٣].

والذي يبدو لي إن الغالبية العظمى من قوم موسى، الذين خرجوا معه، لم يكونوا جميعًا على دين التوحيد، لأننا لو دققنا قليلًا في تاريخ هذه الأمة منذ فجر ولادتها وعلاقتها مع أنبيائها ومعتقداتها، لا سيما بعد خروجهم من مصر مع نبي الله موسى عليه السلام، وما رأوه من الآيات البينات الدالة على نبوة موسى، كمعجزة العصا، وفلق البحر لهم كي يعبروه فرارًا من فرعون، وإغراقه أمامهم وهم ينظرون، وغيرها من الآيات فلم يعتبروا بكل ما رأوه كما هو حالهم مع جميع الأنبياء من بعد موسى، فنرى التأثير الوثني الواضح الدال على وثنيتهم، أو ربما تأثرهم بشكل كبير بالوثنية، التي كانت قائمة في المجتمع المصري آنذاك، وعلى الرغم من جميع الآيات والمعجزات، نراهم يميلون إلى وثنيتهم بعد خروجهم من معجزة فرق البحر ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل

---

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٨ .
(٢) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٩ .
(٣) سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٩ .

لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾(١) .

ونراهم في صورة أخرى يعبدون عجل السامري، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾(٣)، وكان ذلك بعد غياب موسى عنهم أربعين ليلة لميقات ربه وكلمة (قالوا) تدل على أن القائل ليس السامري وحده، بل هناك جمع كبير من القوم.

حتى أن نبي الله هارون عليه السلام لم يستطع أن يثنيهم عن عبادته وأثبت ذلك الله تعالى بقوله: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾(٤).

وقد كان عصيًّا على نبي الله هارون ومن بقي معه على الإيمان من منع الضالين، ولو كان قادرًا على ذلك لما انتظر عودة موسى، ولقام بتقويم اعوجاجهم، لكنهم كانوا من الكثرة بحيث منعته من السيطرة عليهم، فكانت العقيدة الوثنية تأخذ حيّزًا كبيرًا في قلوبهم فاقت كل الإيمان الذي نُسب إليهم من دين التوحيد، الذي كان يُعتقد أن خروجهم كان من أجله فرارًا من فرعون وقومه.

وقد بيّن صاحب ظلال القرآن(٥) رحمه الله بقوله: إن المستعرض لتاريخ بني

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٣٨).
(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٨).
(٣) سورة طه الآية (٨٨).
(٤) سورة طه الآيات (٩٢، ٩٣، ٩٤).
(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط١، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨١م)، ١/ ٨٢ .

إسرائيل يأخذه كثير العجب من فيض الآلاء، التي أفاضها الله تعالى عليهم ومن جحودهم المنكر والمتكرر.

فقوم هذا حالهم أين هم من دين التوحيد الذي استعبدوا واضطهدوا وتركوا بيوتهم ووطنهم من أجله، فربما يكون صاحب هذا الرأي مخطئًا بدليل نص الآيات القرآنية التي تقدمت.

والذي يبدو لي إن الذين خرجوا مع موسى، كان خروجهم كلٌّ حسب حاله التي دفعته للخروج والفرار من فرعون، أو مصيبة أصابته وكانت سببًا في هجرته وفراره.

فالهكسوس مثلًا كان دافعهم للخروج يعود إلى سبب اضطهاد فرعون وملأه، بسبب استيلاء الهكسوس على الحكم في مصر، إثر الضعف والانحلال والنزاع الداخلي، الذي كان سببًا في زوال دولتهم على يد الهكسوس، الذي دام ملكهم زُهاء قرنين من الزمن، من سنة ١٧٨٥-١٥٨٠ق م[١]، وكان هذا هو السبب في اضطهاد فرعون وقومه لهم، حيث كانوا يتحينون الفرصة المناسبة للقضاء عليهم وطردهم من مصر، وقد دامت الحرب بينهما نصف قرن تقريبًا إلى أن نجحوا في طردهم.

أما عبيد مصر فقد كان خروجهم، لما كان يلاقونه من ذل العيش والهوان والاستعباد فكانت فرصتهم للخلاص، هو الإيمان بنبوة موسى، لأنه؛ هو الأمل الوحيد في رفع القيود عن كاهلهم.

أما الثلة القليلة المتبقية من قوم موسى فقد كانت على دين التوحيد، وقد بيّن

---

(١) أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص١٩٦ .

الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[١].

و(من) في هذه الآية تفيد تبعيض الهادين[٢] وهم قليلون قياسًا بالذين ضلوا، والله أعلم.

٣-اليهود[٣]، وهادوا[٤]، وهودًا[٥]: ثلاثة اسماء تحمل المعنى نفسه، وقد ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٧]، وقوله تعالى: **﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾**[٨]. وقد لزمها هذا الاسم من قول نبي الله موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[٩].

أي: رجعنا إليك[١٠]. وقد جاء عن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٩).

(٢) الغزي، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، ٢/٣٠٦.

(٣) جاء ذكر اليهود في القرآن الكريم ثمان مرات ففي سورة البقرة الآيتان: (١١٣، ١٢٠)، وسورة آل عمران الآية، وسورة المائدة الآيات (١٨، ٥١، ٦٤، ٨٢)، وفي سورة التوبة الآية (٣٠).

(٤) جاء ذكرها في القرآن الكريم عشر مرات، ففي سورة البقرة الآية: (٦٢)، وفي سورة النساء الآيتان: (٤٦، ١٦٠)، وفي سورة المائدة الآيات: (٤١، ٤٤، ٦٩)، وفي سورة الأنعام الآيات: (٦، ١٧، ١١٨، ١٤٦).

(٥) جاء ذكرها ثلاث مرات في سورة البقرة: الآيات: (١١١، ١٣٥، ١٤٠).

(٦) سورة البقرة الآية: (١١٣).

(٧) سورة الجمعة الآية (٦).

(٨) سورة البقرة الآية: (١١١).

(٩) سورة الأعراف من الآية: (١٥٦).

(١٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣/٢٥٧.

إنما سميت اليهود لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[١].

وقد ذكر البخاري[٢] أن كلمة (هادوا) أي صاروا يهودًا، وكلمة (هدنا) أي تبنا.

وقال آخرون: سميت اليهود اشتقاقًا من هادوا[٣].

وأضاف صاحب فتح القدير[٤]، إلى القول أن هادوا معناه صاروا يهودًا، نسبة إلى يهوذا السبط الرابع لنبي الله يعقوب عليه السلام.

ونقل صاحب الرؤية العربية لليهودية[٥] آراء بعض المؤرخين المحدثين، فمنهم من أعاد كلمة اليهود إلى كلمة هاد أو هود، أما رأي عباس محمود العقاد فقد وافق صاحب فتح القدير.

أما أحمد سوسة[٦] فقد ذهب إلى أن اسم اليهود لم يُعرف قبل الأسر البابلي، الذي جاء على أثر حملتين في عهد بخت نصر، وكانت الحملة الأولى سنة (٥٩٧ ق م)، والحملة الثانية كانت سنة (٥٨٦ ق م).

---

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٩/ ٧٩؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد ٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير. ط٣ . (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ)، ١/ ٩١؛ السيوطي، الدر المنثور . (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م)، ١/ ٨٢١ .

(٢) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت ٢٥٦هـ). صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا. ط٣ . وت: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، ٣/ ١٤١٤، ٤/ ١٦٩٥ .

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب. ط١ . (بيروت: دار صادر)، ٣/ ٤٣٩؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٣/ ٦٤ .

(٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير. (بيروت: دار الفكر)، ١/ ٦٤ .

(٥) حداد، د. مهنا يوسف. (الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، ص٣٥ .

(٦) أحمد سوسة مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٦٠٥ .

وقد عدَّ هذا العصر يهوديًا بحتًا قائمًا بذاته مستقلًا بثقافته ولغته وديانته ويمثل بداية اليهودية[١].

نخلص مما سبق أن اختلاف الآراء في إرجاع اليهود إلى المعنى الذي قيل فيه، ويبدو لي أن الذي ذكره القدماء من أن تسمية اليهود مشتقة من كلمة هادوا، هو الرأي الراجح، للقرائن التي تقدمت عن علي بن أبي طالب ﷺ والإمام البخاري وابن منظور والبيضاوي في تفسيره، وغيرهم من العلماء، ويعود هذا الترجيح إلى أن الله تعالى لم يخاطب في كتابه العزيز أمة من أهل الكتاب، بعدّة تسميات على حسب اختلافها وفرقها وظرفها الذي ساد في زمن ما من التاريخ.

ولم يخاطب بني إسرائيل كل فرقة بحسب اتجاهها وعقيدتها المخالفة للفرق الأخرى، تحت مسمى الدين نفسه، وإنما خاطب الله أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وعندما أراد أن يخص أحد الأديان بخطاب، يكون خطابه (يابني إسرائيل)، (وقالت النصارى) فذكر النصارى باسمين، أهل الكتاب والنصارى،على الرغم من أن للنصارى فرقًا مختلفة، واختلافاتها أساس في جوهر عقيدتها واختلاف أناجيلها كما هو معروف، وعلى الرغم من كل هذا لم نقرأ في القرآن الكريم أي اسماء إضافية سوى ما تقدم.

وعلى الرغم من أن عيسى بن مريم ﷺ، جاء بحكم التوراة، وجاء بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفًا ورحمة وإحسانًا بهم، وقد جاء مكملًا لشريعة التوراة[٢] ومع ذلك فقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم، بأهل الكتاب

---

(١) م. ن، ص٩٦ .

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ). هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية)، ١/ ١٦ .

والنصارى، تمييزًا عن اليهود، ويعود ذلك للكتاب الإلهي (الإنجيل) الذي أُنزل على نبي الله عيسى بن مريم من بعد موسى عليهما الصلاة والسلام.

وعند ذكرهم في غير هذه الصيغة، يكون ذكرهم لطبائع متأصلة في نفوسهم نحو عداوتهم للمؤمنين، نحو قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ﴾(١) أو تأتي بصيغة التحذير للمؤمنين نحو قوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٣).

ومن الجدير بالذكر إن اسم اليهود، أعم بكثير من بني إسرائيل ؛ لأن هناك الكثير من أجناس العرب والرومان وغيرهم قد اعتنقوا الديانة اليهودية، ولا يعود نسبهم إلى إسرائيل، وكتابهم هو التوراة الذي أُنزل على موسى عليه السلام(٤).

فإن كان تسمية اليهود تعود إلى عهد مملكة يهوذا، وإن الله قد أطلق هذا الاسم نسبة إلى هذه المملكة، فربما كانت هذه المملكة من العظمة والرفعة حتى نُسب إليها بنو إسرائيل أو قوم موسى، فإن كان هذا هو المقياس أو غيره، في دخول اسمها التاريخ ويُتداول في الكتب السماوية، فيمكن أن نقول إن نبي الله سليمان عليه السلام كان من العظمة والمكانة في وقته بحيث أن مملكته وملكه فاق كل الملوك والدول من بعده إلى أن تقوم الساعة، وقد ذكر الله تعالى بقوله : ﴿قَالَ رَبِّ

---

(١) سورة المائدة من الآية: (٨٢).

(٢) سورة المائدة الآية (٥١).

(٣) سورة البقرة الآية (١٢٠).

(٤) القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨١٢هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، تحقيق: يوسف علي الطويل، (دمشق : دار الفكر، ١٩٨٧م)، ٣/ ٢٥٧ .

ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[١].

وعلى الرغم من الشهرة الكبيرة والقدرة العظيمة التي سخرها الله له، كما هي معروفة لدى الجميع، وقد ذُكرت في جميع الكتب السماوية، لا نجد أن الله تعالى قد أطلق تسمية السليمانيين أو السليماني إن صح التعبير على قوم موسى، فكيف والحال هذا يُطلق اسم اليهود نسبة إلى مملكة يهوذا، التي اهتز عرشها مرتين تحت ضربات بخت نصر، وتهاوت تحت ظلال سيوف رجاله الفاتحين؟ على حين أن الله تعالى عندما خاطب اليهود في كتابه العزيز خاطبهم بـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وهادوا واليهود المشتقة منها، وقد أعاد العلماء والأئمة هذه الكلمة إلى نبي الله موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

أما قوم موسى فقد جاء ذكرهم في القرآن بعدة اسماء، يابني إسرائيل، قوم موسى، اليهود، هادوا، وتعود جميع هذه المسميات لمعنى واحد كما تقدم ذكره، ولا يختلف بعضها عن بعض، فقد كان خطاب الله تعالى باسم بني إسرائيل لتذكيرهم بآلاء الله، وتذكيرهم بنعمائه الكثيرة التي أفاضها عليهم في أغلب الآيات تحت هذا الاسم.

أما ذكره لليهود فيكون ذكرهم بأقوال قالوها بلسانهم نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[٢]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[٣].

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[٤]، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ

(١) سورة صّ الآية (٣٥).
(٢) سورة التوبة من الآية (٣٠).
(٣) سورة المائدة من الآية (٦٤).
(٤) سورة المائدة من الآية (١٨).

ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[١]، ومن يستعرض أحاديث الرسول ﷺ الكثيرة التي قالها فيهم، لا يجد في خطابه لهم أو ذكرهم إلاَّ اسمًا واحدًا هو (يهود)، أو (زفر)[٢] ولو كان نسبهم يعود إلى بني إسرائيل كما يزعمون، لكان رسول الله ﷺ خاطبهم بهذا الاسم على أساس أنه الأصل في ذلك، لكنه لم يفعل لأنه يعلم جذور هؤلاء القوم، وإلى من ينتسبون فكان خطابه لهم بما هم عليه.

ولعلم الأجناس رأيه في ذلك وهو: (لو أن اليهود من أصل واحد لكان من الواجب أن يكونوا متشابهين في الطول والسحنة والصفات الجنسية الأخرى في جميع أنحاء العالم لأن قانون الوراثة يحتم التشابه بين الأنواع) وقد نقل رأي الأستاذ أوجين بتار:

(. .ليس هناك نوع يهودي واحد وإنما أنواع يهودية متعددة، حيث تعود إلى طائفة دينية وهيئة اجتماعية التي دخلتها عناصر من كل السلالات كفلاشا الحبشة والألمان الجرمانيين والتامل-(اليهود السود، والهنود والخزر والأتراك)[٣].

٤- **أهل الكتاب**[٤]: وهو من الأسماء التي خاطب الله تعالى بها اليهود بـ

(١) سورة البقرة من الآية (١١٣).

(٢) اليهود جمع زفر كروم ورومي. المناوي، عبد الرؤوف (ت ١٠٣٠هـ). فيض القدير. ط١. (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ)، ٢/ ٤٠٤.

(٣) الفيل، محمد رشيد. اليهود وعلم الأجناس. (بغداد: مطبعة شفيق، ساعدت وزارة المعارف على نشره) ص٤٩-٥٠.

(٤) تكرر ذكر أهل الكتاب في خطاب الله تعالى احدى وثلاثين مرة، ففي سورة البقرة الآيتان: (١٠٥،١٠٩)، وفي سورة آل عمران الآيات: (٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٩٨، ٩٩، ١١٠، ١١٣، ١٩٩)، وفي سورة النساء الآيات: (١٢٣، ١٥٣، ١٥٩، ١٧١)، وفي سورة المائدة الآيات: (٥٩، ٦٥، ٦٨، ٧٧)، وفي سورة العنكبوت الآية: (٤٦)، وفي سورة الأحزاب الآية: (٢٦)، وسورة الحديد الآية: (٢٩)، وسورة الحشر الآيتان: (٢، ١١)، وفي سورة البينة الآيتان: (١، ٦).

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهذا الاسم ليس مقصورًا على اليهود فقط، وإنما يدخل ضمنها النصارى وغيرهم ممن ذكروا في القرآن الكريم؛ من الأديان السماوية الأخرى.

٥- **العبريون**: لم يُذكر هذا الاسم في القرآن الكريم، وإنما أضافه المؤرخون لأسماء اليهود المتقدمة، وقد تعددت الآراء بشأن أصل هذه التسمية، واختلفت في إعادتها لأصل تسميتها التي وضعت لها، وكانت وراء هذه التسمية.

وقد أعاد فريق من المؤرخين هذه التسمية، إلى عبور الصحراء أو عبور النهر على أساس أن القبائل العربية التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية منذ القدم، كانت تعبر الصحراء في سنوات القحط والجفاف، متوجهة إلى أنهار الهلال الخصيب(١).

ومن كلمة العبور هذه جاءت كلمتا العبرانيين والعرب، وأصبحت هذه الكلمة تُطلق على كل من عبر الصحراء إلى الهلال الخصيب، ووادي النيل من جزيرة العرب(٢).

ويميل فريق آخر إلى القول بأن لفظة العبراني أو العبري، ما هي إلاَّ تحريف لكلمة الخبيرو، والخبيرو اسم يُطلق منذ الألف الثانية قبل الميلاد، وما قبله على طوائف متفرقة من القبائل العربية التي ظهرت في شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام، ولم تكن تجمعهم قرابة أو نسب؛ لأنهم كانوا يشكلون مجموعات

---

(١) الهلال الخصيب: يطلق عادة هذا المصطلح على القسم الخصيب الهلالي الشكل من جزيرة العرب الذي يقع على أطرافها الشرقية والشمالية والغربية، ويشمل كلاً من سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، ويُدخل بعضهم الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال. أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، الهامش، ص١٠٢ .

(٢) سنقراط، جذور الفكر اليهودي، ص١٤ .

تركوا موطنهم وبيوتهم لظروف معيشية جمعت بينهم[١]، وكانوا قد شكلوا من المجموعات التي عرفها التاريخ باسم الهكسوس، وهي كلمة يونانية وتعني الرعاة، فهم على هذا الحال خليط من الناس جمعهم حال واحد، أساسه الحرمان وضنك العيش[٢].

وفي رأي نُسب إلى حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه القول: بأن أول من تكلم بالعبرانية موسى عليه السلام وبنو إسرائيل، وقيل أن بخت نصر لما أسر بني إسرائيل وعبر بهم نهر الفرات، قيل لبني إسرائيل العبرانيون، ولغتهم العبرانية[٣].

وأعاد بعضهم إلى القول أن معنى العبر، ما أُخذ على غربي الفرات إلى برية العرب، يسمى العبر، وإليه يُنسب العبرانيون من اليهود ؛ لأنهم لم يكونوا قد عبروا الفرات حينئذ[٤].

مما تقدم نلاحظ الآراء المتعددة حول هذه التسمية، وإعادتها إلى مصدرها الذي قيلت من أجله، ونلاحظ اشتراك جميع المؤرخين والعلماء، في إعادتها إلى كل من عبر من مكان إلى آخر، سواء أكان لضنك العيش، أم هروب من محنة ألمت به كهروب موسى وقومه من فرعون وملئه.

يبدو لي أن رأي الدكتور أحمد سوسة هو الراجح، للأسس العلمية التي اعتمدها في إثبات عدم صلة اليهود بنبي الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي نُسب إليه أصل العبرانيين، في أثناء عبوره للنهر فارًّا من نمرود،

(١) أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٦ .
(٢) سنقراط، جذور الفكر اليهودي، ص١٤ .
(٣) الحموي، ياقوت (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان. (بيروت: دار الفكر)، ٤/ ٧٨ .
(٤) م. ن، ٤/ ٧٨ .

الذي حوّل الله لسانه إلى العبرية، وغايتهم من إرجاع هذا الرأي كما ذهب إليه أحمد سوسة هو إعادة نسبهم إلى أعظم وأشهر شخصية عرفها التاريخ، وقد استشهد بنص قرآني قطع به جميع الآراء، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

وذهب إلى أن كلمة العبري، تعود إلى ما قبل وجود اليهود، وورود معنى العبريين في التوراة أُريد بها القبائل العربية، ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل عليه السلام[2].

نسبهم وأصلهم: يُلاحظ مما تقدم، عند استعراضنا لأسماء اليهود أو بني إسرائيل، أن هذه المجموعة من الناس، يمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاث وعلى ثلاث حقب، وتدل كل مرحلة على حقبة مستقلة تمام الاستقلال، من حيث انتماؤها ونسبها.

الحقبة الأولى: وهي الحقبة التي وجد فيها سيدنا يعقوب عليه السلام وأسباطه وذريته القادمون من حران[3] موطنهم الأصلي، إلى مصر أرض هجرتهم بدعوة من نبي الله يوسف ابن يعقوب عليهما السلام.

---

(١) سورة آل عمران الآية: (٦٧).

(٢) أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٦ .

(٣) حران: مدينة معروفة وتقع في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في الجوار من الحدود السورية التركية داخل حدود تركيا على منابع نهر البليخ أحد روافد الفرات العليا تقع على بعد ٤٠كم إلى الجنوب الشرقي من أورفه، وزهاء ٨٠كم من مصب البليخ في نهر الفرات كانت مركزاً مهماً على الطرق التجارية الرئيسة بين العراق وسوريا وقد اشتهرت في كونها مركزًا لعبادة الإله القمر (الإله سين) وهي المدينة التي توجه إليها إبراهيم بعد خروجه من أور الكلدانية وذهب منها إلى كنعان فتحها عياض بن غنم سنة (٦٣٩م) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أحمد سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٥٠٧؛ رشدي عليان وسعدون الساموك، الأديان، دراسة تاريخية مقارنة، ص١٨٥ .

وتشير بعض الروايات التاريخية إلى أن عددهم آنذاك، لا يزيد على اثنين وسبعين إنسانًا ما بين رجل وامرأة وطفل[١].

واستقروا في مصر إلى عصر نبي الله موسى ﷺ، وآمنوا بنبوته وخرجوا معه، وكان منهم الأسباط الأثني عشر، ولم يكن يتجاوز عددهم عن الأربعة آلاف كما تقدم ذكره.

الحقبة الثانية: وهي عصر نبي الله موسى ﷺ، وهذه المرحلة جاءت بعد القرن السابع قبل الميلاد، من حقبة نبي الله يعقوب حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهي مرحلة مستقلة عن الحقبة الأولى بشكل تام، ولا يربط بينهما إلاّ بقايا نسل يعقوب وديانته التوحيدية، التي دان بها المؤمنون بموسى ﷺ.

أما أُصول التابعين لهذه الحقبة، فهم مجموعة مختلطة من الناس، كانت تعيش في مصر كبقايا الهكسوس، وهم من العرب البائدة أو العماليق، التي حكمت مصر بعد الضعف الذي أصاب الدولة المصرية، إثر النزاعات الداخلية،فضلًا عن العبيد المضطهدين، والجنود الفارين[٢]، وثلة من بني إسرائيل كما تقدم ذكره.

الحقبة الثالثة: وهي الحقبة التي دانت فيها الأقوام الأخرى بالديانة الموسوية، كأهل اليمن في عهد نبي الله سليمان أو عهد تبع اليماني أبي كرب تبان بن أسعد[٣].

---

(١) الطبري، تفسير الطبري، ٨/ ٣٦٩؛ البغوي، أبي البركات عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠هـ)، تفسير البغوي، ١/ ٧٠ .

(٢) أحمد سوسة. م. ن، ص٨٨ .

(٣) ابن الأثير، محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ. تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي. ط٢ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)، ١/ ٣٢١؛ =

وسوف يأتي الحديث عنها في مبحث أماكن وجود اليهود في الجزيرة العرب وأسبابه .

وهناك بعض الذين تأثروا بهذه الديانة، في الأماكن التي نزلوا بها أو سيطروا عليها في فلسطين وغيرها .

* * *

= ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ١٦٤؛ السيوطي، شرح سنن النسائي. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط٢ . (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ٥/ ٣ .

المبحث الثاني الديانة اليهودية وأشهر فرقها

المطلب الأول: كتابهم وفرقهم

أولًا: الديانة اليهودية: هي الديانة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، وكتابها التوراة وهي مشتقة من قولهم ورت ناري، ووريت وأوريتها، إذا استخرجت ضوءها؛ لأنه استخرج بها أحكام شريعة موسى، وقيل أن لفظ التوراة عربي والظاهر إنه عبراني معرب؛ لأن لغة موسى كانت العبرانية، وهذا أمرٌ ناسب لغة قومه التي يفهمونها[1].

والتوراة على خمسة أسفار وهي:

* **سفر التكوين أو الخليقة**: ويشتمل على الحقبة من بدء الخليقة، من بداية خلق آدم إلى زمن يوسف عليه السلام.

* **سفر الخروج**: يشتمل على الحقبة التي فيها استخدام المصرين لبني إسرائيل، وظهور نبي الله موسى وهلاك فرعون، وكذلك نصب قبة الزمان وهي القبة التي كان ينزل فيها الوحي على موسى، وفيها شرح لأحوال التيه وإمامة هارون، ونزول الكلمات العشر في الألواح على موسى، وهي شبه مختصرة مما في التوراة، واشتملت على الأوامر والنواهي وسماع القول، وقد أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ٢٥٧.
(٢) سورة الأعراف الآية (١٤٥).

* **سفر اللاويين**: فيه الكيفية التي قُربت فيها القرابين وبشكل أجمالي.

* **سفر العدد**: ويشتمل على عدد القوم وتقسيم الأرض بينهم، وذُكر فيه أحوال الرسل الذين بعثهم موسى من بلاد الشام، وأخبار المن والسلوى والغمام التي خص الله بها قوم موسى.

* **سفر التثنية**: ويشتمل هذا السفر على أحكام التوراة، بتفصيل مجمل وفيه وفاة هارون ثم وفاة موسى، وخلافة يوشع بن نون بعدهما.

وقد ذكر الشهرستاني(١) أن في التوراة البشارة بالمسيح عليه السلام، ومحمد عليه الصلاة والسلام وهو متفق عليه عندهم واليهود على انتظارهما.

فقد ذُكر في التوراة بأنه سوف يخرج واحد في آخر الزمان، واصفًا له بالكوكب المضيء الذي تشرق الأرض بنوره، وهو غير خاف على كل ذي عقل والمقصود بالذي يخرج آخر الزمان محمد ﷺ.

ولقد جاءت البشارة في موقع واحد في قوله: (أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران)(٢)، وأراد بسعير جبال بيت المقدس، حيث مكان ظهور المسيح أما فاران فالمقصود بها جبال مكة حيث كان ظهور النبي محمد ﷺ، ونلاحظ في النص البشارة أيضًا بسيدنا المسيح عليه السلام(٣).

ثانيًا: أشهر فرق الديانة اليهودية: كما هو الحال في جميع الأديان، ينبثق

---

(١) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٤٥٨هـ). الملل والنحل. تحقيق: محمد سيد كيلاني. (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ)، ١/ ٢١٩ .

(٢) الكتاب المقدس، (جمعية الكتاب المقدس في لبنان). ط١، سفر التثنية ٣٣/ ٢ .

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣/ ٢٥٩؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي ٦٧٠هـ). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. (بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، ١/ ٥٠٥ .

عنها فرق وطوائف، منها ما تكون قريبة من جوهر العقيدة المتبعة، أو تتراوح بين الانحراف والغلو، وقد أشار الرسول ﷺ إلى تلك الفرق وتعددها بقوله: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة**»[(١)].

ومن حديث الرسول ﷺ والوقائع التاريخية، نجد هناك فرقًا كثيرة ومتعددة تشكلت من الأديان الثلاثة، اليهودية والمسيحية والإسلام، والذي يعنينا هنا دراسة أشهر الفرق اليهودية، التي تكونت عبر التاريخ، والفرق التي انبثقت عنها وأذكر منها:

١- **القراؤون والربانيون**: وهاتان الفرقتان كالفرقة الواحدة من حيث اتفاقهما، على التوراة ولا خلاف بينهما في أصل اليهودية، وقد اتفقتا على استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة يتعبدون بها، وجميع الفرق متفقون على نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون، فضلًا عن نبوة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، واتفقتا على نبوة الأسباط الأثني عشر، وعلى نبوة أنبياء غير موسى وهارون ويوشع، وينقلون عن الأخير تسعة عشر كتابًا زيادة على التوراة، يعبرون عنها بالنبوات.

وانفرد الربانيون عن القرائين بشروح موضوعة لفرائض التوراة، ينقلونها عن موسى، ويتفقان على استقبال صخرة بيت المقدس، ويوجهون لها موتاهم وأن الله كلّم موسى على جبل طور سيناء[(٢)].

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ). سنن الترمذي. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف. (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ)، ٥/ ٢٥؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ). تلبيس إبليس. تحقيق: السيد الجميلي. ط ١ . (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، ١/ ٢٧ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣/ ١٦٠ .

ويزعم الربانيون أن الله يخاطبهم جميعًا بالصوت في كل مسألة، و يسمونه (بث قول)، وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم، وينظرون إلى من يخالفهم كما يُنظر إلى الدابة أو الحيوان[١].

وهما مختلفتان في أمرين:

الأول: القول بالظاهر، والجنوح إلى التأويل، فالقراؤون يقولون بالظاهر، ويقفون عند ظواهر النصوص التوراتية، نحو ذكر الصورة والتكلم والاستواء على العرش، والنزول إلى طور سيناء يأخذون كل ذلك على ظاهره.

الثاني: القول بالقدر:

فالربانيون: يقولون بأن لا قدر سابق وأن الأمر وليد وقته، وكلا الفريقين يقول: إن الله قديم أزلي، واحد قادر وأنه بعث موسى بالحق وشدَّ أزره بأخيه هارون ويعظمون التوراة ويقسمون بها، ومن أعظم الأمور عندهم الأخذ بدين النصرانية وتصديق مريم بأنها حملت بعيسى من غير بشر، ويرمونها بأحد أقاربها هو(يوسف النجار) الذي كان خادمًا معها للبيت المقدس، ويدّعون أن تبرئتها من ذلك جريمة لا تغتفر[٢].

٢- **السامرة**: وهم من اتباع السامري[٣] وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[٤].

---

(١) ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ١/ ١٣٥ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣/ ١٦٠-١٦١ .

(٣) الإسفراييني، طاهر بن محمد (ت ٤٧١هـ). التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. تحقيق: كمال يوسف الحوت. (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م)، ١/ ١٥٢ .

(٤) سورة طه الآية (٨٥).

قال بعض المفسرين إن اسمه موسى بن ظفر[١] وقيل أن أصله من قوم يعبدون البقر[٢]، وهم صنفان يقال لإحداهما الدستان، وصنف يقال له الكوشان[٣]، وقد اختلف في أصل السامرة أمن يهودهم أم لا ؟ فالربانيون والقراؤون ينكرون كون السامرة من اليهود[٤] وللسامرة توراتهم الخاص بهم، وهو يختلف عن التوراة التي بين يدي القرائين والربانيين، وهي التي بين يدي النصارى، وهم ينفردون عنهما بإنكار أي نبوة بعد موسى ما عدا هارون ويوشع[٥].

وقد خالفوهم في استقبال صخرة بيت المقدس، ويستقبلون طور سيناء، ويوجهون إليه موتاهم[٦]، زاعمين أنه الذي كلم الله تعالى عليه موسى، ويزعمون أن الله أمر داود ببناء بيت المقدس عليه، فخالف وبناه بالقدس، وينكرون صحة توراة القرائين والربانيين[٧]. وقد افترقت السامرة إلى دوستانية، وهم الألفانية وإلى كوستانية.

الدوستانية: معناها الفرقة الكاذبة، والكوستانية: معناها الجماعة الصادقة، كما زعموا أن التوراة كانت بلسانهم، وهي قريبة من

(١) الطبري، تفسير الطبري، ١/ ٢٨٣؛ القرطبي. تفسير القرطبي، ٧/ ٢٨٤؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٢هـ)، ٣/ ١٦٤ .

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ١٣/ ٢٧٢ .

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ). فتوح البلدان .(القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٩هـ)، ١/ ١٨٧ .

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ٢٧٢ .

(٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ). كتب ورسائل ابن تيمية. تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي. (مكتبة ابن تيمية)، ٤/ ١٢١ .

(٦) م، ن، ٢/ ٤٥٠ .

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ١٧٣ .

العبرانية[١]، والسامرة لا يؤمنون بيوم البعث[٢].

٣- **العنانية**: نُسبوا إلى رجل يُقال له: عنان بن داود رأس جالوت، وهم يُخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان من قفاه، ويصدقون عيسى في مواعظه، ويقولون: إنه لم يخالف التوراة أبدًا وهو من بني إسرائيل العابدين المتعبدين بالتوراة، ومن المستجيبين لموسى غير أنهم ينكرون نبوته ورسالته[٣].

٤- **العيسوية**: وهم منسوبون إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل أن اسمه عوفيد الوهيم، ومعناه عابد الله، كان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية، مروان بن محمد، فاتبعه بشر كثير من اليهود، ونسبوا إليه معجزات زعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر، وزعم أن للمسيح خمسة رسل يأتون قبله، وزعم أن الله كلمه وحرم في كتابه الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق طيرًا كان أو بهيمة وأوجب عشر صلوات، وخالف اليهود في كثير من الأحكام[٤] ويقول بنبوة محمد ﷺ وأنه أُرسل للعرب خاصة[٥].

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/١٢٨-٢١٩ .

(٢) عبد الرزاق، أبو بكر الصنعاني (ت ٢١١هـ) مصنف عبد الرزاق .ط١ . تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (الناشر: المجلس العلمي، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م)، ٤/٤٨٧؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ). السنن الكبرى .(بيروت: دار الفكر)، ٧/١٧٣ .

(٣) الشهرستاني، م. ن، ١/٢١٦ .

(٤) م. ن، ١/٢١٦ .

(٥) الرافعي، عبد الكريم بن محمد (ت٦٢٣هـ). فتح العزيز في شرح الوجيز. (بيروت: دار الفكر)، ٣/١٨٩؛ النووي، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ). روضة الطالبين. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٦/٢٥٧ .

٥- **المقاربة واليوذعانية**: تُنسب هذه الفرقة إلى يوذعان من همدان، وقيل اسمه يهوذا كان يحث على الزهد وتكثير الصلاة، وينهى عن اللحوم والأنبذة ويزعم أن للتوراة ظاهرًا وباطنًا وتنزيلًا وتأويلًا، وخالف بتأويلاته اليهود كافة[١].

٦- **الموشكانية**: وهم أصحاب موشكان، وقد سار على مذهب يوذعان، لكنه يوجب الخروج على مخالفيه، وقد ذُكر عن جماعة من الموشكانية أنهم أثبتوا نبوة محمد ﷺ إلى العرب وسائر الناس، سوى اليهود اعتقادًا منهم أنهم أهل ملة وكتاب[٢].

وتُعدُّ هذه الفرق من الفرق الكبيرة عند الديانة اليهودية، وتشعبت منها الفرق الأخرى إلى إحدى وسبعين فرقة، وجميع هذه الفرق أجمعوا على أن التوراة بشرت بنبي من بعد موسى، غير أن افتراقهم وخلافهم إما في تعيين ذلك النبي أو الزيادة على هذا النبي، وخروج نبي آخر الزمان موصوف بالكوكب المضيء، الذي تُشرق الأرض بنوره وهم متفقون على ذلك[٣].

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٢١٧ .
(٢) م. ن، ١/ ٢١٧ .
(٣) م. ن، ١/ ٢١٩ .

المطلب الثاني: أعياد اليهود

كما هو الحال في جميع الأديان فإن لأتباعها أعيادًا ومناسبات أو ربما تجعل من محنة كبيرة أنجاها الله منها عيدًا تحتفل به كل عام، ولليهود أعياد كثيرة منها ما هو مشابه لبعض أعياد الأديان الأخرى أو ما هو مستقل عنها على وفق المناسبة التي وضع من أجلها ومن هذه الأعياد[١]:

* **العيد الأول**: عيد رأس السنة، ويسمونه عيد رأس هيشا أي عيد رأس الشهر ويوافق اليوم الأول من تشرين، وهو بمنزلة عيد الأضحى عند المسلمين ويقولون: إن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل وفداه الله بذبح عظيم.

* **العيد الثاني**: عيد صوما ريا ويسمونه الكبور وهو عندهم الصوم العظيم، ويقولون أن الله فرض عليهم صومه، ومن يتوانى عن صومه يُقتل ومدة صيامه خمسًا وعشرون ساعة يبدأ قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشرين وينتهي بمضي ساعة بعد غروبها في اليوم العاشر وربما سموه العاشور وشروط إفطاره رؤية ثلاثة كواكب عند الإفطار وهي عندهم تمام الأربعين الثالثة التي صامها موسى، كما يُشترط أنه لا يقع هذا الصوم عندهم يوم الأحد أو الثلاثاء أو الجمعة، ويزعمون أن الله يغفر لهم ذنوبهم عدا الزنا بالمحصنة وظلم الرجل أخاه وجحده ربوبية الله تعالى.

* **العيد الثالث**: عيد المظلة وهو سبعة أيام، أولها الخامس عشر من تشرين وكلها أعياد عندهم واليوم الآخر منها يسمونه عرايا أي (شجر الخلاف) وهو أيضًا حج لهم، ومن طقوسه أنهم يجلسون تحت ظلال جريد النخل وأغصان الزيتون وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه على الأرض ويزعمون أن ذلك

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢/ ٤٦٤-٤٦٦ .

تذكار منهم لإظلال الله إياهم بالغمام عندما كانوا في التيه.

* **العيد الرابع**: عيد الفطر ويسمونه الفصح ويوافق في الخامس عشر من نيسان وهو سبعة أيام يأكلون فيه الفطير وينظفون فيه بيوتهم، لأن هذه الأيام عندهم من الأيام التي خلص الله فيها بني إسرائيل من فرعون بعد إغراقه حيث يأكلون فيه اللحم والخبز والفطير

* **العيد الخامس**: ويدعى عيد الأسابيع ويسمى عيد العنصرة وعيد الخطاب، ويكون بعد عيد الفطر بسبعة أسابيع، ويقولون: أنه اليوم الذي خاطب الله نبي الله إسرائيل من طور سيناء وفي جملة هذا الخطاب الكلمات العشر وهي من الوصايا التي تضمنت أمرًا ونهيًا، وهو حج من جملة أعياد حجهم وهم يُعظمونه ويأكلون فيه القطائف ويتفننون في صناعتها ويجعلونها بدلًا من المن الذي أنزله الله عليهم ويسمى هذا العيد عندهم (عشرتا) ومعناه الاجتماع.

أما الأعياد التي أحدثها اليهود زيادة على التوراة، زاعمين أن التوراة نطقت به وهما عيدان:

* **العيد الأول**: الفوز وهو عندهم عيد سرور ولهو وخلاعة حيث يهدي فيه بعضهم إلى بعضهم ويعود إلى ذلك إلى أن بخت نصر لما أجلى من كان ببيت المقدس أسكنهم بجي وهي إحدى مدينتي أصفهان ثم ذهبت أيام الكلدانيين وملكت الفرس، فلما ملك أردشير ابن بابك وتسميه اليهود بالعبرانية (أجشادوس) وكان له وزير يدعى (هيمون) ولليهود يومئذ حبر يسمى (مردوخاي) فبلغ أردشير أن له ابنة عم وكان قد طلب أن يتزوجها منه فأجابه لذلك، فحظيت عنده فصار مردوخاي قريبًا منه، فأراد هيمون احتقاره حسدًا وعزم على قتل طائفة اليهود الموجودين في مملكته، وعين موعدًا لذلك وهو

النصف من آذار وقد خُصَّ هذا اليوم من سائر الأيام، لأن اليهود يزعمون أن موسى ولد فيه وتوفي فيه وأراد بذلك المبالغة في نكايتهم ليتضاعف الحزن عليهم بهلاكهم، فعلم موردخاي بذلك من بعض بطانة هيمون فأرسل إلى ابنة عمه وأخبرها بذلك وحرضها على الحيلة في خلاص نفسها وقومها، فأخبرت الملك بذلك من الحسد، فأمر بقتل هيمون وقتل أهله، وأن يكتب لليهود بالأمان والبر والإحسان في ذلك اليوم فاتخذوه عيدًا يصومون قبله ثلاثة أيام، وفي هذا العيد يصورون من الورق صورة هيمون ويملئون بطنها نخالة وملحًا ويلقونها في النار حتى تحترق .

* **العيد الثاني**: عيد الحنكة ومدته ثمانية أيام، حيث يوقدون في الليلة الأولى من لياليه على كل باب من أبوابهم سراجًا، وفي الليلة الثانية سراجين وهكذا إلى أن يكون في الليلة الثامنة ثمانية سرج، وهم يذكرون أن سبب هذا العيد أن بعض الجبابرة تغلب على بيت المقدس وفتك باليهود، وانتهك أعراضهم فوثب عليه أولًا كهّانهم وكانوا ثمانية فقتله أصغرهم، وطلب اليهود زيتًا لوقود الهيكل فلم يجدوا إلاَّ يسيرًا وقد وزعوه على عدد منهم يوقدونه من السرج على أبوابهم، في كل ليلة إلى تمام ثمان ليال فاتخذوا هذه الأيام عيدًا وسموه الحنكة، ومعناه التنظيف لأنهم نظفوا فيه الهيكل من أقذار شيعة الجبار وبعضهم يسميه الرباني.

* * *

المطلب الثالث: أنبياء بني إسرائيل

يوشع بن نون عليه السلام(١)

وهو الذي أخبر الله تعالى عنه باسم (فتى موسى)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾(٣)، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ بأن اسمه يوشع، قال رسول الله ﷺ: (ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون..)(٤).

وقد اتفق أهل الكتاب على نبوته، ومن المعلوم أن السامرة لا يقرون بنبوة أحد من الأنبياء بعد موسى وهارون إلاَّ نبوة يوشع بن نون عليه السلام.

بعد أن لبث موسى عليه السلام وقومه من بني إسرائيل في التيه واستمروا فيه أربعين سنة ومات موسى وهارون فيه، وقد بعث الله تعالى يوشع بن نون فأخبر قومه بذلك بأن الله أرسله إليهم وأمره أن يقاتل الجبارين، واقتحموا عليهم فقتلوهم فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها، وقد استقرت بنو إسرائيل في بيت المقدس بعد سيطرتهم عليه، وظل يوشع بن نون بين أظهرهم يحكم بينهم بالتوراة، حتى قبضه الله إليه وقد بلغ

---

(١) الطبري/ تاريخ الطبري، ١/٢٥٨-٢٥٩؛ ابن كثير، قصص الأنبياء. ط١ . (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٨٣م)، ص٤٣٨-٤٤٨ .

(٢) سورة الكهف، الآية (٦٠).

(٣) سورة الكهف، الآية (٦٢).

(٤) البخاري، ٤/١٧٥٢ .

من العمر مئة وسبعًا وعشرين سنة، فكانت مدة حياته بعد موسى سبعًا وعشرين سنة.

* * *

حزقيل عليه السلام(١)

وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد خلف كالب بن يوقنا ويقال له ابن العجوز وسمي بذلك لأن أمه سألت الله تعالى أن يرزقها بولد وكانت قد بلغت من العمر عتيًا، وعقمت فاستجاب الله لها ووهب لها حزقيل لذلك قيل له ابن العجوز، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله بقوله: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾(٢).

وقد نقل عن ابن إسحاق: أنهم فروا من وباء نزل بأرضهم فنزلوا بصعيد من

---

(١) ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو الشيباني أبو بكر (ت ٢٨٧هـ). كتاب الزهد لابن أبي عاصم. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط٢ . (القاهرة: ار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ)، ١/ ٨٣؛ ابن جعفر، عبد الله بن محمد الأصبهاني أبو محمد (ت ٣٦٩هـ). العظمة. تحقيق: رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري. ط١ . (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ)، ٦/ ٢١٤؛ الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٢٧١؛ ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣ هـ). التمهيد لابن عبد البر. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري. (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ)، ٦/ ٢١٤؛ ابن كثير، قصص الأنبياء ص٤٧٣-٤٧٥ .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٢).

الأرض فقال الله لهم: موتوا فماتوا جميعًا ومر عليهم زمن طويل فمر بهم نبي الله حزقيل فوقف عليهم متفكرًا، فقيل له: أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر؟ فقال: نعم فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسي لحمًا وأن يتصل العصب بعضه ببعض، فناداهم عن أمر الله له بذلك فقام القوم أجمعون وكبروا تكبيرة واحدة، ولم يذكر المدة التي لبث حزقيل في بني إسرائيل فلما قبضه الله إليه نسي قومه مواعظه وعادوا إلى سابق عهدهم فعبدوا الأوثان، وقد كان من جملة الأصنام التي عبدوها صنم يقال له: (بعل)، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين وقصة إلياس قد اقترنت مع قصة الخضر عليه السلام وقد تنبأ بعده اليسع.

* * *

إلياس عليه السلام(١)

وهو أحد أنبياء بني إسرائيل وقد أرسله الله تعالى إلى أهل بعلبك غربي دمشق، وكانوا أهل أوثان يعبدون صنمًا لهم يسمونه (بعل)، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(٢).

ومما قيل حول ذلك أن أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى كانوا يُبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، وكان إلياس عليه السلام مع ملك من ملوك بني إسرائيل

(١) الطبري، تفسير الطبري، ٢/٥٩٦؛ تاريخ الطبري، ١/ ٢٧٣؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ٩٩؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٦٨ .
(٢) سورة الصافات الآيتان (١٢٤- ١٢٥).

يقال له: (أخاب)، وكان يسمع منه ويصدقه وكان إلياس يقيم له أمره وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا ذلك الصنم يعبدونه من دون الله فجعل الياس يدعوهم إلى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئًا إلاَّ ما كان من ذلك الملك فقال ذلك الملك الذي كان إلياس معه يُقوّم له أمره ويراه على هدى، من بين أصحابه يومًا ياإلياس والله ما أرى ما تدعو إليه إلاَّ باطلًا والله ما أرى فلانًا وفلانًا يعدد ملوكًا من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان إلاَّ على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتنعمون وما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل، فيزعمون أن الياس استرجع لقوله فعاقبه الملك فخرج إلياس عنهم ففعل الملك فعل أصحابه فعبد الأوثان وصنع ما يصنعون، وقيل أن إلياس قد استخفى في الغار عشر سنين، حتى أهلك الله الملك وتولى غيره فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلام فأسلم، وأسلم معه أكثر قومه وعصاه بعضهم فقتلهم جميعًا.

* * *

اليسع عليه السلام(١)

وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم مرتين قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)، وقوله

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ١٠٠؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٨٥-٣٨٦؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٧٦ .
(٢) سورة الأنعام الآية (٨٦).

تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾(١)، وقد كلفه الله تعالى بالنبوة بعد وفاة نبي الله إلياس، وكان يدعو إلى الله مستمسكًا بمنهاج نبي الله إلياس عليه السلام، وظل على منهجه إلى أن توفاه الله تعالى ثم خلف فيهم الضلال وعظمت فيهم الأحداث والخطاياوجحدت الملوك، وقيل أنه كان من بين هؤلاء ملك جبار، ويقال أنه الذي تكفّل له ذو الكفل إن هو تاب ورجع دخل الجنة فسمي لذلك ذو الكفل.

* * *

أشمويل عليه السلام(٢)

وهو من أنبياء بني إسرائيل ممن لم يصرح باسمه في القرآن الكريم ولكن أُشير له بقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة صّ الآية (٤٨).

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي (ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر)، ١/٤٨-٥٠؛ الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٢٧٥-٢٧٨؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٧٨-٤٨٣ .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٦).

وكان من أمره أنه غلبت العمالقة من أرض غزة وعسقلان على بني إسرائيل وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا وسبوا من أبنائهم جمعًا كثيرًا، وانقطعت النبوة من سبط لاوي، ولم يبق فيهم حبلى إلاَّ امرأة فجعلت تدعو الله أن يرزقها ولدًا ذكرًا، فولدت غلامًا فسمته أشمويل ومعناه بالعبرانية إسماعيل أي سمع الله دعائي، فلما ترعرع بعثته أمه إلى المسجد وأسلمته عند رجل صالح يكون عنده يتعلم من خبره وعبادته فكان عنده فلما بلغ أشده بينما هو ذات ليلة نائم إذا بصوت يأتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعورًا فظنه الشيخ يدعوه فسأله أدعوتني؟ فكره أن يفزعه فقال: نعم . . نم . . فنام ثم ناداه الثانية فكذلك ثم الثالثة، فإذا جبريل يدعوه، فجاءه فقال إن ربك قد بعثك إلى قومك فكان من أمره ما قص الله في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقد أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء لذلك سألوا نبيهم أن يُنصّب لهم ملكًا يكونون تحت طاعته، ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه فقال لهم:

﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾[2]، فاستجاب الله لهم وأرسل لهم طالوت ليكون ملكًا عليهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، من الآية (٢٤٦).
(٢) سورة البقرة من الآية (٢٤٦).
(٣) سورة البقرة الآية (٢٤٧).

وقيل أن النبوة كانت في سبط لاوي والملك كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في إمارته، ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾(١) قصدوا بذلك فقره لأن المال هو المقياس عندهم، وعندما صار طالوت ملكًا عليهم سار بهم ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾(٢) يُقال هو نهر الأردن وهو المسمى بالشريعة، وكان ذلك امتحانًا واختبارًا لجنوده، وزعموا أن عدد الجيش كان ثمانين ألفًا فشرب منه ستة وسبعون ألفًا وبقي معه أربعة آلاف، ولما برزوا لقتال جالوت دعوا الله، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣) فاستجاب لهم ونصرهم على عدوهم.

* * *

داود عليه السلام(٤)

هو من أنبياء بني إسرائيل الذي أرسله الله إليهم بعد نبي الله أشمويل وقد

---

(١) سورة البقرة من الآية (٢٤٧).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٤٩).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٠).

(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٢٨١-٢٨٥؛ أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ). حلية الأولياء. ط٤ . (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ٢/ ٣٢٧؛ المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٥٠٧هـ). البدء والتاريخ، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية)، ٣/ ١٠١-١٠٢؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٨٤-٤٩٧ .

وصفه وهب بن منبه بقوله: (كان داود قصيرًا قليل الشعر طاهر القلب)، لما قتل داود جالوت أحبته بنو إسرائيل كثيرًا، وأحبوا ملكه عليهم وآل الملك إليه وقد جمع الله له بين الملك والنبوة، وقد كانت في سبط والملك في سبط فجمع الله له بينهما قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾(١)، وقد مال الناس إلى داود حتى لم يبق لطالوت ذكر وخلعوا طالوت وولوا عليهم داود قال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾(٢)، فقد أعانه الله على صناعة الدروع من الحديد ليحصن المقاتلة من الأعداء بعد أن ألان له الحديد حيث كان يفتله بيده لا يحتاج إلى نار ومطرقة وقد كان داود عليه السلام يعمل ويأكل من كسب يده وقد ثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «**ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»(٣)، وقد كان داود يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ولا يفر إذا لاقى**»(٤).

وقد وهبه الله تعالى صوتًا جميلًا لم يعطه أحد قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٥).

وقد كان رسول الله ﷺ يُشبّه جمال صوت أبي موسى الأشعري بصوت داود

(١) سورة البقرة من الآية (٢٥١).
(٢) سورة سبأ الآية (١٠).
(٣) البخاري، كتاب البيوع ٢/ ٧٣٠.
(٤) البخاري، ٢/ ٨١٦؛ مسلم، ١/ ٣٨٠.
(٥) سورة صّ الآيتان (١٨-١٩).

حيث قال له: «يا أبا موسى لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير داود»[١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرج فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلاَّ من عمل يديه**»[٢] أراد بالقرآن الزبور، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وعند موته حزنت عليه بنو إسرائيل حزنًا شديدًا، ولم يكونوا أشد جزعًا من بعد موسى وهارون منهم على داود عليه السلام.

* * *

سليمان عليه السلام[٣]

هو سليمان بن داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[٤] وقد كان من فضل الله تعالى عليه أن سخر له المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٥] ويذكر الله لنا قصة الهدهد بقوله: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[٦] وقد كانت

---

(١) البخاري، ٤/ ١٩٩٥؛ مسلم، ١/ ٥٤٦ .

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ٢/ ٣١٤ .

(٣) الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٢٨٧-٢٩٠؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ١٠٣-١٠٨؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤٩٨-٥١٩ .

(٤) سورة النمل الآية (١٦).

(٥) سورة النمل الآية (١٧).

(٦) سورة النمل الآية (٢٠).

وظيفته على ما ذكر أنهم كانوا إذا أعوزهم الماء في القفار في حال الأسفار فينظر لهم في الأرض عن ماء.

وقد سخر الله له الجن فقد طلب منهم أن يأتوا إليه بعرش بلقيس وهو سرير مملكتها الذي تجلس عليه وقت حكمها، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾[١].

كان سليمان مطيعًا لله قال الله عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٢] أي رجاع مطيع لله كما سخر الله له الريح قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾[٣] فقد سخرها الله له حيث أراد من البلاد، ومما قيل عنه أن سليمان عليه السلام قال مرة لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقلها فلم تحمل نساؤه شيئًا إلاَّ واحدًا ساقطًا أحد شقيه، فقال النبي ﷺ: «**لو قالها لجاهدوا في سبيل الله**»[٤] كما ذكر الله تعالى ما وهب له من خير في الدنيا، وما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر العظيم قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[٥]، وقد استمر ملكه أربعين سنة وقيل عشرين سنة.

* * *

(١) سورة النمل الآيتان: (٣٨-٣٩).
(٢) سورة صّ (٣٠).
(٣) سورة سبأ من الآية (١٢).
(٤) البخاري، ٣/ ١٢٦٠؛ مسلم، ٣ / ١٢٧٥ .
(٥) سورة صّ من الآية (٢٥).

زكريا ويحيى عليهما السلام(١)

هما من أنبياء بني إسرائيل وقد جاء ذكرهما عليهما السلام بقوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾(٢) وقد كان نبي الله زكرياقد استحوذ عليه الضعف وكبر السن، ولم يكن له ولد وقد طلب من الله أن يرزقه بولد ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾(٣) وقد كان زكريانجارًا يعمل من كد يده، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كان زكريانجارًا)(٤) وقد استجاب الله دعاءه ورجاءه وبشره بولد قال تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾(٥) وقد علمه الله الحكمة وعلمه الكتاب صغيرًا قال تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾(٦) وقد كان برًا بوالديه ومطيعًا لهما قولًا وفعلًا قال تعالى: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾(٧) وقد مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٨)، لأنه لم يتزوج النساء وقيل غير ذلك، وكان يحيى بن زكريا قد أمره الله بخمس كلمات فعن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: « **إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهنَّ ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن. .اولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به**

---

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ١١٧؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٥٤٣- ٥٥٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، /٧-١١ .

(٢) سورة مريم الآيتان (٢-٣).

(٣) سورة مريم الآية (٦).

(٤) مسلم، ٤/ ١٨٤٧ .

(٥) سورة مريم الآية (٧).

(٦) سورة مريم الآية (١٢).

(٧) سورة مريم الآية (١٤).

(٨) سورة آل عمران الآية (٣٩).

شيئًا. وأمركم بالصلاة[١] **وأمركم بالصيام... وأمركم بالصدقة وأمركم بذكر الله»**[٢] وقد كان يحيى ممن يكثر الانفراد عن الناس ويأنس للبراري وقيل في سبب مقتله أقوال من أشهرها، أن بعض ملوك دمشق كان يريد أن يتزوج من إحدى محارمه فنهاه يحيى عن ذلك، فكانت المرأة تخفي له في نفسها كرهًا فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثت إليه من قتله وجاء برأسه ويقال إنها هلكت في وقتها وساعتها، وقيل إن بخت نصر قد قتل من بني إسرائيل على دمه أعداد كبيرة، وقيل أن أباه زكريا قد قتل أيضًا وقيل غير ذلك وكان يحيى وعيسى ابني خالة.

* * *

عيسى بن مريم عليه السلام[٣]

هو آخر أنبياء بني إسرائيل وأمه مريم من سلالة داود عليه السلام، وكانت أم مريم قد نذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها حبيسًا في بيت المقدس، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري (ت ٢٣٣هـ). صحيح ابن خزيمة. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م)، أخرجه إلى هنا لكن ليس فيه (أن تعبدوا الله)، ٢/ ٦٤ .

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٢٠٢؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٥٥ .

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/ ٦٨-٧٢؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ١١٨-١٢٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ٢٢٨-٢٢٩؛ ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٥٥٧-٦٠٥ .

﴿ٱلْعَلِيمُ﴾[١] وقد استجاب الله دعاءها وحملت بمريم ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٢]؛ لأن كل إنسان يمسه الشيطان عند ولادته وقد حدث عن ذلك رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلاَّ والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخًا من مس الشيطان إلاَّ مريم وابنها**»[٣] وفي حديث آخر قوله: «**كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان بإصبعه إلاَّ مريم بنت عمران وابنها عيسى**»[٤] وحين وضعتها أتت بها المسجد فسلمتها إلى العبّاد، وقد تنازعوا أيهم يكفلها وكانت في كفالة زكريا؛ لأنه زوج خالتها، وقد أنزلها زكريا مكانًا شريفًا في المسجد لا يدخله سواه فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما عليها من سدنة البيت وكانت عابدة حتى شاع ذكرها بين بني إسرائيل، وكانت لها كرامات من ربها فكان زكريايدخل عليها ويجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥]، ويذكر الله تعالى أن الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٦]

(١) سورة آل عمران الآية (٣٥).
(٢) سورة آل عمران الآية (٣٦).
(٣) البخاري، صحيح البخاري، ٥/١٦٦؛ ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ). صحيح ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، ١٤/١٢٨.
(٤) ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله (ت٢٤١هـ)، مسند أحمد، (مصر: مؤسسة قرطبة)، ٢/ ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣١٩.
(٥) سورة آل عمران من الآية (٣٧).
(٦) سورة آل عمران الآية (٤٢).

بأن الله اختارها لإيجاد ولد من غير والد، وبشرتها بأن يكون نبياشريفًا وقد بعث الله لها جبريل عليه السلام فنفخ فيها فحَمَلت بعيسى، ولما حملت ضاقت به ذرعًا، وعلمت أن الناس سيتكلمون بذلك وقد اتُهمت في ذلك قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾(١) وقد ظهرت عليه آيات منذ صغره وأنزل الله عليه الإنجيل وعلمه التوراة وعلمه إحياء الموتى وإبراء المرضى والعلم بالغيب وما يدخرون في بيوتهم ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢)، وتحدث الناس بذلك وكان يدعوهم إلى الله حتى فشا أمره بينهم ولم يكن له أي منزل يأوي إليه إنما كان يسيح في الأرض ولم يكن له موضع يُعرف به، وعندما علم اليهود عنه تلك المعجزات ازدادوا عليه غضبًا وحقدًا، وقد أقام عليهم عيسى الحجة والبراهين لكن لم يكن يلقى منهم إلاَّ الكفر والجحود، فعزموا على قتله وصلبه فأنقذه الله منهم ورفعه إليه من بين أظهرهم وألقى الله شبهه على أحد أصحابه فأخذوه وقتلوه وصلبوه، وهم يعتقدونه عيسى بن مريم قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾(٣).

---

(١) سورة مريم الآية (٢٧).

(٢) سورة آل عمران الآية (٤٩).

(٣) سورة النساء الآية (١٥٧).

المبحث الثالث: تاريخ وجود اليهود وأماكنهم في شبه الجزيرة العربية وأسبابه

المطلب الأول: تاريخ الوجود اليهودي في شبه الجزيرة العربية

اختلفت آراء المؤرخين في تحديد التاريخ الزمني الذي استوطن فيه اليهود شبه الجزيرة العربية، ويعود ذلك إلى عدم الوصول إلى رأي قاطع، يؤكد متى كان هذا التاريخ، منهم من زعم أن اليهود كانوا في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بمئات السنين.

والرأي المشهور ما ذهب إليه الإخباريون الإسلاميون، هو أن اليهود لجأوا إلى الحجاز في حقبتين رئيستين:

الحقبة الأولى: حوالي (١٢٠٠ق م) بعد وفاة نبي الله موسى عليه السلام.

الحقبة الثانية: بعد الميلاد عقب استيلاء الرومان على فلسطين وتخريب الهيكل عام سبعين للميلاد على أثر حملة (هيدريان) عام (١٢٢م)[(١)].

وقد ذهب المؤرخون إلى وضع تلك التواريخ، التي ارتبطت بأحداث تاريخية دلت على تاريخ استقرار هذه الفئة من الناس، على هذه البقعة من أرض شبه الجزيرة العربية، وربطوها بأحداث كانت من الأهمية بحيث سجّلتها التوراة، وكثير من المؤرخين ويمكن عدّ هذه الأحداث نكبة ألمت ببني إسرائيل عبر تاريخهم.

---

(١) محمد أحمد باشميل، غزوة خيبر. ط٥ . (دار الفكر، ١٣٩هـ، ١٩٧٩م)، ص٢٨ .

وسوف استعرض هذه الأحداث، وحسب تسلسلها الزمني لدى المؤرخين ومدى صحتها وفق الميزان التاريخي:

الحدث الأول: كان قُبيل وفاة نبي الله موسى أي حوالي (١٢٠٠ ق م)[١] عندما أرسل جيشًا لمحاربة العماليق والقضاء عليهم في منطقة يثرب، وكانوا قد طغوا في البلاد حتى بلغت غاراتهم بلاد الشام، وقد أمرهم موسى إن هم ظفروا بهم أن يقتلوهم جميعًا[٢].

وقد سجلت التوراة هذا الحدث بقوله: (هذا ما يقول الرب القدير: تذكرت ما فعل بنو عماليق ببني إسرائيل حين خرجوا من مصر، وكيف هاجموهم في الطريق فاذهب الآن واضرب بني عماليق وأهلك جميع مالهم، ولا تعف عنهم بل اقتل الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والجمال والحمير)[٣]. وعندما ظفروا بهم قتلوهم أجمعين ولم يبق منهم سوى ابن لملكهم كان صغيرًا فرحموه واستبقوه، وعندما عادوا إلى الشام، كان نبي الله موسى عليه السلام قد مات، فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه فقالوا لهم أنتم عصيتم ما أمر الله به موسى، لا تدخلوا الشام علينا أبدًا فأخرجوهم عنها، فقال بعضهم لبعض: ما لنا غير البلد الذي ظفرنا به وقتلنا أهله، فرجعوا إلى يثرب وأقاموا بها، وكان ذلك قبل ورود الأوس والخزرج إليها بعد سيل العرم باليمن، ومن

---

(١) باشميل، غزوة بني قريظة. ط٣ . (دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)، ص٣٦ .

(٢) الأصبهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ). الأغاني. تحقيق: سمير جبر. ط٢ . (بيروت: دار الفكر)، ٣/ ١١٠؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت ٥٩٧هـ). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم حتى ٢٥٧ . ط١ بيروت: دار صادر، ١٣٥٨هـ)، ١/ ٣٥٦؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ). مقدمة ابن خلدون. ط٥ . (بيروت: دار القلم، ١٩٨٤م)، ٢/ ١٦٨ .

(٣) الكتاب المقدس، سفر صموئيل الأول، ١٥/ ٣ .

هؤلاء اليهود بنو قريظة والنضير، وبنو قينقاع وغيرهم، وكان هذا أول سكن لليهود في الحجاز، ثم لحق بهم بنو الكاهن بن هارون، فكانت لهم الأموال والضياع بالسافلة، والسافلة ما كان في أسفل المدينة إلى جبل أُحد[(١)] .

الحدث الثاني: وهو من الأحداث التي وضعها المؤرخون سببًا آخر في هجرة اليهود إلى جزيرة العرب، وكان ذلك في زمن غزو بخت نصر لبيت المقدس في حملتين شهيرتين، الأولى كانت في سنة (٥٩٧ ق. م)، والثانية سنة (٥٨٦ ق. م)[(٢)].

ويعود سبب هذا الغزو إلى طغيان بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض وقتلهم أنبياءهم، على الرغم من كل الآيات التي أُنزلت إليهم ورأوها رأي العين. ومما قيل أن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا في الأرض، وقتلوا الأنبياء وكثرت معاصيهم، أرسل الله عليهم بخت نصر، فسار إليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصره وفتحه ومن ثم خرّبه[(٣)]، وسلب حليه واستخرج كنوزه وأورده بابل وكان بيت المقدس قد بناه نبي الله سليمان عليه السلام وقد سار ببني إسرائيل حتى نزل بابل، فأقاموا بين يديه مئة سنة، تعذبهم عبدة الأوثان وأبناءهم ثم أعادهم أحد ملوك فارس يدعى (كورش) وأعاد معهم حلي بيت المقدس[(٤)]. وهذا الحدث الثاني الذي دفع بني إسرائيل للهجرة إلى شبه الجزيرة العربية كما هو رأي المؤرخين.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٣/ ١١٠-١١١؛ ابن خلدون، المقدمة، ٢/ ١٦٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٥٦ .

(٢) أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٩٦ .

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٣٤ .

(٤) الطبري، تفسير الطبري، ١٥/ ٢٢؛ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ، (ت ٤٤٤هـ)، السنن الواردة في الفتن وغوائلها وأشرا طها. تحقيق: ضياء الله محمد إدريس المباركفوري. (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٦هـ)، ٥/ ١١٠٢-١١٠٣ .

الحدث الثالث: وهي الحقبة الواقعة ما بين (٧٠-١٣٢م)[١]، فبعد الأسر البابلي قام أحد ملوك الفرس ويدعى (بهمن اسفنديار) ويسميه بعض المؤرخين (كورش)[٢] وأعاد بني إسرائيل من بابل إلى بيت المقدس، وأمر بإعادة إعّماره، وبعد حقبة زمنية قام (طياليس) ملك الروم بغزو بيت المقدس، بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام، فتحصنوا منه أشد تحصين فغزاهم في البر والبحر[٣]، حيث قام بقتل من كان في المدينة وسبى ذراريهم، ودمر المدينة بشكل لم يبق منها حجر على حجر[٤]، وخرب بيت المقدس وأمر بإحراقه[٥]، ودمر مسجدها وأمر أن يُزرع مكانه[٦] واستخرج كنوزه وحلته والتابوت وغيرها من الأشياء الثمينة[٧] ولم يزل كذلك إلى أن جاء الإسلام وفُتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٨].

وقد هرب بنو إسرائيل من الروم يريدون الحجاز، كي يُقيموا مع من كان موجودًا منهم سابقًا، وعندما غادروا الشام وجه ملك الروم في طلبهم جيشًا ليردهم، فأعجزوا رسله وفاتوهم وانتهى الروم إلى ثمد[٩]، بين الشام والحجاز

(١) باشميل، غزوة بني قريظة، ص٣٨ .
(٢) الطبري، تفسير الطبري، ١٥/ ٢٢؛ المسعودي، أبو الحسن علي عبد الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ). التنبيه والإشراف، ص١٧١ .
(٣) الطبري، م . ن، ١٥/ ٢٢ .
(٤) الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٣٤٢ .
(٥) الطبري، تفسير الطبري، ١٥/ ٢٢ .
(٦) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ١/ ٢٢٢ .
(٧) القرطبي، تفسير القرطبي، ١/ ٢٢٢ .
(٨) المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/ ١٥٥ .
(٩) ثمد الروم: وهو موقع بين الشام والمدينة، والثمد الماء القليل. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (بيروت: دار الفكر)، ٢/ ٨٤ .

فماتوا عطشًا، فسمي ذلك الموضع ثمد الروم[١].

هذه الأحداث الثلاثة الكبيرة التي تقدمت اتخذها الكثير من المؤرخين سببًا لهجرة اليهود واستيطانهم شبه الجزيرة العربية، فضلًا عن رحلات التجارة أو التبشير باليهودية، بعد إقامة مملكة داود في أرض كنعان، التي عدها بعض الباحثين[٢] سببًا آخر أُضيف إلى تلك الأسباب، ولو تفحصنا تلك الأسباب المتقدمة، ومحّصناها بشكل دقيق لوجدنا في كل ما احتوته هذه الأحداث أو الأسباب ثغرات، توصلنا للشك الكبير في صحتها أو اعتمادها سببًا لتلك الهجرات.

لذلك أقول أن قصة العماليق وما فيها يؤخذ عليها من عدة جوانب:

الجانب الأول: تعليمات سيدنا موسى لجيشه بقتل كل شيء، وعدم الإبقاء على كل نبض حياة يجدونه كما يدعي اليهود وغيرهم فهي رواية موضوعة، فليس من عقيدة الأنبياء أن يكون هذا نهجهم وما أمرهم الله به، لأن كل نبي إنما جاء بدين الإسلام وتعاليمه في الحفاظ على النفس البشرية، وخاصة التي أوصت بها الأديان السماوية، كالشيخ الكبير والنساء والأطفال أو الحيوان، لا الإبادة الكاملة التي قيلت عن نبي الله موسى، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٣]، هذه من ناحية ومن ناحية أخرى قوله تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[٤]، فهذه هي عقيدة موسى

(١) الأصبهاني، الأغاني، ٢٢/ ١١٣؛ الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٨٤ .
(٢) حداد، الرؤية العربية لليهودية، ص٤٤ .
(٣) سورة الإسراء: من الآية (١٥).
(٤) سورة المائدة: من الآية (٤٥).

وما أُنزل عليه، فما بال الأطفال والحيوانات والأبرياء؟

فضلًا عن ما تقدم نجد تناقضًا واضحًا في تلك الرواية وتناقضًا في نص التوراة المتقدم، حول وصايا موسى بقتل كل شيء حي حيث أشارت التوراة إلى عكس ذلك تمامًا

والنصوص كالآتي:

(ولا تحكم بالموت على البرئ)(١)، وقوله: (إذا لقيت ثور عدوك أو حماره شاردًا فرده إليه)(٢) وقوله: (.. فنفس بنفس وعين بعين وسن بسن ويد بيد ورجل برجل، وحرق بحرق وجرح بجرح ورضٌّ برض)(٣)، فمن كانت هذه مبادئه وعقيدته، فكيف يخالفها ويخالف وصايا الله له؟

ومن ناحية أُخرى: كيف يكون لموسى إرسال جيشٍ من الشام إلى الحجاز لإبادة العماليق، ألم يكن موسى وقومه يسيحون في التيه وقد مات موسى وهارون عليهما السلام فيه فمتى وكيف تمَّ إرسال هذا الجيش؟ وهو على هذا الحال حيث لا يملك لنفسه ولا لقومه الخلاص مما هم فيه فضلًا عن أن العماليق كانوا في أرض فلسطين وليسوا في الجزيرة العربية والذي أعتقده أن هذه القصة موضوعة ومرفوضة جملة وتفصيلًا ولا أساس لها من الصحة.

الجانب الثاني: قصة الجيش الموسوي عند عودته من مهمته في شبه الجزيرة العربية، وإبقائه على ابن ملك العماليق رحمة به، فكيف يكون عند هذا الجيش رحمة افتقرها نبي الله موسى؟ والغريب في هذه القصة الأخلاق الحميدة والطاعة الفريدة، التي حلّت على من خلف موسى ورفض إدخالهم أرض الشام

(١) سفر الخروج، ٢٣/ ٧.
(٢) سفر الخروج، ٢٣/ ٤.
(٣) سفر الخروج، ٢١/ ٢٤-٢٥.

لأنهم عصوا أوامر موسى، ولو تساءلنا متى كانت هذه الأمة اليهودية على هذا القدر من الطاعة والحرص عليها؟ حتى يمتثلوا إلى هذه الأوامر ومنعهم من الدخول، وهم أنفسهم قد خالفوا أوامر موسى ووصيته بإبادة العماليق، وقتلهم جميعًا على حد زعمهم، ولو وضعنا تاريخهم الحافل بالمعاصي وعدم الطاعة والجحود والكفر وما إلى ذلك الذي لا يخفى على كل ذي بصيرة لوجدنا العجب.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز آيات بينات تبين نماذج لهذه الأمة التي تُدعى موسوية قال تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾[١] لا شك في أن الذين اختارهم موسى هم خيرة بني إسرائيل ووجهاء القوم، فإذا كانت عقيدة هذا المختار من القوم، فكيف يكون من كان دونه؟

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[٢] وقوله تعالى أيضًا: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[٣].

هذه بعض الآيات التي تدل على معصية اليهود أنبياءهم، وفوق كل هذا الجحود قتل أنبيائهم قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة الأعراف: من الآية (١٥٥).
(٢) سورة البقرة الآية (٥٥).
(٣) سورة المائدة الآية (٢٢).
(٤) سورة المائدة الآية (٧٠).

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾(١)، وقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول ﷺ مصير قاتل الأنبياء يوم القيامة بقوله: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبي**»(٢).

أما الكتاب المقدس فله نصيب وافر في ذكر هذه المخالفات والجحود ومعصية أنبيائهم وهي كالآتي:

(فاعلم ذلك وتأكد أن الرب إلهك لم يعطك هذه الأرض الصالحة حتى تمتلكها لأنك صالح فأنت شعب عنيد، واذكروا يابني إسرائيل ولا تنسوا كيف أغظتم الرب إلهكم في البرية ومنذ خروجكم من أرض مصر جئتم هذا المكان لا تزالون تتمردون على الرب)(٣).

وقوله أيضًا: (.. قم انزل سريعًا من هنا لأن شعبك الذين أخرجتهم من مصر فسدوا وزاغوا سريعًا عن الطريق التي رسمتها لهم وصنعوا لهم تمثالًا مسبوكًا)(٤).

وقوله: (وكلمني الرب فقال: هذا الشعب فإذا هو شعب عنيد، دعني فأبيدهم وامحوا اسمهم من تحت السماء)(٥). (وزغتم سريعًا عن الطريق التي

---

(١) سورة النساء الآية (١٥٧).

(٢) ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله (ت ٢٤١هـ). مسند أحمد. (مصر: مؤسسة قرطبة)، ١/ ٤٠٧؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ). مجمع الزوائد. (القاهرة: دار الريان- دار الكتاب العربي)، ١/ ١٨١ . وقال: رواه الطبراني في الكبير وفي الصحيح منه قصة المصور وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف وهو في معجم الطبراني الكبير، ١٠/ ٢٦٠، الحديث (١٠٤٩٧)، وفيه زيادة.

(٣) سفر التثنية، ٩/ ٦-٧ .

(٤) سفر التثنية ٩/ ١٢ .

(٥) سفر التثنية ٩/ ١٣

أوصاكم بها الرب)[١]، (لتصعدوا وترثوا الأرض التي أعطاها لكم، تمردتم على ما أمر به الرب إلهكم ولم تثقوا به ولم تسمعوا لقوله، فمن يوم عرفتكم وأنتم تتمردون على الرب)[٢]. هذا غيض من فيض لجحود هذه الأمة لربها ولأنبيائها، وتكذيب وإلحاح وقتل للأنبياء وافتخارهم بذلك، فهل يمكن لهذا الأمة أن تكون مطيعة لأحد من خلق الله بعد ذلك؟ أم هل هناك من يعتقد أن الجيش الذي خالف أوامر موسى ورحم طفلًا أخذه أسيرًا، ينصاع إلى أوامر من خلف موسى أليس هذا مثيرًا للشك؟

الحدث الثاني: فهو قصة غزو بخت نصر وتخريبه لبيت المقدس والاستيلاء على كنوزه وأسر اليهود والذي سمي بالسبي البابلي. وفي هذا الحدث أيضًا نقاط غامضة تحتاج إلى دراسة ونقد، فهل لغزو بخت نصر لبيت المقدس الأثر والسبب الكبير، الذي دفع بني إسرائيل للهجرة إلى شبه الجزيرة العربية؟

ولو تساءلنا لماذا اختار اليهود شبه الجزيرة العربية القاحلة، ذات الصحارى الواسعة والمياه القليلة، أليسوا هم أنفسهم تمردوا على موسى عليه السلام عندما كانوا في التيه؟ على الرغم من أن الله قد أظلهم بالغمام وأنزل عليهم المن والسلوى رزقًا يتمناه كل البشر، ألم يطلبوا من موسى طعامًا أدنى منه؟ وقد سجل القرآن الكريم هذه الحالة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾[٣].

---

(١) سفر التثنية ٩/١٦ .
(٢) سفر التثنية ٩/٢٣-٢٤ .
(٣) سورة البقرة من الآية (٦١).

أما ما جاء في التوراة شبيهًا بذلك قولهم:

«فألقوا اللوم على موسى وهارون في البرية، وقالوا لهما: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر فهناك كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام حتى نشبع فلماذا أخرجتمانا إلى هذه البرية لتميتا هذا الجمع كله بالجوع»[١].

إذا كانت طباع هذه الأمة على هذه الشاكلة، فكيف يختارون بلادًا جدباء قاحلة لا ماء فيها ولا شجر، على بلادٍ خضراء ذات مياه وعيون كالبلاد المجاورة لهم مثل بلاد الشام ومصر وغيرها، أليس هذا غريبًا على طباع أمة مثل اليهود؟ ألم تكن الأرض أمامهم والبلدان بطولها وعرضها؟ وإذا كانوا يريدون الصحارى للاختباء من عدوهم، ففي تلك البلاد المجاورة لبيت المقدس غايتهم التي ينشدونها، التي تكفي مساحتها لاختفائهم عشرات السنين، وتبقى قريبة من بلادهم كي يعودوا إليها عند زوال الخطب الذي ألم بهم، فضلًا عن ذلك فإن أعدادهم لم تكن من الكثرة بحيث يحتارون بأمرهم، فبيت المقدس وما حوله لا تشكل المساحة الكبيرة، قياسًا بما حوله من البلاد المجاورة.

هذه القصة أو الحدث من وجهة نظري ولما تقدم، بعيدة على أن تكون سببًا وجيهًا يدعو إلى القناعة، في استيطان الأمة اليهودية في شبه الجزيرة العربية.

الحدث الثالث: ينطبق عليه الملاحظات نفسها، عن اختيارهم لبلاد قاحلة بعيدة لا البلاد المجاورة، فضلًا عن ملاحظة أخرى يمكن أن تجعل من هذا السبب بعيدًا عن اعتماده، وهو كيف مات جيش الروم عطشًا عندما لحق بالفلول الهاربة إلى شبه الجزيرة العربية ولم يمت اليهود؟ مع العلم أن جيش الروم جيش نظامي غزا بيت المقدس في البر والبحر، وله من الخبرة في مجال

---

(١) سفر الخروج، ١٦/ ٢-٣.

الإعداد والحروب الشيء الكثير، فمن يركب البحر ويسلك البر، لا بد أن يكون على دراية بشؤونه وإعداده، فضلًا عن أن المهاجم هذا يكون مستعدًا ومهيئًا، وعلى درجة عالية منه وليس كالهارب بأهله وماله ولا يملك لنفسه إلاَّ الخلاص والسلامة والمؤونة القليلة؟ ولا يتمتع بخطا سريعة كالتي عند المستعد ركوبًا ومؤونة، وهل يكون هذا الجيش وقائده على هذه الدرجة من قلة الخبرة حتى يفني جيشه وراء فلول هاربة من غير أن يكون إعداده على مستوى المطاردة وظروفها؟

أما السبب الأخير: وهو التجارة أو التبشير في نشر اليهودية، فيمكن جعله أبعد ما يكون عن القناعة، ويعود ذلك إلى سبب بسيط فالكيانات اليهودية التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية هنا وهناك لم يكن لها أي تأثير دعوي يمكن اعتماده سببًا في استيطانهم، وإذا كان هناك بعض من تهود من عرب الجزيرة فإن ذلك يعود إلى أسباب ذكرها المؤرخون دارت مع عادات الأعراب فعن ابن عباس رضي الله عنهما إن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعش لها ولد تحلف لئن عاش لها ولد لتهودنه فلما أُجليت بني النضير كان فيهم بعض أبناء الأنصار، فقال الأنصار: يارسول الله أبناؤنا! فنزل قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾[1].

وقال الشعبي: قالت الأنصار والله لنكرهن أولادنا على الإسلام فإنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم نعلم دينًا أفضل منه فنزلت الآية المتقدمة[2].

نقول: لو كان الأمر كما قالوا لدخل الآباء في هذا الدين مع أبنائهم.

---

(١) سورة البقرة من الآية،(٢٥٦) ؛ الطبري، جامع البيان، ٣/ ١٤ .

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٣٠٥؛ أبو المحاسن، يوسف بن محمد الحنفي، معتصر المختصر. (بيروت - القاهرة: عالم الكتب - مكتبة المتنبي)، ١/ ٣٤٣ .

وذهب الأبشيهي[(١)] إلى أن النصرانية كانت في ربيعة وغسان وبعض قضاعة، على حين كانت اليهودية في نمير وبني كنانة وكندة.

وذكر البيضاوي أنه كانت هناك مصاهرة بين العرب واليهود قبل الإسلام، وأن أُناسًا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع وكانوا ينفقون عليهم، فكرهوا لما أسلموا أن ينفعوهم[(٢)].

مما تقدم من تلك الأقوال يمكن أن نستنتج أن تهود من تهود كان ناتجًا عن ظروف وأسباب دعت إلى ذلك، والمصاهرة بينهما أمر طبيعي بالنسبة للعربي ومن المعلوم من أن للعربي الكثير من السبايا والعبيد ممن يتخذهنَّ امهات لأولاده، والذي عليه النظام القبلي معروف لدى الجميع، فهو نظام متماسك بطاعة القبيلة وبآبائه، وخير دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[(٣)] فمن يكون هذا تفكيره كيف له أن يتهود؟ ومن خلال الروايات يُلاحظ أن الذين تهودوا كان لأسباب دعت إليها الحاجة من الاعتقاد في بقاء أولادهم أحياء،ولم يتهود الأباء؟ وهي حالات محدودة جدًا، ومَثَلُهُ موجود عندنا في هذا الوقت على الرغم من انتشار العلم بين جميع طبقات المجتمع، ولو كان غير ذلك فلِمَ تهود الأبناء ولم يتهود الآباء؟ والأوس والخزرج أكبر دليل على ذلك وهم أولى الناس بذلك، على اعتبار أنهم الأقرب إلى الأمة الموسوية في المكان والحلف، ولم نجد أي أوسي أو خزرجي قد دان بديانتهم ولكن كلًا من الطائفتين يعمل على شاكلته ودينه ومعتقده، فهم حلفاء في الحرب جنبًا إلى جنب، ويحارب اليهودي اليهودي إلى جنب الأوسي

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح (ت ٨٥٠هـ). المستطرف في كل فن مستظرف. تحقيق: محمد مفيد محمد قميحة. ط٢ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، ٢/ ١٧٤ .

(٢) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ١/ ٥٧٢ .

(٣) سورة الزخرف الآية (٢٢).

أو الخزرجي، ولكن يبقى كل منهم على دينه، وفي الجانب الآخر من العرب نجد بعض من تهود أو تنصر من العرب، كورقة بن نوفل[(١)] أو من كان على دين الحنيفية كقس بن ساعدة الأيادي[(٢)]، وقليل ما هم إلاَّ أننا نجد انتشارًا لليهودية في اليمن في حقبة زمنية كانت ضمن ظروف وأسباب وليدة وقتها، وسوف استعرضها في مبحث آخر، وعلى ما تقدم يمكن أن نؤكد أن اليهود وديانتهم متقوقعة على نفسها وليس لها الأثر الكبير.

أما من الناحية التبشيرية فقد أجاب عنها الدكتور جواد علي بقوله: (لذلك نستطيع أن نقول إن اليهودية كانت من الناحية التبشيرية عند ظهور الإسلام جامدة خامدة، لا يهمها نشر الدين بقدر ما تهمها المحافظة على الحياة وعلى المركز الذي توصلت إليه وعلى تجارتها التي تعود عليها بمال غزير فكانت لذلك لا تهتم بحركة إلاَّ إذا وجدت فيها فائدة لها)[(٣)].

وعلى كل ما تقدم يمكن القول أن السبب الحقيقي وراء الهجرة والاستيطان اليهودي في شبه الجزيرة العربية، يعود إلى هجرة مدروسة ومنظمة ومخطط لها، وتخفي وراءها غاية أكبر من مجرد هروب من كرب أو عدو، فلو جمعنا الروايات المتناثرة في كتب الأقدمين، لوجدنا ضالتنا التي ننشد، ولتوصلنا إلى قناعة علمية مستندة على أسس متينة بيّنت هذه الغاية، آلا وهي انتظار خروج خاتم الأنبياء محمد ﷺ الذي يجدونه عندهم في التوراة وبشرى عيسى بن مريم عليه السلام به، فلو أعدنا النص المتقدم المأخوذ من العهد القديم حول النبي لوجدنا

---

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٥٣٣ .

(٢) الضحاك، أحمد بن عمرو أبو بكر الشيباني(ت ٢٨٧هـ). الآحاد والمثاني .تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة. ط١ . (الرياض: دار الراية، ١٤١١هـ-١٩٩١م)، ٣/ ٢٦٠ .

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام .ط١ . (بيروت، بغداد: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م)، ٦/ ٥١٥ .

تلك البشارة وتحديد المكان الذي يخرج منه: (أقبل الرب من سيناء، وأشرق لهم من جبل سعير وتجلى من جبل فاران)[١]، وأراد بسعير جبال بيت المقدس، حيث مكان ظهور المسيح أما فاران فالمقصود بها جبال مكة حيث مكان ظهور النبي محمد ﷺ[٢].

نلاحظ في هذا النص تحديد مكان خروج النبي ﷺ، لذلك نجدهم يختارون المكان بكل دقة ودراسة لا هجرة عشوائية، وقد دلت على ذلك النصوص والروايات التاريخية التي سُجّلت حول هذا الموضوع ومنها:

ذكر ابن سيرين[٣] أن بني إسرائيل كانوا يجدون محمدًا ﷺ منعوتًا بصفته في التوراة، وأنه يخرج من بعض هذه القرى العربية فكانوا يقتفون الأثر[٤].

ورواية أخرى عن بعض علماء اليهود، أوردها الأصفهاني والحموي[٥] قولهم: أنهم كانوا يجدون في التوراة صفة النبي ﷺ وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حرتين[٦] فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصًا منهم على اتباعه، فلما

---

(١) الكتاب المقدس، سفر التثنية، ٣٣/ ٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣/ ٢٥٩؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٥٠٥.

(٣) ابن سيرين: هو محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمره البصري مولى أنس بن مالك، كان فقيهاً ورعاً عالماً بالقضاء، يعبر الرؤيا أدرك ثلاثين من الصحابة (ت ١١٠هـ)، السيوطي، طبقات الحفاظ. ط١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ١/ ٣٩.

(٤) الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ). النهاية في غريب الأثر. تحقيق: طاهر أحمد الراوي، محمود محمد الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، ٤/ ٩٠.

(٥) الأصبهاني، الأغاني، ٢٢/ ١١٣؛ الحموي، معجم البلدان، ٥/ ٨٤.

(٦) الحرتان: تثنية الحرة وهي الأرض التي ألبستها حجارة سود. ابن منظور، لسان العرب / ١/ ٧٤٦. واللوبة: نبات معروف مذكر يمد ويقصر. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ). المصباح المنير. (بيروت: المكتبة العربية)، ٢/ ٥٦٠.

رأوا تيماء وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا : هذا البلد الذي نريده فنزلوا فيه، فكانوا أهله وسادته.

والرواية الثالثة: التي أوردها ابن كثير[١] عن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة، قال: هل تدري عمَّ كان إسلام ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هدل أخوة بني قريظة ؟ قلت: لا؟ قال: فإن رجلًا من اليهود من أرض الشام يقال له ابن الهيبان قد قدم علينا قبل الإسلام فنزل بين أظهرنا، وكان تقيًا ورعًا صالحًا إلى أن قال: فلما حضرته الوفاة عندنا وعرف أنه ميت، قال: يامعشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع!، قلنا أنت أعلم، قال: فإني إنما قدمت هذه البلد لخروج نبي وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن إليه يامعشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء وسبي الذراري فيمن خالفه فلا يمنعنكم ذلك منه.

من الروايات المتقدمة، فضلًا عن نص التوراة نلاحظ سعيهم إلى مكان فيه صفات معينة يقصدونها، ولو تأملنا تلك الأماكن التي نزل فيها اليهود في شبه الجزيرة العربية وتفحصناها لوجدنا قاسمًا مشتركًا يجمع بينها، أرض فيها نخل ذات أحجار سوداء وتربتها مالحة وتقع في شبه الجزيرة العربية لذلك نجد تيماء وهي على مشارف بلاد الشام، فيها صفة أرادوها بقولهم: (هو البلد الذي نريده) فلوا كان استيطانهم تيماء لهروب من عدو كما تقدم فلماذا اختاروها وهي قريبة من بلاد الشام وتحت مضارب سيوف عدوهم؟ بل على العكس تمامًا، كان اختيارهم مقصودًا بعينه.

ورواية إسلام اليهود الثلاثة التي كان لأبن الهيبان الفضل القديم فيه نجد في

---

(١) البداية والنهاية، ٢/ ٣٠٩-٣١٠ .

قوله تأييدًا آخر لما ذهبت إليه، بأن أرض شبه الجزيرة العربية ليست لليهود بأرض، لما عرف من طباعهم وحرصهم على ملذات العيش وأكبر شاهد على ذلك قول ابن الهيبان:

(ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟).

ومن الروايات التي تدل وبشكل صريح على الغاية من نزوح اليهود إلى شبه الجزيرة العربية وإقامتهم فيها ما بينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أثناء إجلائه لليهود عن شبه الجزيرة العربية، وهي كالآتي:

أجلى عمر اليهود من خيبر وأمر يهود الوادي أن يتجهزوا بالجلاء إلى الشام، وكان المعنى في ذلك أن اليهود إنما جاؤوا من الشام إلى أرض الحجاز وكان مقصود رؤسائهم من ذلك طلب الحنيفية لما وجدوا في كتبهم من بعث رسول الله ونعت أمته وبذلك كان يوصي بعضهم بعضًا فلما بُعث رسول الله ﷺ امتنعوا عن متابعته والانقياد للحق الذي دعا إليه حسدًا وكفرًا قال تعالى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١)، فجوزوا على سوء صنيعهم بأن لا يمكثوا من المقام في أرض العرب وأن يعودوا إلى الموضع الذي جاء منه آباؤهم فلهذا أجلاهم عمر(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم من ظهور بخت نصر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا وكانوا يجدون محمدًا رسول الله منعوتًا في كتابهم وأنه يظهر في بعض القرى العربية في قرية بين الشام واليمن يجدون نعتها

---

(١) سورة البقرة من الآية (٨٩).

(٢) السرخسي، شمس الدين (ت ٤٨٣هـ). المبسوط. تحقيق: جمع من الأفاضل. (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ)، ٢٣/ ٤-٥ .

نعت يثرب فنزل بها. طائفة منهم يرجون أن يلقوا محمدًا فيتبعونه حتى نزل من بني هارون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة فأدركه من أدركه من أبنائهم وكفروا وهم يعرفون[١].

وأضيفُ بعضًا من هذه الرويات دعمًا للموضوع:

❑ رواية سلمان الفارسي ﷺ وقصته المعروفة في سبب إسلامه عندما كان عند بعض علماء أهل الكتاب، فرارًا من وثنية قومه نرى إسلامه على أثر وصية علماء أهل الكتاب الذين كان ملازمًا لهم في العبادة والخدمة والأتباع ليأخذ عنهم الدين، حتى قال له آخرهم قبيل وفاته، قد أظلك زمان نبي يُبعث من الحرم مهاجره بين الحرتين إلى أرض سبخة[٢] ذات نخل[٣].

❑ أما رواية السرخسي[٤] فتؤكد أيضًا وبشكل واضح سبب الهجرة إلى شبه الجزيرة العربية حيث قال: (إن اليهود إنما جاؤوا من الشام إلى أرض الحجاز

(١) السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١هـ). كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب. ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)، ١/ ٤٤؛ الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ). سبل الهدى في سيرة خير العباد. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط١. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ)، ١/ ١٢٢.

(٢) السبخة: هي الأرض ذات ملح، الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي. و د. إبراهيم السامرائي. (دار النشر: دار مكتبة الهلال)، ٤/ ٢٠٤.

(٣) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ). تاريخ بغداد. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١/ ١٦٨؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة. ط٢. تحقيق: محمد فاخوري، محمد رواس قلعه جي، ١/ ٥٢٩؛ القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ). التدوين في أخبار قزوين. تحقيق: عزيز الله العطاردي. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧هـ)، ١/ ٧٤.

(٤) شمس الدين، المبسوط، ٢٣/ ٣.

وكان مقصود رؤسائهم من ذلك طلب الحنيفية، لما وجدوا في كتبهم من بعث رسول الله ﷺ ونعت أمته وبذلك كان يوصي بعضهم بعضًا).

إنَّ جميع الروايات التي تقدمت ما هي إلاَّ القليل مما احتوته كتب التاريخ القديمة، وتشير بمجموعها، بأن هذه الأمة اليهودية إنما جاءت إلى شبه الجزيرة العربية لغاية محددة وحملت في حقائبها بشارات عن النبي المنتظر، وعرفت مكانه وصفته لذلك كان اختيارهم مدروسًا بعناية شديدة ومخططًا له، كالمكان وما فيه من المواصفات التي تنطبق على نصوص أخذوها وحفظوها عن أنبيائهم (شبه الجزيرة العربية، وإمارات النخل، والتربة المالحة، وأرض ذات أحجار سوداء) ظنًا منهم أن يكون هذا النبي منهم، كي يظفروا بخاتم الأنبياء وينطبق عليهم وبحق أمة فضلها الله على العالمين، لكن الله ردهم باختياره أمة العرب كي تكون الأمة التي تحمل أمانة تلك الرسالة ومبادئها التي أراد الله أن تكون للعالم كافة وبألوانه المختلفة.

* * *

المطلب الثاني: أماكن وجود اليهود في شبه الجزيرة العربية:

يُعدُّ اليهود من العناصر الدخيلة التي وفدت على شبه الجزيرة العربية، واختارت لها أماكن محددة بمواصفات اختارتها بعناية شديدة، فكان بعضها على شكل مدن كبيرة تضم كل منها أكثر من قبيلة، كمدينة يثرب وخيبر واليمن أو كيانات صغيرة هنا وهناك من أطراف الجزيرة ومشارف الشام، وأكثرهم كانوا في اليمن وخيبر ويثرب وما حولها من القرى، وكان منهم بأرض فارس، لكنهم كانوا أعز ما يكون في المدينة وخيبر(١) .

يمكن استعراض هذه التجمعات حسب أهميتها في الأحداث التي جرت بينهم وبين المسلمين وهي كالأتي:

أولًا: يثرب: تضم هذه المدينة تجمعات يهودية كبيرة، حيث احتضنت عدّة قبائل من بني إسرائيل وهم: بنو عكرمة، وبنو ثعلبة، وبنو محمر، وبنو زاغوراء، وبنو قينقاع، وبنو زيد، وبنو النضير، وبنو يهدل، وبنو عوف، وبنو الفصيص، وكان من بين هؤلاء من كان ذا مال وشرف ونسب كما يدعون، فكان على مستوى من العز على سائر اليهود(٢) ومن هؤلاء بنو قريظة وبنو النضير، الذين عرفوا عن سائر اليهود بالكاهن(٣) على وفق مصطلحهم، وهو الكاهن بن هارون بن عمران، وبذلك يعود نسبهم إلى بيت النبوة إن صح ادعاؤهم، وبذلك يرتفعون إلى اصل رفيع ميزهم عن بقية الطوائف اليهودية،

---

(١) ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ١/ ١١ .

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/ ١١٣-١١٤ .

(٣) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت ٥٨١هـ). الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق: مجدي منصور الشورى. ط١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، ٣/ ٣٩٤؛ السيوطي، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، ٢/ ٢٧٧ .

ولهذا كانوا يتفاخرون على غيرهم ويرون لهم حق السيادة على سائر اليهود[(١)]، وقد استوطن هؤلاء اليهود يثرب وظلوا كذلك بكيانهم إلى أن جاء الإسلام.

ثانيًا: خيبر: تقع منطقة خيبر في شمال شرقي المدينة، وتبعد حوالي سبعين ميلًا عنها وهي بلدة عامرة ذات نخيل كثير، وقد أحصى المسلمون عدد النخيل في أحد أوديتها فوجدوا بها أربعين ألف نخلة، وهي ذات تربة خصبة وعيون عذبة ومياه غزيرة[(٢)].

ومعنى الخيبر في لغة اليهود هو الحصن، وهي بلدة بني عنزة من اليهود، وقد كانت في صدر الإسلام دارًا لبني قريظة والنضير، وبها كان السموأل بن عاديا الشاعر[(٣)].

ومن الجدير بالذكر أن يهود خيبر كانوا متفوقين على جميع إخوانهم من اليهود من ناحية الشجاعة، والصبر على القتال[(٤)] فضلًا عن تماسكهم على العكس من يهود يثرب، حيث كان بنو قينقاع أعداء لبني قريظة حيث افترقت هاتان القبيلتان وتحالف كلٌ منهما مع قبيلة عربية، فصارت بنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الأوس فكانوا يقتتلون فيما بينهم[(٥)].

ثالثًا: يهود الشمال: في جهة الشمال من شبه الجزيرة العربية، حيث يتواجد اليهود في عدّة مناطق تمتد من وادي القرى حتى مقاطعة تيماء في أقصى الشمال، ويُعدُّ وادي القرى وتيماء من أهم المناطق اليهودية في هذه البقعة

---

(١) باشميل، غزوة بني قريظة، ص٣٥ .
(٢) باشميل، غزوة خيبر، ص٢٤ .
(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٤/ ٢٩٥ .
(٤) باشميل، غزوة خيبر، ص٣٥ .
(٥) الألوسي، روح المعاني، ١/ ٣١١ .

الشمالية، وهما منطقتان خصبتان فيهما العيون والمياه العذبة[١] .

١- **منطقة تيماء**: وهي بلدة من أطراف الشام تقع بين الشام ووادي القرى على طريق حج الشام ودمشق، ويشرف عليها حصن الشاعر السموأل بن عاديا اليهودي، ولذلك كان يُقال لها تيماء اليهودي[٢]، وقد تردد اسم تيماء اكثر من وادي القرى والكيانات اليهودية في تلك المنطقة ويعود ذلك لشهرة شاعرها، ويُعدُّ يهود تيماء من اليهود المسالمين، حيث لم يسجل عليهم أي إثارة للفتن أو الحرب ضد المسلمين[٣].

وقد صالحوا رسول الله ﷺ لما بلغهم وطء النبي ﷺ لوادي القرى في السنة التاسعة للهجرة، فأرسلوا إليه وصالحوه على دفع الجزية وأقاموا ببلادهم وبقيت أرضهم بأيديهم[٤].

٢- **وادي القرى**: يقع هذا الوادي بين الشام والمدينة ويقع بين خيبر وتيماء، ويضم إليه قرى كثيرة ولهذا أطلق عليه وادي القرى، وتعود تسميته بذلك لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة[٥].

عندما افتتح الرسول ﷺ خيبر جاءته يهود وادي القرى وهم شركاء بني عذرة بالوادي، عندما خافوا أن يغزوهم رسول الله فأعطوا ما بأيديهم وطلبوا منه الأمان وكان هذا مما نصر الله تعالى رسوله بالرعب[٦] لقوله عليه الصلاة

---

(١) باشميل، غزوة بني قريظة، ص٥٠ .
(٢) الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٦٧،
(٣) باشميل، غزوة بني قريظة، ص٥٢ .
(٤) الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٦٧ .
(٥) الحموي، م. ن، ص٣٣٨ .
(٦) السرخسي، المبسوط، ٣/٢٣ .

والسلام: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»[١].

٣- فدك: وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة، وهي كيان يهودي صغير ورئيسهم يوشع بن نون اليهودي، كان قد أرسل إليهم الرسول ﷺ بعد انصرافه من خيبر محيصة بن مسعود الأنصاري يدعوهم للإسلام فصالحوا رسول الله على نصف الأرض بتربتها[٢].

٤- أذرح: وهو بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة[٣]، ثم من نواحي البلقاء[٤]، صالحهم رسول الله ﷺ على مئة دينار والنصح والإحسان لمن لجأ إليهم من المسلمين[٥].

٥- إيلة: وهي مدينة تقع على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام وهي مدينة صغيرة ذات زرع يسير، وتُعدُّ مدينة لليهود قال عنها المؤرخون: هي المدينة التي حرم الله على أهلها صيد السمك يوم السبت[٦].

أما الطائف: فقد كان الوجود اليهودي فيها قليلًا جدًا حيث لم يذكر

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل(ت ٢٥٦هـ). صحيح البخاري. (بيروت: دار الفكر)، ١/ ١٢٨؛ مسلم، صحيح مسلم، ١/ ٣٧٢ .

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١/ ٤٢ .

(٣) الشراة: وهي بلد بالشام بين دمشق ومدينة الرسول ومن بعض نواحي القرية المعروفة بالحميمة (الحمة)، الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٣٣٢ .

(٤) البلقاء: من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وسميت كذلك نسبة إلى بالق من بني عمان بن لوط الذي عمّرها، م. ن، ٨/ ٤٨٩ .

(٥) الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى. (بيروت: دار صادر)، ١ / ٢٩٠ .

(٦) الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٩١ .

التاريخ لهم أي وجود إلاَّ ما أورده البلاذري من أنه كان بمخلاف[١] الطائف قوم من اليهود، كانوا قد طردوا من يثرب واليمن[٢] وقد عملوا بالتجارة وقد وضع عليهم الرسول ﷺ الجزية ومن بعض هؤلاء اليهود ابتاع معاوية بن أبي سفيان أمواله بالطائف[٣].

أما في مكة فلم يسجل التاريخ أي وجود لليهود فيها، ولو كان هناك أي وجود لهم لكان لهم سجل تاريخي عند المؤرخين، من خلال احتكاكهم بالمسلمين سلبًا أو إيجابًا، وقد كان لبعض تجار اليهود زيارات تجارية إلى مكة[٤].

نلاحظ مما تقدم أن الوجود اليهودي عدا خيبر ويثرب، ما هو إلاَّ وجود صغير مبعثر في نواحي شبه الجزيرة العربية، ونلاحظ أيضًا أن أعدادهم قليلة جدًا مما يدل على ذلك قيمة الجزية التي فرضها رسول الله ﷺ عليهم، فنرى بعض هذه القرى لا يزيد عدد رجالهم على المئة، وفي قرية أخرى عن ثلاثمائة رجل، من أجل ذلك نراهم مسالمين، حيث لم يسجل التاريخ عليهم أي نشاط عسكري معاد للمسلمين على عكس يثرب وخيبر.

٦- **اليهود في اليمن**: يُعدُّ الوجود اليهودي في اليمن قبل الإسلام من أكبر التجمعات اليهودية وأقواها قياسًا بالأماكن الأخرى من شبه الجزيرة العربية، وقد اختلف المؤرخون في سبب هذا الوجود إلى عدّة آراء نقل بعضها أحمد باشميل: من أن اليمن عرفت اليهودية منذ عهد النبي سليمان عليه السلام أيام الملكة

(١) المخلاف: هي الأطراف والنواحي، ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٩٦،
(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ١/ ٦٧ .
(٣) م. ن، ١/ ٦٧-٦٨ .
(٤) باشميل، غزوة بني قريظة، ص٦١ .

سبأ التي جاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة النمل، إلاَّ أنه استبعد هذا الرأي لانعدام وجود دليل وأنه لم يجزم به أحد من المؤرخين المسلمين غير أنه لم يستبعد حدوثه(١).

أما رأي المؤرخين المسلمين في سبب هذا الوجود، فيعود إلى عهد تُبّع (تبان أسعد أبي كرب)(٢) عندما نصر الأوس والخزرج على يهود يثرب، وعندما أراد أن يحتل المدينة جاءه حبران من يهود بني قريظة وقالا له: لا تفعل أيها الملك، فإنك إن أصررت على ذلك فإنه حيل بينك وبينها، ولا نأمن عليك العقوبة فقال لهما: ولِمَ ذلك؟، قالا: هي مهاجر نبي آخر الزمان من قريش من هذا الحرم تكون داره وقراره فأعجبه ما عندهما من العلم لما سمع منهما فانصرف عن يثرب واتبعهما على دينهما، وقد كان تُبّع صاحب أوثان وعاد إلى اليمن ومعه الحبران ودعا قومه إلى اليهودية، فرفضوا بادىء الأمر وجرى بينهم جدال إلى أن اتبعته حمير على دينه الجديد(٣).

وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك في وصيته لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن بقوله: «**إنك ستأتي قومًا أهل كتاب**»(٤).

ومما تقدم نلاحظ إن اليهود يعلمون علم اليقين أنهم دخلاء على شبه

(١) غزوة بني قريظة، ص٥٥ .
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٣١٠ .
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ٣٢١-٣٢٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ١٦٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/ ٢٣؛ السيوطي، شرح سنن النسائي، ٥/ ٣ .
(٤) البخاري، صحيح البخاري، ٢/ ١٣٦، والحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما .

الجزيرة العربية، وكانوا يتصرفون على وفق ذلك، ويدل على هذا انهم لم يمنعوا الأوس والخزرج الذين نزلوا يثرب بعد سيل العرم، عندما زاحموهم على أرضهم على الرغم من وجود اليهود قبلهم بمئات السنين، فضلًا عن ضعف الأوس والخزرج وقتئذ قياسًا بساكنيها من اليهود.

والدليل الآخر في يهود اليمن أننا لم نر أي نشاط لهم بل على العكس فكان لوقع الإسلام في نفوسهم أقوى من كل العقائد السماوية والوثنية التي يدينون بها.

المبحث الرابع: العلاقات بين العرب واليهود قبل الإسلام

مما لاشك فيه إن ليهود شبه الجزيرة العربية علاقات مع قبائلها بحكم المواطنة والجوار فيما بينهم، ومن المؤكد أن هذه العلاقات كانت تتراوح بين التناحر والحرب، وبين علاقات يمكن تسميتها بالوثيقة فرضتها ظروف محلية، وفي حالات أخرى بالوفاء، فضلًا عن كونهم سادة المال في مجتمع فطري لا يحسن فلسفة اليهود للمال، وهناك التأثيرات الثقافية والعرفية العربية، التي كان لها الأثر الواضح في مجتمع تقوقع بثقافته وديانته عن مواطني شبه الجزيرة العربية الذين عايشوا اليهود، ويمكن أن نأخذ أمثلة على ذلك تدل على هذا الحال:

بعد سيل العرم الذي كان سببًا في هجرة الأوس والخزرج إلى شبه الجزيرة العربية ونزولهم يثرب وطن اليهود، فأقاموا فيها على جهد وضنك من العيش، كونهم ليسوا بأصحاب زرع أو نخل على حين أن اليهود كانوا ينعمون بخيرات يثرب فقد كانت لهم الأرض والمال، فنازعتهم اليهود وضيقوا عليهم وغلبوهم بكثرتهم وقهروهم حتى كان الرجل من اليهود، ليأتي منزل الأوسي أو الخزرجي فلا يستطيع دفعه عن أهله وماله[1]، إلى أن وَفَدَ مالك بن عجلان إلى أبي جبيلة الغساني، وهو أحد ملوك غسان فسأله الأخير عن حال قومه ومنزلهم في يثرب، فأخبره مالك بما هم عليه من ضيق الحال وضنك العيش، فقال أبو جبيلة: والله ما نزل قوم منا قط بلدًا إلاَّ غلبوا أهله عليه فما بالكم؟، ثم أمره بالمضي

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/ ٢٠٤ .

إلى قومه وقال له إني سائر إليهم، فعاد مالك وأخبرهم إلى أن جاء أبو جبيلة ودعا رؤساء اليهود وخاصتهم وغدر بهم وقتلهم عن أخرهم، فخافت اليهود بعد ذلك وانكسرت شوكتهم(١)، وبعد ذلك صلح حال الأوس والخزرج فأنشأوا المنازل وغرسوا النخيل وزرعوا الأرض(٢).

ومدح الرمق بن زيد الخزرجي أبو جبيلة الغساني بقصيدة منها:

وأبو جبيلة خير من يمشي وأوفاهم يمينًا وأبره برًا وأعلمه لعلم الصالحينا(٣)

وقد رثت الشاعرة اليهودية سارة القرظية قومها الذين قتلهم أبو جبيلة بقولها:

بنفسي أمة لم تغن شيئًا بذي حُرَضٍ تعفيّها الرياح
كهول من قريظة أتلفتها سيوف الخزرجية والرماح(٤)

وبعد أن استتب الأمر ومكّن أبو جبيلة الأوس والخزرج من يثرب وقهر اليهود قال لهم: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشرافهم فلا خير فيكم ثم رحل إلى الشام(٥).

بعد هذه النتيجة التي آل إليها اليهود أذعنوا للأمر الواقع وتعاملوا على وفق الحال الجديد المفروض عليهم، وكان على كل قبيلة منهم أن تلتحق بقبيلة عربية حتى تحافظ على بقائها(٦)، وقد تحالف يهود المدينة من بني قريظة والنضير مع

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/١١٦؛ ابن الأثير، الكامل، ١/٥١٨ . جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٢٠ .
(٢) اليعقوبي، المصدر السابق، ١/ ٢٠٤ .
(٣) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/ ١١٤ .
(٤) م. ن، ٢٢/ ١١٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١/ ٥١٨ .
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ٢٢/ ١١٨ .
(٦) الألوسي، روح المعاني، ١/ ٣١١؛ جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٢٠ .

الأوس والخزرج على التناصر والتعاضد على من سواهم[١].

وقد ذكر المؤرخون أنه كان هناك وقائع وحروب بين اليهود وغطفان[٢] كانت تتراوح بين النصر والهزيمة. ومن الجدير بالذكر أن علاقة اليهود فيما بينهم في يثرب لم تكن على خير حال، فقد كانت بينهم عداوة فبنو قينقاع أعداء لبني قريظة، وكانت الأوس حلفاء بني قينقاع والخزرج حلفاء بني قريظة والنضير، والأوس والخزرج أخوان وبنو قريظة والنضير أخوان، ثم افترقوا فصارت بنو النضير حلفاء الخزرج وبنو قريظة حلفاء الأوس[٣].

هذه من ناحية التناحر والحروب والتحالف بين العرب واليهود، وهناك حالات من العلاقات الوثيقة انبثق عنها حالات من الوفاء ضُرب بها الأمثال:

فقد أوردت كُتُب التاريخ قصة وفاء السموأل بن عاديا الشاعر المعروف، وهو من يهود تيماء الذي كان صديقًا لأمرىء القيس وقد استودعه الأخير سلاحه، فسار إليه الحارث بن أبي شمر الغساني فطلبه منه، فأغلق السموأل حصنه دونه فأخذ الحارث ابنًا له كان خارجًا من القصر وقال له: إما أن تؤدي إليَّ السلاح وإما أن أقتله، قال له: أقتله فلن أؤديها، فقتله[٤] وضُرب به المثل في الوفاء[٥]

---

(١) الحلبي، علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ). السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ)، ٢/ ١٥٩.

(٢) السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٣٩.

(٣) باشميل، غزوة بني قريظة، ص٤٤.

(٤) الأصفهاني، ٦/ ٣٤٧؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨١٢هـ). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق: يوسف علي الطويل. ط١. (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م)، ٣/ ١٥.

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط١. (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م)، ١/ ٣١٦.

ومدحه الأعشى[١] بقصيدة قال فيها :

كن للسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفلٍ كسواد الليل جرَّار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدّار[٢]

أما من الناحية الثقافية، فإن اليهود أهل كتاب وعلم، ويتميزون عن القبائل العربية في كتابهم السماوي وتعلمهم وقد نقل القلقشندي[٣] عن الواقدي قوله : كانت الكتابة عند القبائل العربية قليلة جدًا ولا سيما الأوس والخزرج، وكان يهودي من يهود ماسكة[٤] تَعْلَمُ الكتابة فكان يُعلِمُها الصبيان من الأوس والخزرج، وقد جاء الإسلام وفيهم بضعة عشر يكتبون كان منهم : سعد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت الذي كان يكتب باللغتين العربية والعبرية وغيرهم.

كما نلاحظ أن القبائل العربية كانت تعود إلى اليهود في الأمور التي يجهلونها على اعتبارهم أهل علم وكتاب، ويدل على ذلك إن قريشًا بعثت النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، إلى أحبار اليهود في المدينة، فقالوا : اسألوهم عن محمد فإنهم أهل كتاب، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء[٥] فضلًا

---

(١) الأعشى: شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم، واسمه ميمون بن قيس وهو أحد شعراء الجاهلية وفحولهم. الأصبهاني، المصدر السابق، ٩/ ١٢٧ .
(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ١/ ٣١٦ .
(٣) القلقشندي :صبح الأعشى، ٣/ ١٥ .
(٤) يهود ماسكة: كانت مساكنهم بناحية القف (ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلًا). الأصبهاني، م. ن، ١٧/ ١٧٣؛ الحموي : معجم البلدان، ٤/ ٣٨٣ .
(٥) القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ). الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق: أحمد حجازي السقا. (القاهرة: دار التراث العربي، ١٣٩٨هـ)، ١/ ٣٤٤؛ ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٥/ ٣٨١ .

عن ما تقدم نلاحظ التأثير المعاكس من العرب على اليهود فنجد العديد من اليهود الذين قالوا الشعر ووصلوا إلى مراتب متقدمة وصُنِّف بعضهم كفحول فيه منهم: السموأل بن عاديا المتقدم ذكره ومن شعره:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

وقوله أيضًا:

تعيرنا أنّا قليل عديدنا ... فقلت لها إنَّ الكرام قليل

ومنهم: الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير وكعب بن الأشرف وهو من طيء وأمه من بني النضير وشريح بن عمران، وسعية بن عاديا أخو السموأل وأبو قيس بن رفاعة وأبو الذيال ودرهم بن زيد[١] وسّماك اليهودي وهو من الشعراء الذي كان رده على المسلمين[٢] فضلًا عن سارة القرظية.

مما تقدم فإن الثقافة العربية وبيئتها كانت ذات تأثير على مواطنيها ودخلائها على حدٍّ سواء، ولا يمكننا أن نتجاهل هؤلاء الدخلاء وننسب كل ما هو حسن للعربي فقط، وقد قيل في السموأل ونسبه ما قيل[٣] وقيل في غيره من إعادتهم إلى أصول عربية، هذا لا يمنع من كونهم يهودًا ونحن نعلم أن الديانة اليهودية تضم تحت لوائها جنسيات من شعوب شتى وبشكل أصبح عدد قوم موسى من الذين خرجوا معه لا يُذكرون قياسًا بهم فالأمر طبيعي جدًا من أن يرجع بعضهم إلى جذور أخرى.

أما الناحية المالية: فإن اليهود هم عبيد المال، وكان بينهم وبين القبائل

---

(١) ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. (دار المدني - القاهرة)، ١/ ٢٨١-٢٩٤ .

(٢) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٨١ .

(٣) م، ن، ٦/ ٥٧٧ .

العربية بيوع ومعاملات ويدل على ذلك ما أورده ابن حجر[١]: إن يهودًا تبايعوا مع رجال من العرب في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم فقالوا: ليس لكم علينا أمانة ولا قضاء لكم لأنكم تركتم دينكم.. وقد سجل الله تعالى مقولتهم حيث قال:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وفي الجانب الآخر من المعاملات المادية بين العرب واليهود، فقد كان أَعْرَابُ الجزيرة يبتاعون منهم في كل ما يحتاجونه ويقترضون منهم بالربا بالفاحش، هذه الصناعة التي تدر عليهم المال الكثير، وكانوا سادتها ويحسنون إدارتها واكتساب ثرواتهم منها، وبثرواتهم وقروضهم للأعراب أثاروا الفتن والحروب بين القبائل العربية، يبتغون من وراء ذلك استعادة سلطانهم الذي فُقد على يد الأوس والخزرج، فمن خلال هذه الفتن كانوا يبتغون إنهاك هذه القبائل كي يسهل السيطرة عليها[٣] كما يحدث في وقتنا الحالي من بثّ الفرقة بين الشعب الفلسطيني الواحد تحت مسمّيات السلم والحرب. وعلى الرغم من كل المحاولات الهدامة إلاَّ أنهم لم يصلوا إلى ما يريدون، لذلك بقيت كل قبيلة حليفة لقبيلة عربية تؤدي لها الإتاوة كي تحافظ على بقائها خشية أن تتخطفها سيوف القبائل العربية الأخرى[٤].

---

(١) شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). العجاب في بيان الأسباب. تحقيق: عبد الحكيم محمد أنيس. ط١. (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٩٩٧م)، ٢/ ٦٩٧.

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٥).

(٣) باشميل، غزوة بني قريظة، ص٤٦.

(٤) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٣٣.

أما في مجال العمل والمهن فقد كان جُلَّ اعتماد اليهود قبيل ظهور الإسلام على التجارة وتعاطي الربا والزراعة، وبعض أنواع الصناعة: كالصياغة وتربية المواشي والدجاج وصيد الأسماك على ساحل البحر الأحمر، واشتهروا بتجارة البلح والبُر والشعير والخمر، وكان مصدر الأخير بلاد الشام، وكانوا يبيعون بالرهن، كما عملوا بصناعة النسيج وهي مهنة قامت بها نساؤهم والحدادة وهي من المهن التي يأنف منها العرب وهي من المهن الممقوتة عندهم[١].

(١) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٣٥-٥٣٦ .

الفصل الثاني

العلاقات بين العرب واليهود بعد ظهور الإسلام ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: موقف اليهود من الإسلام ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: النزاع بين العرب واليهود وأثره في انتشار الإسلام في يثرب.

المطلب الثاني: لقاء النبي ﷺ اليهود في يثرب.

المبحث الثاني: ما كان لأمر الإسلام بعد الهجرة من توافق لبعض العبادات.

المبحث الثالث: كيفية دعوة الرسول ﷺ اليهود إلى الإسلام ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دعوة الرسول ﷺ اليهود إلى الإسلام.

المطلب الثاني: أسئلة اليهود للنبي ﷺ والمناقشات الدينية.

المبحث الرابع: تعنتهم وحسدهم في عدم الإيمان وتحاكمهم إليه ﷺ .

المبحث الخامس: معاملة الرسول ﷺ لليهود والاستعانة بهم في الحرب.

المبحث الأول: موقف اليهود من الإسلام عند ظهوره

المطلب الأول: النزاع بين العرب واليهود وأثره في انتشار الإسلام بيثرب

عند المراجعة لموقف اليهود من الإسلام، يُلاحظ أنهم كانوا على علم بماهيته من أن نبيه خاتم الأنبياء ورسالته آخر الرسائل السماوية، فضلًا عن أنهم كانوا على موعد مع ظهور نبيه ومعرفة مكان هجرته، وكانت بداية المعرفة في مكة عند بدء دعوته ﷺ.

كانت قريش تقف حجر عثرة بوجه الإسلام وتحول دون انتشاره بين أهالي مكة، إذ استعملت جميع أساليبها القمعية ضد الدعوة الوليدة وأفرادها المعدودين، التي اشتملت على التعذيب والحصار وغير ذلك، وعندما استنفذت قريش تلك الوسائل التي لم يكن لها أي جدوى من النيل منهم، أخذت تبحث عن أساليب جديدة تخرجها من فشلها في محاربة هذا الدين، واتباع أسلوب جديد من خلال وضع هذا الدين تحت المجهر اليهودي بوصفهم أهل كتاب ولعلمهم بخبر النبوة والأنبياء، ولذلك دفعوا ببعض رجالهم إلى المدينة لسؤال أحبار اليهود عن ذلك لعلهم يحصلون على إثبات دامغ من أهل الاختصاص في الاستمرار في حرب رسول الله ﷺ وقد سجل التاريخ هذا الحدث:

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه إن قريشًا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بيثرب، كونهم أهل الكتاب وعندهم من علم

الأنبياء ما ليس عند غيرهم، وقالوا لهما: اسألوهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله، فقالت اليهود: اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهنَّ فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو متقول، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وما كان نبأه، وسلوه عن الروح ما هو؟ فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة، فقالا: يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، ثم سألوه عما أمروا به فجاء جبريل بسورة أصحاب الكهف وخبر ما سألوه عنه[1].

يُلاحظ مما تقدم أن اليهود قد تعاملوا مع هذا الأمر بنوع من الصدق والأمانة فيما استفتوا فيه.

ومن ناحية أخرى عدم المبالاة بخبر خروج النبي المرتقب وتعاملوا معه بعدم الاكتراث، بحيث لم يُكلِّفوا أنفسهم عناء التأكد من نبوته بإرسال وفدهم لاختباره بأنفسهم، على اعتباره النبي المرتقب الذي طالما توعدوا عدوهم بخروجه والوقوف معه ومن ثم مناصرته، أو ربما يكون استبعادهم لخروج هذا النبي من العرب، وبالتالي خروج النبوة من البيت اليهودي وإلى الأبد كونه آخر الأنبياء، ويفقدون الهالة الذهبية التي أحاطوا بها أنفسهم ظنًّا منهم أن النبوة حكرًا عليهم وهم القوامون عليها.

أما الأثر الإيجابي الذي كان له الفضل في انتشار الإسلام بين العرب في يثرب، هو النزاع الذي كان يقع بين اليهود وسكان المدينة من عرب الأوس والخزرج، وقد

---

(١) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت١٥١هـ). سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث. تحقيق: محمد حميد الله، (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب)، ٤/ ١٨٢؛ الكلاعي، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤هـ). الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي. ط١ . (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٧م)، ١/ ٢٣٢؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٢٣٨ .

أشار كُتّاب السيرة إلى هذا الحدث وقد اتفقوا على مضمونه وهو كالآتي:

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في مواسم الحج، لعلَّ الله يهدي به قومًا ضلوا عن فطرة الدين القويم وفي أحد المواسم لقي رسول الله ﷺ عددًا من الخزرج أراد الله لهم الهداية، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**من أنتم؟**»، قالوا: نفر من الخزرج، قال: «**أمن موالي يهود؟**»، قالوا: نعم، قال: «**أفلا تجلسون أكلمكم؟**» قالوا: بلى، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.

ومما أراد الله لهم الخير بالإسلام، أن يهود يثرب كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم فيه، وكان العرب أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم بلادهم بعد سيل العرم كما تقدم ذكره، وكان عندما يحصل بينهم شيء من النزاع والحرب، قال لهم اليهود: إن نبيًّا مبعوث الآن، قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم أولئك النفر رسول الله ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض، ياقوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا له: إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، (مشيرين بذلك إلى الحرب بين الأوس والخزرج كحرب بعاث)، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك، ثم انصرفوا عائدين إلى بلادهم وهم ستة نفر من الخزرج وقد ذكر أصحاب السير أسماءهم، وعندما قدموا إلى المدينة ذكروا لهم رسول الله ودعوهم إلى الإسلام حتى انتشر الإسلام فيهم فلم يبق دار من الأنصار إلاَّ وفيها ذكر من رسول الله، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم في بيعة العقبة الأولى كان العدد اثنا عشر رجلًا وفي العام الذي يليه كان العدد اثنان وسبعون رجلًا وامرأتين وهم الذين بعث معهم النبي مصعب فيهم الستة الأُوَل وهم جميعًا من الخزرج، وبعث معهم

رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، وكان يسمى المقرئ في المدينة(١).

هذه الرواية عن بداية إسلام الأنصار قد اعتمدها جميع كتَّاب السير السابقين واللاحقين، ويمكن أن نجد الأثر الإيجابي الذي أحدثه النزاع مع اليهود، وما كانوا يمنون به أنفسهم من خروج النبي المنتظر الذي كانوا يتوعدون به الأنصار وغيرهم.

من خلال تحليل الرواية المتقدمة نُلاحظ أمرين:

الأمر الأول: أخلاق الأنصار من خلال أدبهم الذي أبدوه عند لقائهم الأول مع النبي ﷺ وتمثل ذلك بقبولهم السماع منه على الرغم من الحملة الإعلامية لقريش، التي شمرت عن ساعدها واستنفرت رجالها في حملة كانت تقوم بها كل سنة في هذا الوقت من الموسم كي تمنع الرسول من الالتقاء بالوفود الزائرة لبيت الله الحرام خشية دخولهم في الإسلام، ومن ثم ذهاب سيادتهم الدينية باعتبارهم سدنة البيت وسادته.

الأمر الثاني: دخول الأنصار في الإسلام مباشرة فور سماعهم بنبوته ﷺ، فإن دل هذا الحدث على شيء، فإنما يدل على التعطش إلى الخروج من دائرة الوثنية والشرك إلى مركز الفطرة ودين الإسلام، واظهار إيمان هذه الفئة على أهل يثرب من الأوس والخزرج واعتناقهم له بمدة قياسية، لم تتجاوز إلاَّ لقاءين برسول الله ﷺ.

---

(١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت ٢١٣هـ). السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. ط١ . (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ)، ٢/٢٧٦-٢٧٨؛ ابن حنبل، مسائل الإمام أحمد. تحقيق: فضل الرحمن بن محمد. ط١ . (دلهي: الدار العلمية، ١٩٨٨م)، ١/٣٠٣-٣٠٤؛ الكلاعي. الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ١/٣١٢-٣١٤ .

وإذا تفحصنا الأسباب في نجاح الدعوة بين الأنصار بهذه السرعة وقارناها مع الدعوة لقبيلة قريش نجد اختلافًا شاسعًا بينهما، في عناد الأخيرة التي استمرت منذ بداية الدعوة إلى فتح مكة سنة ثمان للهجرة(١) أي حوالي واحد وعشرين عامًا، وإيمان الأنصار بجلستين ربما لم تتجاوز الواحدة منها الساعة فقط أو أقل إذا علمنا نُشطاء قريش في ملاحقة النبي في دعوته ومنعه من الالتقاء بأحد.

يمكن أن نستنتج من ذلك أن إسلام الأنصار بهذه السرعة، يعود إلى خلفية علمية حول النبوة والأنبياء والكتب السماوية التي تطرق أسماعهم من اليهود باعتبارهم مواطنين في بلد واحد وملازمين لهم، وكانوا يسمعون منهم حول هذا الموضوع بشكل شبه يومي، من خلال كنائسهم وأماكن عبادتهم وطقوسهم، ولم يكن غريبًا عنهم مما ترك الأثر الذي شكل أساسًا لتقبل الدين الإسلامي، فضلًا عن قناعتهم من انتظار اليهود لهذا النبي فأرادوا أن يكون لهم السبق الأول في الإيمان والإتباع، وربما يُطرح سؤال طالما؛ الأنصار كانوا على درجة ما من العلم حول النبوة والكتب السماوية فلماذا لم يعتنق عرب المدينة الديانة اليهودية على الرغم من مجاورتهم لهم لمئات السنين؟ واعتنقوا الإسلام في أول لقاء بالنبي ﷺ وكلاهما دين سماوي خرج من مشكاة واحدة؟.

ويمكن أن يكون الجواب عائدًا إلى اهتزاز العقيدة في قلوب اليهود، ونسبة الألوهية لغير الله ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾(٢) وفقدانهم للصفاء الفطري، وكذلك لم يأتوا بجديد يصحح مفاهيم الجاهلية، فضلًا عن ذلك كله سوء معاملة اليهود اليومية وتعاطيهم للربا، وأكل أموال الناس

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ١٦٥ .
(٢) سورة التوبة من الآية (٣٠).

بالباطل، وقد ذكر الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾[(١)] والبون الشاسع بين المفاهيم الدينية الحقيقية والواقع العملي المنافي لها.

الآخر هو تباهي اليهود الدائم لأنهم يرون أنفسهم شعب الله المختار وأحباؤه وتفضيلهم على الأمم السابقة واللاحقة، ووصف الله حالهم بقوله:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[(٣)].

وهذا الاعتقاد قد ترك عند عرب المدينة الأثر السلبي في نفوسهم، لا سيما أن العربي كان معتدًّا بنفسه وبنسبه ولا يتقبل أن يتعالى عليه أحد وأن هذا المذكور ليس من جنس العرب، فضلًا عن ذلك كله تقوقع اليهود حول ديانتهم واختصاصها بهم، لذلك لا نرى نجاحًا دعويايمكن أن يسجله التاريخ لهم إلاَّ على نطاق محدود جدًّا تبعًا لحالات آنية وقد تقدم ذكرها.

هذه الأسباب وغيرها كانت تقف حجر عثرة في تقبل الأنصار لعقيدة هؤلاء ورفضها وقبول عقيدة النبي ﷺ والإيمان به على الرغم من إن النبي ﷺ كان رجلًا واحدًا تقف مدينة بمالها وسادتها وما لها من مكانة بين القبائل العربية الأخرى عائقًا في دعوته، في حين أن الدخول في اليهودية ربما يكون له مميزات دنيوية من خلال النظرة السطحية الأولى، على العكس من الدين الجديد الذي سوف يسبب لهم معاداة العرب جميعًا.

---

(١) سورة النساء من الآية (١٦١).
(٢) سورة المائدة من الآية (١٨).
(٣) سورة الجمعة الآية (٦).

وفي النهاية يمكن عدّ النزاع بين العرب واليهود في يثرب، وما كانت تتوعد الأخيرة به من قتل أعدائهم بعد خروج النبي الذي أظل زمانه وقد قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١]، وهو بلا شك أحد الأسباب الرئيسة الدافعة إلى إيمان الأنصار، فضلًا عن ذلك كله معرفتهم المسبقة لماهية هذا النبي وعقيدته.

* * *

(١) سورة البقرة الآية (٨٩).

المطلب الثاني: لقاء النبي ﷺ اليهود بيثرب

قبل ذكر اللقاء الذي جمع رسول الله ﷺ واليهود في يثرب، لا بد من استعراض لقاء البيعة التي كانت قبل هجرته وأصحابه إلى المدينة لتعلق بعضها بيهود يثرب.

عندما آمن الأنصار برسول الله ﷺ قالوا له: تكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .. فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به أزرنا؟ فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرًا عن كابر، فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان، فقال يارسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالًا وإنَّا قاطعوها (يعني اليهود)، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا، فتبسم رسول الله ثم قال: «**بل الدم الدم والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أُحارب من حاربتم أسالم من سالمتم**»، وأراد بقوله الهدم الهدم يعني الحرمة، أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم(١).

تضمنت هذه البيعة ذكر اليهود، ويمكن أن نستنتج منها أي معاناة كان يلاقيها الأنصار من اليهود من معاملات وفتنة والعمل على التفريق بين اخوة الأمس وإثارة الحروب بينهما، فضلًا عن السيطرة المادية وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وهم السادة في هذا المجال وأصحاب الخبرة، لذلك أراد أبو الهيثم بن التيهان أن يشير إلى تلك الحالة مع اليهود وما سينتج

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٢٩١-٢٩٢؛ الطبري، تاريخ الطبري، ١/ ٥٦٢؛ ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ١/ ١٢٣ .

عن هذه البيعة والدخول في دين الإسلام، ولم يكن يقصد أبدًا خشيته من قدرتهم العسكرية؛ لأن اليهود لم يكونوا على قدر من القوة والتماسك بحيث يستطيعون الوقوف في وجه الأنصار، وهم الذين قُهروا من قِبَلِهم في زمن الملك الغساني، ومالك بن العجلان، كما تقدم ذكره من أجل ذلك كانت كل قبيلة من قبائل اليهود تلجأ وتتحالف مع الأوس والخزرج كي تتعزز وتمتنع بها، لذلك صار بنو قريظة وبنو النضير ومن تبعهم من اليهود حلفاء الأوس، وبنو قينقاع حلفاء الخزرج فكانت إذا نشبت حرب قَبلية بين الأوس والخزرج، يكون بني النضير وقريظة ومن تبعهم في صفوف الأوس، وبنو قينقاع ومن تبعهم في صفوف الخزرج(١) فضلًا عن ذلك فإن اليهود لم يكونوا على وفاق فيما بينهم، وكانت بينهم حروب قبل هجرة النبي ﷺ وقد أعاد المفسرون سبب نزول بعض الآيات القرآنية فيما يخص هذه الحروب، وما ينتج عنها من عدم العدل في فدية القتلى، حيث كانت فدية القرظي ضعف فدية النضري(٢) قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٣).

نلاحظ مما تقدم إن حال الأنصار بعد اعتناقهم الإسلام سيكون أفضل بكثير لا سيما أن الإسلام سينهي خصومتهم ويزيد في قوتهم التآخي مع المهاجرين، وبالتالي سيكون الثقل لصالحهم وبشكل كبير، لذلك لم تكن إشارة ابن التيهان لهذا الحال بل كان يقصد الفتنة التي ربما تؤدي إلى الخصومة

(١) الألوسي، روح المعاني، ١/ ٣١١ .
(٢) الطبري، تفسير الطبري، ٦/ ٢٥٤؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١/ ١٢٠-١٢١ .
(٣) سورة المائدة الآية (٤٥).

والحرب أيضًا، لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين القدرة الفائقة التي يتمتع بها اليهود في هذا المجال ونجاحهم فيه، وقد أورد بعض المفسرين(١) مثالًا لفتنتهم:

كان نفر من الأوس والخزرج جلوسًا يتحدثون فيما بينهم وقد مرَّ بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تآلفهم واجتماعهم، فأمر شابًا من اليهود أن يجلس ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض الأشعار التي قيلت فيه وكان الظفر فيها آنذاك للأوس، ففعل فتنازع القوم وتفاخروا إلى أن وقعت الفتنة.

وخشية ابن التيهان هذه وصلت إلى النبي ودولته الوليدة التي تآمر عليها قادة اليهود من خلال تحزيب الأحزاب في غزوة الخندق لاستئصال المسلمين، وبالوقت نفسه غدر بني قريظة ومن قبلهم بني قينقاع والنضير.

وخير وصف لهم هو قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢)، وقوله أيضًا: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(٣).

من المؤكد إن اللقاء الذي جمع النبي ﷺ واليهود كان في المدينة المنورة، بعد أن هاجر إليها من مكة على أثر تضييق سادة قريش على رسول الله وأصحابه ومحاربتهم له، فكان من اللازم للدعوة الوليدة ولأتباعها أن يكون لهم دولة تجمعهم، ولهذا كانت المدينة هي المكان التي هاجر إليها المهاجرون والنبي ﷺ

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ١/ ٣٦١؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٢/ ٧٢؛ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. ط١ . (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م)، ١/ ٧٦ .
(٢) سورة المائدة من الآية (٦٤).
(٣) سورة المائدة الآية (٦٣).

لإقامة دولتهم، كي تنطلق الدعوة باستراتيجية جديدة في بعض أساليبها وتوجيه الدعوة إلى أفراد تقبلوا الإسلام بلا عناء، مقارنة بقوم طُبع على قلوبهم سنوات طوال فضلًا عن أن للدولة خصوصية كبيرة في نظرة الناس للإسلام، فعندما يرون نظام الإسلام وشفافية أحكامه وعدله بين أفراده وقوانينه الربانية تطبق وبشكل عملي، وما ينتج عنه من الاستقرار والسعادة لمواطنيه باعتباره دين الله ودستوره الذي﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١] لأنه أعلم بخصوصية الإنسان وما يناسبه من أحكام قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[٢].

وستكون نظرتهم الإيمانية مختلفة تمامًا عندما يكون الأمر نظريًا، لذلك نرى دخول عرب الجزيرة في الإسلام أثناء قيام دولته في المدينة أضعافًا كثيرة عما كان في مكة.

فعند وصول النبي ﷺ إلى يثرب، كان أول شيء فعله هو بناء مسجده كونه مركز الدولة والشيء الآخر التآخي بين المهاجرين والأنصار.

أما الآخر فهو وضع دستور الدولة الإسلامية الجديدة، وتمثل بكتاب الموادعة أو وثيقة المدينة، وقد تضمنت هذه الوثيقة جملة نقاط كانت من الدقة بحيث اشتملت على جميع الجوانب التي كانت تحياها المدينة آنذاك وكذلك، على ذكر اليهود في العديد من بنودها فقد وادعهم رسول الله ﷺ موادعة مطلقة ولم يفرض عليهم الجزية، وهو المشهور عند أهل العلم وهو بمنزلة المتواتر[٣] وقد

---

(١) سورة فصلت الآية (٤٢).

(٢) سورة الملك الآية (١٤).

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ). الصارم المسلول على من شتم الرسول. تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري. ط١ . (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧هـ)، ٢/ ١٢٨ .

أشار الشافعي[١] إلى ذلك بقوله: (لم أعلم مخالفًا من أهل السير أن رسول الله وادع يهود كافة على غير جزية).

وأورد بعض بنود الوثيقة على شكل نقاط، مكتفيا بالبنود التي أشارت إلى اليهود فقط:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

هذا كتاب من محمد النبي بين المسلمين والمؤمنين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة دون الناس اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

١- إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلاَّ من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[٢] إلاَّ نفسه وأهل بيته .

٢- على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

٣- إن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٤- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله ﷺ.

٥- إن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

٦- وإنه لا تُجَارُ قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

---

(١) محمد بن إدريس أبو عبد الله (ت ٢٠٤هـ). أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ)، ٢/ ٧٦ .

(٢) يوتغ: فسد وهلك وأثم، ابن منظور، لسان العرب، ٨/ ٤٥٨ .

ولم يكن بالمدينة أحد من اليهود إلاَّ وكان له حلف إما مع الأوس أو الخزرج أو مع أي بطن من بطون الخزرج، وقد كان بنو قينقاع وهم المجاورون بالمدينة، وهم رهط عبد الله بن سلام رضي الله عنه حلفاء بني عوف من الخزرج رهط عبد الله بن أبي سلول، وهم البطن الذي بدأ بهم رسول الله ﷺ في هذه الصحيفة(١).

وبعمله هذا نرى التمازج الكبير بين أهالي المدينة الذي أوجده رسول الله ﷺ عند وصوله إليها وما فيه من العدل الإسلامي، الذي أوجده التسامح النبوي مع يهود المدينة، والحرية الدينية وعدم إكراههم على الدخول في الإسلام، على الرغم من قوة المسلمين وضعف اليهود كما تقدم ذكره ولقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾(٢).

فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الرسول قد عدَّ اليهود مواطنين في بلد واحد، وعلى كل مواطن أن ينهض بمسؤوليته حيال وطنه إذا دهمه عدو خارجي، أو أراد به وبأهله سوء وأن يقدم كل ما يدعو لرد العدوان بالنفس والمال والنصيحة.

أما تاج الوثيقة فكان بند الحاكمية لله عز وجل ولرسوله ﷺ، في حدوث أي اشتجار يخاف فساده سواء أكانوا من المؤمنين أم من اليهود وهذا البند يحمل معانيَ كاملة اختصرها في بضع كلمات، شملت جميع جوانب الحياة الإسلامية الجديدة، على الرغم من كل التسامح والعدل والحرية الدينية الذي

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ٣٢-٣٦؛ البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٨/ ١٠٦؛ ابن تيمية، الصارم المسلول على من شتم الرسول، ٢/ ١٣١-١٣٣ .

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٥٦).

أبداه دستور الدولة الإسلامية، وكونهم مواطنين لهم نفس حقوق المسلمين وعليهم نفس الواجبات، طمعًا في إسلامهم ويأبى هذا النوع من البشر إلاَّ المخالفة والابتعاد والكيد لمن أحسن له لأن الطبع غلب التطبع.

وخير وصف لهم ما قيل في الأثر:

أن راعيًا تبنى جرو ذئبٍ وأرضعه من شاة له ولما اشتدّ عوده عدا على الشاة فأكلها فقال الراعي:

أكلت شويهتي وفجعت قلبي ... وأنت لشاتنا ولدٌ ربيبُ
غُذيتَ بدرها ونشأت معها ... فمن أنباك أن أباك ذيبَ
إن كانت طباعك طباع سوء ... فلا أدب يُفيد ولا أديبُ

المبحث الثاني: ما كان من أمر الإسلام بعد الهجرة من توافق لبعض العبادات

بعد أن استقر رسول الله ﷺ في المدينة، ووضع أسس قيام الدولة الإسلامية الجديدة في مجتمع يضم فئتين من الناس المسلمين سادة المدينة واليهود، وقد كان النبي يتعامل مع مواطني المدينة بالعدل وبما يتوافق مع الدين الإسلامي وشريعته السمحاء، وهذا وضع جديد إذا ما قورن بالوضع في مكة، فأهل مكة كانوا فئتين أيضًا المسلمين وهم الأقلية والمشركين وهم الأغلبية ولهم السيادة عليها.

وقد تعامل رسول الله ﷺ مع هذا الوضع الجديد ومواطنيه من اليهود وعدّهم أهل كتاب سماوي، ولقد جاءت بعض الأحكام الإسلامية موافقة لبعض أحكامهم وفي مجملها كانت لتأليف قلوبهم للإسلام، وقد أوردها بعض الفقهاء والمحدثين في مصادرهم وهي كالآتي:

أولًا: **التوجه إلى بيت المقدس**: عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، وكان أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس ففرحت اليهود بذلك(١) وقد كان رسول الله ﷺ استقبلها ستة عشر شهرًا(٢)، وفي قول سبعة عشر شهرًا وثلاثة أيام(٣)، وقد كان اليهود يعجبهم ذلك ويفرحهم لأنه يتجه إلى قبلتهم

(١) المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا (ت ١٣٥٣هـ). تحفة الأحوذي. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٨/ ٢٤٠.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، ١/ ١٥٥.
(٣) ابن حبان، أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ). صحيح ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. ط٢ . (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، ٤/ ٦١٨.

وما ذلك إلاَّ طمعًا في إسلامهم[١].

غير أن هذا الحدث لم يكن له أي اعتبار أو تأثير عندهم في زعزعة عقيدتهم الضالة واستعلائهم على البشر وإيمانهم برسول الله ﷺ، بل على العكس فقد كانوا يتبجحون ويتفاخرون في دعواهم فقد كانوا يقولون: (والله ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم إليها)[٢].

وقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه إلى الكعبة، لأن اليهود كانوا يقولون: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا[٣]، فكان ينظر إلى السماء رجاء أن يمنَّ الله عليه بقبلة أبيه إبراهيم قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

وعندما توجه إلى البيت الحرام استاء اليهود كثيرًا، وطعنوا في الإسلام كعادتهم عندما لا يوافق الحكم أهواءهم ورأوا بذلك فرصة ذهبية كي يطعنوا بنبوة رسول الله ﷺ، فقالوا: إن محمدًا يأمر أصحابه بشيء ثم ينهاهم عنه فما كان هذا القرآن إلاَّ من جهته، ولهذا يناقض بعضه بعضًا، وهم يعلمون علم اليقين أنه الحق من ربهم لأنهم يجدون فيما نزل عليهم أن النبي الأمي من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام يخرج من الحرم، وتعود قبلته وصلاته إلى المكان الذي خرج منه يعني الحرم المكي[٥] وقال الله تعالى في ذلك: ﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ

---

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، ٢/ ١٥٠.
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ١٨.
(٣) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٨/ ٢٤٠.
(٤) سورة البقرة الآية (١٤٤).
(٥) الشافعي، أحكام القرآن، ١/ ٦٥.

وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] وما ذلك إلاَّ حسدًا من عند أنفسهم فقد روت عائشة عن رسول الله ﷺ قوله: (أتدرين على ما حسدونا، قلت الله ورسوله أعلم قال: (فإنهم حسدونا على القبلة التي هُدينا لها وضلوا عنها وعلى الجمعة التي هُدينا لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين)[٢].

ولم ينتهوا عند ذلك بما قالوا في الطعن بصحة نبوة النبي ﷺ بل أرادوا أن يفتنوه فقد كانوا على يقين أن رسول الله ﷺ يحرص على إسلامهم، لذلك قالوا له: ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك[٣].

لو كانوا صادقين بما يقولون فلماذا لم يتبعوه عندما كان متوجهًا إلى بيت المقدس قبل ذلك؟ إنما أرادوا بذلك فتنته وهذه طباع اليهود عبر الزمن وهي طباع أصيلة في ضمائرهم وعقولهم وعقيدتهم توارثوها عن أجدادهم الأوائل زمن نبي الله موسى عليه السلام، الذي عانى من هذه الطبائع ما عانى.

فأجداد هؤلاء هم الذين قالوا له قبل ذلك: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[٤]، وهم الذين قالوا لنبيهم من قبل: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[٥].

وهم أنفسهم الذين قالوا في موسى قولًا يؤذيه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾[٦]،

---

(١) سورة البقرة الآية (١٤٢).
(٢) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٢/ ٥٦ .
(٣) الطبري، تفسير الطبري، ٢/ ٥ .
(٤) سورة البقرة من الآية (٥٥).
(٥) سورة المائدة الآية (٢٤).
(٦) سورة الأحزاب الآية (٦٩).

وأجداد هؤلاء قتلوا الأنبياء:

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[(١)] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[(٢)]، وهم الذين أوتوا الجدل: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾[(٣)]، وأجدادهم الذين تحايلوا على الشرع واعتدوا في السبت: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[(٤)].

فجميع هذه الآيات وغيرها تبين أي أمة هم هؤلاء اليهود وكم عانى أنبياؤهم من جحود هذه الثلة الضالة، إن الذي نزل على بني إسرائيل من المعجزات لم ينزل نظير لها على أي أمة من البشر فضلًا عن عدد أنبيائهم، حيث لم نر أمة جاحدة وكافرة بنعمة ربها كالأمة اليهودية، فأحفاد هؤلاء حاولوا أن يعيدوا أفعال أجدادهم ويفتنوا نبي هذه الأمة وأصحابه بكل وسائل الخبث والدهاء، لكن الله أخزاهم ورد كيدهم ويعود الفضل في ذلك إلى الله تعالى وعنايته، وإلى تربية رسول الله ﷺ لصحابته الأفاضل، الذين كانوا لا يخالفون رسولهم في شيء وشتان بين أصحاب رسول الله ﷺ الذين قال فيهم رب العزة جلَّ جلاله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(٥)]، وبين من قال الله فيهم: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا

---

(١) سورة البقرة من الآية (٦١).
(٢) سورة آل عمران الآية (٢١).
(٣) سورة البقرة من الآية (٧١).
(٤) سورة البقرة الآية (٦٥).
(٥) سورة التوبة الآية (١٠٠).

ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[١].

فمن يقرأ هذه الآيات وغيرها التي نزلت فيهم يدرك حقيقة هؤلاء وموقعهم في الأديان السماوية وعبر التاريخ.

ثانيًا: **صوم عاشوراء**: فعن ابن عباس رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ عندما قدم المدينة فوجد فيها اليهود صيامًا يوم عاشوراء، فقال لهم: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**»، فقالوا هذا يوم عظيم فيه نجى الله تعالى موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله فنحن نصومه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**» فصامه رسول الله وأمر بصيامه[٢].

وإنما أراد رسول الله صيام عاشوراء اقتداءً بموسى على ما أخبر به اليهود[٣] غير أن رسول الله ﷺ أراد أن يخالفهم في بعضه.

وقد نقل ابن عباس عن رسول الله ﷺ قوله: «**صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا قبله يومًا أو بعده يومًا**»[٤].

ومن المفروض أن يكون لفعل رسول الله هذا الأثر الجيد عندهم، لأنه وافقهم في صومهم الذي يعدونه عظيمًا، إلاَّ أنهم جحدوا وتكبروا وظل المسلمون يصومونه بأمر رسول الله ﷺ إلى أن فُرض صيام شهر رمضان، فلم

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٢).
(٢) البخاري، صحيح البخاري، ٣/ ١٤٣٤.
(٣) القرطبي، تفسير القرطبي، ١/ ٣٩٠.
(٤) البيهقي، السنن الكبرى، ٤/ ٢٨٧.

يأمرهم رسول الله بصوم عاشوراء ولم ينههم عن صومه(١).

ثالثًا: نكاح الكتابيات وحلُّ ذبائحهم: ومما أجازه الله تعالى للمسلمين من أهل الكتاب، ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾(٢)، فقد أباح الله تعالى أكل ذبائح اليهود والنصارى لا المشركين؛ لأن اليهود أهل كتاب ويذبحون على اسم الله تعالى، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلاَّ اسم الله، وإن اعتقدوا ما هو منزه عنه تعالى وهو أمر مجمع عليه بين العلماء(٣).

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا**»، وعلى هذا فنكاح نسائهم مباح بنص القرآن الكريم: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾(٤).

وأراد بمن يجوز نكاحها من أهل الكتاب هي الحرة، وقال ابن عباس: المقصود بالمحصنات الذين أوتوا هم الحرائر والعفائف(٥).

وقد تزوج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب اليهودي، وهو من أشد الناس عداوة لرسول الله صلى اله عليه وسلم الذي عبر عن عدواته وكرهه لرسول الله عندما عُرض على السيف مع بني قريظة بقوله: «والله ما

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ١٨ .
(٢) سورة المائدة من الآية (٥).
(٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٠ .
(٤) سورة البقرة من الآية (٥).
(٥) السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٢٤-٢٥ .

لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يُخذل»[١].

وقد كان النبي ﷺ يبتغي من وراء ذلك الزواج أن يستألف قلوبًا قاسية أصابها الطبع من طول الضلال، وخير وصف لها قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[٢]؛ لأن الله عندما أخبر عن قسوة قلوبهم، كانوا بالصفة التي وصفهم الله بها من التكذيب لرسله والجحود لآياته بعد ما عرفوا من الآيات والعبر وعاينوا من عجائب الأدلة مع ما أعطاهم الله تعالى، لذلك ذكر الله أن من الحجارة ما هو ألين من قلوبهم لما يدعون إليه من الحق[٣] وتشبيه قلوبهم بالحجارة التي لا علاج للينها[٤].

---

(١) عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، ٥/ ٣٧٢ .
(٢) سورة البقرة من الآية (٧٤).
(٣) الطبري، تفسير الطبري، ١/ ٣٦٤ .
(٤) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١/ ١١٤ .

المبحث الثالث
كيفية دعوة الرسول ﷺ اليهود للإسلام

المطلب الأول دعوة الرسول ﷺ اليهود للإسلام

منذ أن بُعث محمد ﷺ نبيًا كان همه الأول والأخير هو هداية الناس إلى الإسلام، لذلك كانت الفترة المكية التي استمرت ثلاثة عشر عامًا، عانى فيها الكثير من أذى وتعذيب وحصار اقتصادي واجتماعي له ولعشيرته وأصحابه، ولم تثنِه تلك المحاولات عن دعوته بين رجال قومه الجاحدين، إلى أن منَّ الله على الأنصار سادة يثرب بالإسلام فكان إسلامهم نقلة نوعية في الدعوة، من خلال إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق أحكامها بشكل عملي والذي كان من النجاح بحيث كان مفتاح إيمان لكثير من عرب الجزيرة، مقارنة بمن آمنوا في سنوات الدعوة بمكة.

ولما كان الكثير من مواطني يثرب من اليهود، كان عليه ﷺ دعوة هؤلاء القوم إلى الإسلام، فلم يدع فرصة أو مناسبة إلاَّ واغتنمها ولم يثنه جحودهم وتعنتهم؛ لأنه؛ كان يعلم أن اليهود ليسوا كمشركي قريش الذين كان عليه ﷺ أن يبدأ معهم الدعوة من حروفها الأبجدية لأنهم؛ لا يملكون خلفية علمية ودينية يستندون عليها، لذلك كانوا في أمس الحاجة لتأسيس قواعد بنائهم العقيدي، على حين أن اليهود كانوا قد قطعوا الحقبة التأسيسية، التي تستند عليها العقيدة السماوية بعد ذلك وليسوا في حاجة لكثير عناء في هذا المجال.

وعلى الرغم من كل ما قام به رسول الله ﷺ تجاههم، فانهم ظلوا متمسكين وبشكل قوي بعقيدتهم المحرفة، التي كانت قد تلاعبت بها رغباتهم وأهواؤهم

التي حاكوها لأنفسهم وبما يتناسب مع مصالحهم، فضلًا عن أن أحبار اليهود كانت لهم الهيمنة المطلقة على مواطنيهم الذين هم تبع لهم، وبالتالي لا يخرجون عن سيطرتهم مطلقًا إلاَّ في حالات قليلة، أراد الله لبعضهم أن يخرجوا عن قيود أحبارهم ولكن عن غير قصد منهم، وذلك من خلال تذاكرهم في معابدهم عن خروج نبي قد أظل زمانه وهذا ما كان سببًا في إيمان بعضهم.

ومما قيل أن سبب إسلام ثعلبة وأسيد أبنا سعية وأسد بن عبيد أثناء حصار بني قريظة، أنهم قالوا لسادة اليهود: يامعشر بني قريظة والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأن صفته عندنا وقد حدثنا بها علماؤنا وعلماء بني النضير، وأشار إلى حيي بن أخطب مع حبر ابن الهيبان وكان أصدق الناس، وهو الذي أخبرنا بصفته قُبيل وفاته(١).

وقصة ابن الهيبان قد تناولتها في الفصل الأول، وقد أخبرهم ابن الهيبان بصفته كي لا ينكروها بقوله: فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري فيمن خالفه، فلا يمنعنكم ذلك منه، فلما بُعث رسول الله وحاصر بني قريظة، وكانوا شبابًا أحداثًا قالوا: يابني قريظة والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهيبان، قالوا: ليس هو، قالوا: بلى والله إنه لهو بصفته فنزلوا فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم(٢).

وعن ابن عباس أنه لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة وأسيد أبنا سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من إخوانهم ورغبوا في الإسلام، قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد إلاَّ شرارنا، لو كانوا خيارنا ما تركوا دين

---

(١) السيوطي، كفاية اللبيب في خصائص الحبيب، ١/ ٣٨٧ .

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٣٠٩-٣١٠؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي. ط١ . (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ، ١٩٩٩٢م)، ١/ ٥٢ .

آبائهم وذهبوا إلى غيره[١]، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾[٢].

وكان رسول الله ﷺ لا يدع وسيلة إلاَّ وقام بها في دعوته، حتى أنه كان يتوجه بدعوته داخل بيت مدراسهم.

فقد روي عن عوف بن مالك الأشجعي قوله: انطلقت مع رسول الله ﷺ حتى دخلنا كنيسة اليهود في المدينة يوم عيدهم، فلما رأونا كرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر يهود أروني اثني عشر رجلًا يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله يحبط الله عن كل زفر تحت أديم السماء الغضب الذي عليه**»، قال: فأمسكوا ولم يجبه أحد منهم ثم كرر عليهم قوله، فلم يجبه أحد ثم ثلث فلم يجبه أحد، حتى إذا أراد الخروج فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يامحمد، فقال ذلك الرجل مخاطبًا اليهود أي رجل فيكم أنا يامعشر اليهود، قالوا: ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله ولا أفقه منك ولا أبيك من قبلك ولا من جدك، قال: فإني أشهد أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت ثم ردوا عليه وقالوا له: شرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**كذبتم لن يقبل قولكم أما آنفًا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم وأما إذا آمن كذبتموه وقلتم ما قلتم فلن يقبل قولكم**»، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة رسول الله وأنا وعبد الله بن سلام[٣] وقد أنزل الله فيه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ

---

(١) السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، (بيروت: دار إحياء العلوم)، ١/ ٥٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٣).

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٦/ ١١٩؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر أبو الحسن (ت ٨٠٧هـ). موارد الظمآن. تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة. (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١/ ٥١٨ .

﴿ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

وقد كان اسم عبد الله قبل إسلامه الحصين، فسماه رسول الله عبد الله وشهد له بالجنة[٢]. حتى أن النبي ﷺ كان عند دعوته لهم يذكرهم بنصائح أحبارهم الذين ماتوا قبل بعثته، وكانوا مصدقين به لعله تلين قلوب طُبع عليها فقد ذكر صاحب السيرة الحلبية[٣]: لما حُكم على بني قريظة بالقتل وأتي بكعب بن أسيد سيدهم، قال له النبي ﷺ: «**ياكعب**»، قال نعم يا أبا القاسم، قال: «**ما انتفعتم بنصح بن خراش لكم، وكان مصدقًا بي أما أمركم باتباعي وإن رأيتموني تقرؤني منه السلام**»، قال: بلى والتوراة ياأبا القاسم، ولولا أن تعيرني اليهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكني على دين يهود فأمر به فقتل.

وفي رواية أن رسول الله ﷺ مر على كنيسة من كنائس اليهود فدخل إليهم وهم يقرؤون سفرهم فلما رأوه أطبقوه وخرجوا، وكان في ناحية من الكنيسة، رجل يموت فجاء إليه فقال لهم: إنما منعهم أن يقرؤوا أنك أتيتهم وهم يقرؤون نعت نبي هو نعتك، ثم جاء إلى السفر ففتحه ثم قرأ فقال : أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**دونكم أخاكم قال: فغسلوه وكفنوه وحنطوه**» ثم صلى عليه[٤].

وتذكر بعض الروايات دعوة الرسول ﷺ وجحودهم، فعن ابن عباس رضي الله عنه

---

(١) سورة الأحقاف الآية (١٠).

(٢) ابن ماكولا ،علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت ٤٧٥هـ). الإكمال لأبن ماكولا . ط١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ١/ ٧٠؛ الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ٢/ ٤١ .

(٣) الحلبي، ٢/ ٢٦٨ .

(٤) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ). مصنف بن أبي شيبة. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط١ . (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)، ٧/ ٣٣٠ .

قال: دخل النبي ﷺ بيت المدراس[١] على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله فقال النعمان والحرث بن زيد على أي ملة أنت يامحمد؟ قال: «**على ملة إبراهيم ودينه**»، قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًا، فقال لهما رسول الله ﷺ: «**فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم**»، فأبيا عليه[٢] فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٣].

وفي روايات أُخر تصف تصرفات اليهود في إيذاء رسول الله ﷺ عند لقائه بهم ودعوتهم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا له: السَّام عليك، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: عليك السام واللعنة، فقال رسول الله: «**مهلًا ياعائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»، فقلت: يارسول الله ألم تسمع ما قالوا؟ فقال: «**قلت وعليكم**»[٤].

وقد كان بعض اليهود تكنى بأبي القاسم، وكانوا ينادون ياأبا القاسم، فإذا التفت النبي ﷺ قالوا: لم نعنك إظهارًا للإيذاء[٥].

وقد كان رؤساء اليهود وأحبارهم يؤذون من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه[٦] فنزلت الآية الكريمة: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ

---

(١) المدراس: هو البيت الذي يدرس فيه التوراة، ابن منظور، لسان العرب، ٦/ ٨٠ .
(٢) السيوطي، الدر المنثور، ٢/ ١٧٠ .
(٣) سورة آل عمران الآية (٢٣).
(٤) مسلم، صحيح مسلم، ٤/ ١٧٠٦ .
(٥) ابن شاهين، عبد الباسط بن خليل (ت ٩٢٠هـ). غاية السؤل في سيرة الرسول. تحقيق: د. محمد كمال الدين الحلبي. ط.١ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م)، ١/ ٢٨٢ .
(٦) القرطبي، تفسير القرطبي، ٤/ ١٧٤ .

يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[١].

من هذه الروايات يتبين أي حلم وأي أخلاق كان يتمتع بها نبي الرحمة ﷺ، وصدق الله العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

ولم يكن رسول الله ﷺ مرغمًا على تحمل هذا الأذى، وهو رئيس دولة فيها من الرجال من ينتظر أمرًا من رسول الله حتى يضع نفسه وماله فداءً له ولعقيدته، لكن رسول الله ﷺ كان لا يلتفت إلى أذاهم ولو كان على شخصه الكريم، وكانت غايته الأولى والأخيرة هدايتهم للإسلام وإخراجهم من ظلام ديانتهم، مصداقًا لقوله ﷺ: «**لأن يهدي بك رجل واحد خير لك من حمر النعم**»[٣].

هذه الروايات وغيرها التي امتلأت بها كتب السير والحديث وغيرها وبعشرات منها، والتي تدل على دعوته لليهود وصبره على ذلك.

ومن خلال الإطلاع على تلك الروايات يُلاحظ القارئ أن أحبار اليهود هم الذين يسيطرون على عقول العامة منهم، ولا سبيل إلى دخولهم في الإسلام إلاَّ من خلال ممن يسمون أحبارًا.

ويؤيد ذلك أنه لما ظهر رسول الله ﷺ كتب يهود خيبر ليهود المدينة إن اتبعتم محمدًا اتبعناه وإن خالفتموه خالفناه، فقالوا: أبناء خليل الرحمن منا عزير ابن الله والأنبياء ومتى كانت النبوة في العرب، نحن أحق بها من محمد ولا سبيل إلى اتباعه[٤] فنزلت الآيات: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١١).

(٢) سورة القلم الآية (٤).

(٣) البخاري، ٣/ ١٠٧٧؛ مسلم، ٤/ ١٨٧٢.

(٤) الألوسي، روح المعاني، ٢٨/ ٩٦.

دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٢].

ومن المثير للدهشة مواقف هؤلاء الأحبار وقدرتهم على إقناع أتباعهم في عدم الإسلام، والحجر على عقولهم بحيث لا يستطيعون أن يعطوا لأنفسهم فرصة للتفكير في صحة دعوة سادتهم وأحبارهم بل على العكس تمامًا، فتراهم يُساقون إلى الموت في غزوة بني قريظة وهم ينظرون ودون أن يعيدوا التفكير في سلامة اعتقادهم، بل يفضلون الموت على ذلك سوى من هداهم الله.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن يهود شبه الجزيرة العربية كانوا على اتصال مع إخوانهم من اليهود في العراق واليمن وغيرهم من أجل توحيد المواقف بشأن النبي ﷺ والدين الإسلامي إمعانا في الضلال.

وقد عزا صاحب زاد المسير[٣] سبب نزول الآية: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] إلى أن يهود المدينة كتبوا إلى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها، أن محمدًا ليس بنبي فأثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر به، ففرحوا بذلك وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة والعبادة وأولياء الله وأحباؤه.

وهذا دليل أيضًا على أن هناك اتصالًا ومواقف موحدة حيال الدين

---

(١) سورة الجمعة الآية (٦).

(٢) سورة البقرة الآية (١١١).

(٣) ابن الجوزي، ١/ ٥٢٣ .

(٤) سورة آل عمران الآية (١٨٨).

الإسلامي ونبوة محمد ﷺ وهذا يؤكد أن يهود بعضهم تبع لبعض فلو آمن سادتهم وأحبارهم لآمن اليهود جميعًا، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ: « **لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود**»[1].

وعلى الرغم من كل ما تقدم من النزعة اليهودية للباطل ومحاولاتهم إضلال من لم يكونوا معهم في المدينة، باتصالهم لتوحيد مواقفهم، نرى النعمان السبئي رضي الله عنه ممن خرج عن إجماعهم وكان من أحبار اليهود باليمن، فعندما سمع بذكر النبي ﷺ قدم المدينة والتقى برسول الله وسأله عن أشياء امتحانًا لنبوته ﷺ، ثم قال له: إن أبي كان يختم على سفر يقول لي: لا تقرأه على اليهود حتى تسمع بخروج نبي يثرب، فإذا سمعته فافتحه وعندما سمعت بك فتحته وفيه صفتك كما أراك الساعة، وفيه ما تحل وما تحرم وفيه أنك خير الأنبياء، وأمتك خير الأمم وأسمك أحمد، وأمتك الحمّادون قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم لا يحضرون قتالًا إلاَّ وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على أفراخه، ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه وآمن وصدق به، فكان النبي ﷺ يحب أن يُسمع حديثه.. فكان يُحدثهم الحديث. ويقال أن النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي، حيث قطّعه عضوًا عضوًا، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله وأنك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار رضي الله عنه[2].

ومن المثير للدهشة أيضًا موقف يهود العراق واليمن، فكيف يتقبل هؤلاء إفتاء يهود المدينة في أمر مصيري يترتب عليه مستقبل أمة وأجيال، إما إلى الكفر وإما إلى الإيمان، ويعطلون عقولهم دون أن يتأكدوا من صحة إجماعهم أو عدمه؟.

---

(١) البخاري، ٣/ ١٤٣٤.
(٢) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ١/ ٢٠٠.

والذي اعتقده إن وراء ذلك أمرين:

الأمر الأول: إن ليهود المدينة مكانتهم العلمية بين اتباع اليهودية، على اعتبار أن وجودهم في المدينة كان لانتظار هذا النبي، فهم بذلك أعلم به من غيرهم، ودعت اليهود إلى التسليم بقرارهم وهذا ما دل عليه قول يهود خيبر: إن أطعتموه أطعناه

والأمر الآخر: نسب بعض يهود المدينة يعود إلى هارون بن عمران، وهذا النسب قال بصحته صاحب وسيلة الإسلام(١)، هذان السببان ربما كانا وراء جمود عقولهم، على حين نجد أن بعض هؤلاء الأتباع من عامة اليهود قد هداه عقله إلى الحق ولكنه يأبى إلاَّ اليهودية، ويشير إلى ذلك أن اليهودي كان يلقى صديقه من المسلمين فيقول له: تمسك بدين محمد فإنه نبي حقًا(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان غلام من اليهود يخدم النبي فمرض فأتاه يعوده وأبوه عند رأسه، فدعاه النبي للإسلام فجعل الغلام ينظر إلى أبيه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فقال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله ثم هلك الغلام، فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: **«الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»**(٣).

---

(١) الخطيب القاضي، أبي العباس أحمد بن أحمد (ت٨١٠هـ)، وسيلة الإسلام بالنبي عليه الصلاة والسلام. تحقيق: سليمان الصيد. ط١ . (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م)، ١/ ١٠٤ .

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، ٢/ ٤ .

(٣) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ). مسند أبي يعلى الموصلي. تحقيق: حسين سليم أسد. (المطبعة: دار المأمون للتراث، الناشر: دار المأمون للتراث، دار الثقافة العربية)، ٦/ ٩٣؛ الكاشاني، أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧هـ). بدائع الصنائع. ط١ . (باكستان: المكتبة الحبيبية، ١٤٠٩هـ)، ٥/ ١٧٢ .

وعن ابن عباس كان الرجل من اليهود يقول لصهره وذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين: أثبت على هذا الدين، وما يأمرك به محمد فإنه حق فكانوا يأمرونهم بذلك ولا يفعلونه[١]، فنزل قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢].

كل ما تقدم يدل وبشكل قاطع على أن الغالبية العظمى من عامة اليهود كانوا لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، وقد أوكلوا مهام إيمانهم أو عدمه لكبرائهم فهم الذين يهدونهم سواء السبيل، لذلك كانت الدائرة تدور عليهم في كل مرة أرادوا فيه الإضّرار بالمسلمين.

* * *

(١) ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، ١/ ٢٥٢ .
(٢) سورة البقرة الآية (٤٤).

المطلب الثاني أسئلة اليهود للنبي ﷺ والمناقشات الدينية

لم تكن الدعوة الإسلامية تلقى نجاحًا في صفوف اليهود، ولم يعتنقها إلاَّ القليل منهم أراد الله لهم الخير، وكان ذلك على غير إرادة كبرائهم الذين كانوا كالجدار الصامت الذي لا يعي ما يدور حوله، فضلَّ وأضلَّ من تبعه، وقد كانوا يسعون بوسائلهم التي ابتدعوها في محاولة الإيقاع أو الإحراج للنبي ﷺ على حد ظنهم لعلهم ينالون مرادهم في الطعن بنبوته، ومن ثم إبعاد الناس عن اتباعه.

فقد كانوا يتبعون أساليب اتبعها أجدادهم مع أنبيائهم، وكانت نتيجتها التكذيب أو القتل لذلك النبي، كونهم أهل كتاب وعلى علم بقصص الأنبياء والأقدمين وأحوالهم، وما حوته تلك الكتب السماوية من أمور وقوانين غيبية، التي كانت تشكل إعجازًا ربانيًا احتارت فيه العقول عن إدراكه، كالروح على سبيل المثال، وقصص حصلت في التاريخ السحيق لأقوام أو أنبياء، لا يعلمها إلاَّ من كانت له نبوة من الله الذي يُطْلِعُ من يشاء على أسرار السماء، فكانت تلك القصص والأسرار الربانية هي المادة التي اتخذها اليهود أسلوبًا في اختبار النبي ﷺ لا ليؤمنوا بل ليصدوا عن سبيل الله، ويُضِلوا الناس عن جادة الحق الصواب.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ·جاءت عصابة من اليهود يومًا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: ياأبا القاسم إنا نسألك عن أشياء لا يعلمها إلاَّ نبي، قال: «**سلوني ما شئتم ولكن اجعلوا ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه، إن أنا**

حدثتكم بشيء تعرفونه صدقًا لتتابعني على الإسلام»، قالوا: لك ذلك، قال: «**سلوا ما شئتم**»، قالوا: أخبرنا عن أربع خلال:

أخبرنا عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة.

وأخبرنا عن ماء الرجل يكون الذكر منه حتى يكون ذكرًا، وكيف تكون الأنثى حتى تكون أنثى.

وأخبرنا عن هذا النبي في النوم ومن وليك من الملائكة.

فقال ﷺ: «**فعليكم عهد الله لئن حدثتكم لتتابعني**»، فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق.

قال النبي ﷺ: «**أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل (يعقوب) مرض مرضًا شديدًا طال سقمه فيه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه من سقمه ليحرمنَّ أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، وكان أحب الشراب إليه ألبان الإبل وأحب الطعام إليه لحم الإبل**»، قالوا : اللهم نعم.

فقال رسول الله ﷺ: « **اللهم اشهد عليهم**»، قال: «**فأنشدكم بالله الذي لا إله إلاَّ هو الذي أنزل التوراة على موسى، هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، وإن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله**»، قالوا: اللهم نعم. قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اشهد عليهم**»، قال: «**وأنشدكم بالله الذي لا إله إلاَّ هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه**»، قالوا: اللهم نعم، قال: «**اللهم اشهد عليهم**»، قالوا: أنت الآن، حدثنا عن وليك من الملائكة فعندها نجامعك أو نفارقك، قال: «**وليي جبريل** عليه السلام **ولم يبعث الله نبيا قط إلاَّ**

وهو وليه»، فقالوا: فعندها نفارقك لو كان وليك غيره من الملائكة لبايعناك وصدقناك، قال: «**فما يمنعكم أن تصدقوه**»، قالوا: إنه عدونا من الملائكة[(١)]، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)].

لو تفحصنا هذه النماذج من الأسئلة التي ساقها اليهود للنبي ﷺ، لظن القارئ أو السامع لها أنها أسئلة أُريد بها التحقق من صدق النبي ﷺ، وبالتالي تُساعد هؤلاء الأحبار من إثبات لعامة اليهود إنما أرادوا من تلك الأسئلة الوصول إلى الحقيقة، ووكلوا أنفسهم وكلاء عنهم لذلك فقد ركّبوا طريقة الأسئلة بما يتوافق مع الرفض الذي يخفونه، لا الوصول إلى الحقيقة فكانت الأسئلة الثلاثة تُشعر بأنهم أرادوا التأكد من صحة نبوته ﷺ، وأما سؤالهم الأخير عن ولي رسول الله ﷺ، فهم يعلمون علم اليقين أن الذي يأتي رسول الله من الملائكة جبريل عليه السلام، لأنه من المؤكد أن اسم جبريل عليه السلام كان يتكرر بين أهالي يثرب، من أصحاب رسول الله في اليوم مئات المرات، الذين كانوا مهتمين به، وكان رسول الله ﷺ، يتحدث عن ذلك كلما نزل عليه جبريل بالقرآن، ومن خلال تعليمه لرسول الله كيفية الوضوء والصلاة وغيرها من الأحكام التي احتاجت إلى شرح وتفصيل، وكونه حديث الساعة عند أهل المدينة لكنهم أرادوا وضع سؤالهم الأخير ليكون لهم صمام الرفض فيما لو أجاب على أسئلتهم وبالتالي يخدعون عوامّهم من اليهود الذين قد تربّوا على أن جبريل عدوٌّ لليهود وبذلك يكون رفضهم لنبوته مبررًا، ولهذا كان النبي على علم تام بنواياهم، ويدل على ذلك قوله ﷺ بعد كل إجابة عن سؤال من

---

(١) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ١/ ٢٧٨؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١/ ١٣١؛ البداية والنهاية، ٦/ ١٧٣ .

(٢) سورة البقرة الآية (٩٧) .

أسئلتهم: «**أنشدكم الله الذي لا إله إلاّ هو**»، وعندما كانوا يجيبون: اللهم نعم، كان رسول الله يقول: «**اللهم اشهد عليهم**».

وعلى الرغم من معرفة الرسول ﷺ المسبقة لنواياهم ورفضهم فانه أراد أن يحقق قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بينما أنا مع النبي في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: فسألوه عن الروح، فأمسك النبي فلم يرد عليهم شيئًا فعلمت أنه يوحى إليه فقمت مقامي(٢)فنزل الوحي بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٣).

لم تقتصر أسئلة اليهود لرسول ﷺ بل تعداها إلى صحابته الكرام، وكانت الغاية منها إظهار أنفسهم لأنهم أهل علم بين قوم جهلاء وبالتالي إحراجهم.

فعن جابر بن عبد الله قال: قال جماعة من اليهود لأناس من أصحاب النبي هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم، قالوا: «لا ندري حتى نسأل نبينا»، فجاء رجل إلى النبي فقال: يامحمد غُلب أصحابك اليوم، قال: «**بِمَ غلبوا**»، قال: سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم، قال: «**فما قالوا**»، قال: قالوا: لا ندري حتى نسأل نبينا، فقال رسول الله ﷺ: «**أيغلب قوم سُئلوا عما لا**

(١) سورة الأعراف الآية (١٦٤)
(٢) ابن حنبل، مسند أحمد، الآية ١/ ٤٤٤؛ البخاري، ٤/ ١٧٤٩؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ١٠/ ٣٢٣ .
(٣) سورة الإسراء الآية (٨٥) .

يعلمون، فقالوا: لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم، فقالوا: أرنا الله جهرة عليَّ بأعداء الله، إني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك[١] » فلما جاءوا قالوا ياأبا القاسم كم عدد خزنة جهنم؟، قال: هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة، قالوا: نعم، قال لهم النبي: «**ما تربة الجنة**»، قال: فسكتوا هنيهة، ثم قالوا: الخبزة ياأبا القاسم، فقال رسول الله ﷺ: «**الخبز من الدرمك**»[٢] .

وسألته اليهود أيضًا عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، فأنزل الله تعالى سورة الكهف .

وعندما فشل اليهود في تحقيق أهدافهم من خلال أسئلتهم عن بعض قصص الأنبياء أو الصالحين وغيرها، وعلموا أنها لا تصل إلى ما يريدون، فقد أعجزهم رسول الله ﷺ بما جاءه عن ربه لذلك سعوا في تغير مسار أسئلتهم، إلى الجرأة على التدخل في الذات الإلهية وفي أحيان أخرى على التطاول على الله عز وجل ووصفه بما لا يليق به من خلال نقاشهم معه ومع أصحابه .

فعن سعيد بن جبير أنه أتى رهط إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يامحمد هذا الله خلق الخلق، فمن خلقه، فغضب رسول الله حتى انتقع لونه، ثم ساورهم كربه، فجاء جبريل فسكنه، فقال: خفض عليك يامحمد وجاءه من الله الجواب على ما سألوه عنه بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[٣]، فلما تلاها عليهم

---

(١) الدرمك: هو الدقيق، ابن منظور، لسان العرب، ١٠/٤٢٣؛ الألوسي، روح المعاني، ٢٢/١٢٠ .

(٢) الترمذي، سنن الترمذي الجزء الخاص في التفسير، ١/٤٢٩؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ١٩/٨٠ .

(٣) سورة الإخلاص الآيات (١، ٢، ٣، ٤)

قالوا: فصف لنا يامحمد كيف خلقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله ﷺ أشد من غضبه الأول وساورهم، فأتاه جبريل، فقال له: مثل قوله الأول، وجاءه من الله الجواب على ما سألوه عنه[1] قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أحبار اليهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة يامحمد، أرأيت قومك وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلًا إيانا تريد أم قومك، فقال رسول الله: «**إنها في علم قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه**» فأنزل الله عز وجل فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3]، إني أرى التوراة في علم الله **قليل**[4].

وعندما كانوا يشعرون أن أسئلتهم ومناقشاتهم لا تصل إلى ما أرادوا، يقومون بتغيير أسلوب أسئلتهم، من حيث تسليط الضوء على دين موسى عليه السلام، ومكانته عند الله على اعتباره أنه كليم الله وأن محمدًا لم يكلم الله، وأن التوراة نزلت جملة واحدة، على حين أن القرآن نزل مفرقًا فركزوا على هاتين الحالتين، كي يظهروا لأتباعهم وللصحابة من أن الكفار من اليهود والمشركين عابوا على النبي ﷺ نزول القرآن مفرقًا

وطلبوا منه أن ينزل جملة واحدة فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾[5].

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ١/ ٣٦٢،
(٢) سورة الحج الآية (٧٤) .
(٣) سورة لقمان الآية (٢٧) .
(٤) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ٤/ ١٨٤-١٨٥ .
(٥) سورة الفرقان، الآية (٣٢) .

وسألوه مرة أن يصعد إلى السماء وهم يرونه فينزل عليهم كتابًا مكتوبًا، فيما يدعيه على صدقه دفعة واحدة كما آتى موسى التوراة تعنتًا له ﷺ، فأعلم الله عز وجل أن آباءهم قد عنتوا موسى بأكبر من هذا، فقالوا أرنا الله جهرة ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾(١)

وسألوا رسول الله ﷺ ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا؟ كما كلم موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال النبي ﷺ: «**إن موسى لم ينظر إليه**»(٢)، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾(٣).

وقد أورد الكلاعي(٤) النقاش الذي دار بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبين فنحاص وأشيع وهما من علماء وأحبار اليهود في المدينة: دخل أبو بكر بيت المدراس على يهود فوجدهم قد اجتمعوا مع أعداد كبيرة منه، فقال أبو بكر: ويلك يافنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله قد جاءكم بالحق من عنده مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل فقال فنحاص لأبي بكر: والله ياأبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، وما هو عنا بغني ولو كان عنا غنيًا ما أعطانا الربا، أرادوا بذلك قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

---

(١) سورة النساء من الآية (١٥٣).
(٢) النووي، محيي الدين (ت ٦٧٦هـ). المجموع في شرح المهذب. (الطباعة والنشر: دار الفكر)، ١٨/ ٨٥.
(٣) سورة الشورى الآية (٥١).
(٤) الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ١/ ٣٦٣.

فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[١]، فغضب أبو بكر ﵁ لقوله وضربه على وجهه ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدو الله، فذهب فنحاص إلى النبي وقال: يامحمد انظر إلى ما صنع صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**ما حملك على ما صنعت**»، فقال أبو بكر: يارسول الله إن عدو الله قال قولًا عظيمًا وذكر له القصةونزل قول الله تعالى تصديقًا لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٢].

ونزل في أبي بكر قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٣].

هذه الروايات التي أوردتها تمثل اليسير مما ضمته الكتب والمصادر القديمة، التي تتحدث عن الأسلوب اليهودي في طرح أسئلتهم ومناقشاتهم، منذ عصر نبي الله موسى ﵇ وحتى عصر الرسول محمد صلى الله ﷺ.

يستطيع الباحث أن يرى وجه التشابه الدقيق عبر كل الحقب التي عاصرتها هذه الفئة من الناس، فالطريقة ونماذج الأسئلة تكاد تكون واحدة، وإن اختلف رجالها وفي كل الحالات والعصور التي كانت ترافقها تلك الثلة من الناس، نرى الجحود والعناد والرفض والكفر بآيات الله وأنبيائه يتربع على عرش عقولهم وأفكارهم.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٤٥).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٨١).

(٣) سورة آل عمران من الآية (١٨٦).

فالنبي ﷺ كان يدرك وبشكل قاطع أن نتيجة أسئلتهم سوف لن يتمخض عنها إلاَّ الإعراض والابتعاد؛ لأنهم كانوا يضعون الرفض قبل أن يلتقوا برسول الله ﷺ لذلك نراه يأخذ عليهم المواثيق، ويشهد الله عليهم وفي مرات أخرى يتناول آيات من القرآن في رده عليهم لتذكيرهم بعلاقتهم والأسئلة التي سألوها أنبياءهم من قبل والتي كانت على الغالب معجزات لأمر خارق عن العادة مقرونة بالتحدي، فلذلك كانت أكثر معجزات بني إسرائيل حسية ويعود ذلك لبلادتهم وقلة عقولهم(١) .

والمطلع على الأسئلة المادية لليهود وحبهم للمال يستطيع أن يربط بينهما، من حيث كونهما شيئين محسوسين لذلك نلاحظ أن معظم أسئلتهم للنبي ﷺ يمكن وصفها بطلبات حسية، كما تعودوها زمن أنبيائهم وكفُر بها أسلافهم عند وجودها لذلك فإن أي معجزة غير حسية لا قيمة لها عندهم، لهذا وقفوا من معجزة رسول الله ﷺ العقلية المتمثلة في القرآن الكريم وإعجازه موقف الرفض، وقد كانت هناك معجزات حسية كانشقاق القمر وغيرها، فلو استعرضنا معجزات الأنبياء الحسية نراها لا تعدو أن تكون ذكرى وجدت في ظرف معين وانطوت معه، ولم يبق منها سوى ذكر حصولها، أما المعجزة العقلية فنراها باقية بقاء الإنسان وهي معجزة القرآن الكريم.

لو حاولنا أن نحلل وبشكل مختصر الحالة النفسية والعقلية لهؤلاء اليهود، وما يتولد عنها لوجدنا العنصر اليهودي قد خص نفسه بخصال دون البشر وهي تتكون على وفق ثلاث زوايا:

الزاوية الأولى: شخصيته: من المؤكد إن الجنس اليهودي معتدٌّ بنفسه

---

(١) الغزي، محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ). إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن. تحقيق: خليل محمد العربي. ط.١ (القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤١٥هـ)، ٢/ ٣١١.

وبمكانته التي يعتقد أنها تميزه عن بقية البشر، فهو ينظر إلى نفسه نظرة استعلاء وتكبّر وإن كل من سواه هو دونه، لذلك يعتقدون أن كل أموال ودماء ونساء وأطفال غير اليهود مباحة لهم[١].

وأصدق وصف لهم كان قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[٣] لذلك فإن الله تعالى رد عليهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٤]، وكذلك ادّعوا أن لا ذنوب عليهم وإن ما فعلوه نهارًا غفر لهم ليلًا، وما فعلوه ليلًا غفر لهم نهارًا، وشبهوا أنفسهم كالأطفال الذين لا ذنب لهم[٥]، هذه نظرة اليهود أنفسهم.

الزاوية الثانية: حبهم للمال: يُعدُّ اليهود من أكثر الناس حبًا للمال، فلا يتورعون عن كيفية جمعه أمن حلال كان أم من حرام؟، فهم سادة العالم وملوك الربا منذ أن وجدوا إلى يومنا هذا، على الرغم من أن جميع الشرائع السماوية اشتملت على تحريمه[٦].

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الخصلة السيئة بقوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟

(١) النووي، المجموع في شرح المهذب، ١٦/١٤٣.
(٢) سورة المائدة من الآية (١٨).
(٣) سورة الجمعة الآية (٦).
(٤) سورة النساء الآية (٤٩).
(٥) القرطبي، تفسير القرطبي، ٥/٢٤٦.
(٦) م. ن، ٥/٣٦٦.

وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[١].

وهم بلا شك قد حققوا نجاحًا بهذه المهنة المقيتة، ولا أستبعد أن يكون لعجل السامري كونه قد صنع من الذهب، أحد العوامل التي أدت إلى عبادتهم له والذي ظهر بريقه على عقيدتهم التي انبثقت من طباعهم وعبادتهم للمال.

وقد أورد صاحب كتاب حكومة العالم الخفية[٢] وثيقة للرئيس الأمريكي (بنجامين فرانكلين في عام ١٧٨٩)، عندما وضع دستور الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى الرغم من أنها خارجة عن الحقبة التي أتناولها، غير أنني أوردتها للأهمية ودعمًا للموضوع وقد جاء فيها «هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود. أيها السادة: في كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم، وقد أدى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب ماليًا كما هو الحال في البرتغال وأسبانيا إذا لم يبعد هؤلاء عن الولايات المتحدة (بنص دستورها) فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة، في غضون مئة سنة، إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرياتنا الفردية، ولن تمضي مئتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود على حين يظل اليهود في البيوتات يفركون أيديهم مغتبطين».

---

(١) سورة النساء الآية (١٦١).

(٢) شيريب سبيريد وفيتش، ترجمة: مأمون سعيد، تحرير وتقديم: أحمد راتب عرموش. ط٤ . (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)، ص٢٩-٣١؛ أحمد باشميل، غزوة بني قريظة، ص٣٠-٣٢ .

كما أورد عفيف عبد الفتاح طبارة[١] قولًا لأدولف هتلر من كتابه كفاحي يحذر فيه من التغلغل اليهودي في اقتصاديات ألمانيا تمهيدًا للسيطرة عليه حيث قال: «وبدأ اليهود بقرض الناس مالًا بفائدة فاحشة، ولم يكن الآريون قد اعتادوا هذا النوع من القروض فما تنبهوا إلا بعد فوات الأوان، وبعد أن احتكر اليهود التجارة والأعمال التجارية والأعمال الفنية، شغلوا في المدن أحياء خاصة بهم مؤلفين دولة ضمن دولة، ولكن الربا الفاحش الذي كانوا يتقاضونه أفقدهم عطف السكان واشتدت النقمة عليهم عندما راحوا يسترهنون الأرض الواسعة ويتحكمون برقاب مالكيها وفلاحيها تحكمًا، جعل ضحاياهم تتألب ضدهم في نهاية الأمر، وقد اكتشفت في هؤلاء الغرباء طفيليات مزعجة وخطرة».

من ينظر إلى تلك الحالة المادية التي سيطرت على شخصيتهم، يمكن أن تراوده أفكار أن الربا من الأمور التي أباحتها التوراة وهو الذي دفعهم إلى الأخذ به كونه دافعًا لا بد من الأخذ به لكن لو راجعنا نصوص التوراة التي تناولت هذا الأمر لوجدنا التحريم واضحًا وجليًا والنص كالآتي: «إن أقرضت مالًا لمسكين من شعبي فلا تعامله كالمرابي ولا تفرض عليه ربى، وإذا استرهنت ثوب آخر فعند مغيب الشمس رده إليه»[٢].

وفي سفر اللاويين قوله: «لا تأخذ منه ربًا ولا ربحًا بل اتق إلهك .. لا تقرضه مالك بربا ولا تطعمه بربح»[٣]. غير أن أخذ الربا قد أباحوه من غير

---

(١) اليهود في القرآن. ط٧ . (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ص٤١ .
(٢) سفر الخروج، ٢٢/ ٢٤-٢٥ .
(٣) ٢٥/ ٣٦-٣٧ .

اليهودي حيث قال: «بل أقرضوا الغريب بالربا»[١].

مما تقدم يمكن أن نستنتج الأسباب التي كانت تقف وراء إيمان هؤلاء الماديين بالمعجزات الحسية دون العقلية.

الزاوية الثالثة: عقيدتهم: من المؤكد أن عقيدة اليهود التي يؤمنون بها، تنطبق على هواهم فهم يتنكرون لكل حكم لا يتوافق مع مصالحهم الشخصية، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[٢]. فعموا عن الحق والوفاء بالميثاق الإلهي الذي أخذه عليهم أنبياؤهم[٣].

ومن خلال القراءة للتاريخ نجد إن أول من سن الكفر إبليس[٤]، وأول من سن القتل قابيل بقتله لأخيه هابيل حسدًا، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٥].

لذلك فقد قال علماء التفسير إن على قابيل كفلًا من ذنب كل قاتل[٦]، إلى يوم القيامة، ونحن نجد قابيل بدأ القتل بنفسه وامتدَّ إلى كل البشر في الأرض.

---

(١) سفر التثنية، ٢٣/ ٢٠ .
(٢) سورة المائدة الآيتان (٧٠-٧١).
(٣) الطبري، تفسير الطبري، ٦/ ٣١١ .
(٤) ابن ماجه. محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت ٢٧٥هـ). سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد عبد الباقي. (بيروت: دار الفكر)، ١/ ١٩ .
(٥) سورة المائدة الآية (٣٠).
(٦) الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ). شرح الزرقاني. ط١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ٢/ ٦١ .

لكن اليهود كانوا أول من سفك دماء الأنبياء ولم تخرج عنهم، فلم نسمع عن أي أُناس من خلال الكتب السماوية أو التاريخية، أن شعبًا جاءه نبي وتآمر على قتله غير اليهود الذين استحلوا هذه المهنة التي بقيت فيهم ولم تخرج عنهم ولم يقتد أحدٌ بهم، ولقد أشار الله تعالى في كتابه العزيز عن هذه الحالة المحزنة بقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٥).

هذه الآيات تبين الإجرام اليهودي في حق أنبياء الله عليهم السلام. وقد سأل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه رسول الله ﷺ أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟، قال: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبيًا**» ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٦) ثم قال: «**يا أبا عبيدة قتلت بنو**

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١١٢).
(٢) سورة آل عمران الآية (١٨١).
(٣) سورة النساء من الآية (١٥٥).
(٤) سورة البقرة من الآية (٦١).
(٥) سورة آل عمران الآية (٢١).
(٦) سورة آل عمران من الآية (٢١).

إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مئة وسبعون رجلًا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعًا من آخر النهار من ذلك اليوم»[١].

وقال الطبري: إن الذين أخذتهم الصاعقة إنما كانوا على عهد موسى، والذين قتلوا الأنبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم، وقالوا: قتلنا المسيح كانوا بعد موسى وهم اليهود[٢].

هؤلاء هم اليهود وهذه هي عقيدتهم الكفر والإلحاد وقتل الأنبياء ورمي الطاهرات بالبهتان العظيم واتباعهم الهوى.

ولو تسائلنا عن العبرة في العدد الكبير للأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إليهم دون باقي الأمم، ووضعناها على الميزان التاريخي والعملي لتوصلنا إلى نتيجة واحدة لا ثان لها، من أن اليهود كانوا على درجة عالية من الجحود والمعاصي والتمرد، بل والكفر والأبتعاد عن الله تعالى، لا كما يعطون لأنفسهم الهالة الذهبية من أن جميع الأنبياء منهم وبالتالي فازوا على جميع الأمم بهذه الميزة، لكن العاقل يرثي لحالهم لأن ؛ كثرة الأنبياء لا تدل على الأصطفاء .

ولو رجعنا إلى تاريخ الشعوب وأنبيائهم لوجدنا أنبيائهم من القلة بحيث لم يتعد نبي واحد في حقبة زمنية طويلة، ومن هذه الأمم أمة العرب، فقد جاءها رسول الله عليه الصلاة والسلام على فترة من الرسل،وكان خاتم الأنبياء واستطاع قلب عقيدتها الوثنية إلى التوحيد الخالص وكان نتيجة ذلك ما نراه من انتشار للإسلام في جميع أنحاء المعمورة وبات الدين الأول من حيث صفاء

(١) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١/ ٣٥٦؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ، ٧/ ٢٧٢؛ السيوطي، الدر المنثور، ٢/ ١٦٩ .

(٢) الطبري، تفسير الطبري، ٦/ ١١ .

عقيدته وشفافية أحكامه، على الرغم من أن اليهود وعقيدتهم والكثرة الكثيرة من أنبيائهم لم يصلوا معهم إلى ما وصل إليه نبي واحد كمحمد بن عبد الله ﷺ، ولا يعود الفشل إلى ضعف أنبيائهم بل على العكس تمامًا لأن؛ الشعوب التي تلقت رسالتها تختلف في مضمون فطرتها وأساسها العقيدي، فالأمة اليهودية في هذا العصر لا تشكل إلاَّ ثلة قليلة من حيث العدد، قياسًا بعدد ما جاءها من الأنبياء ولا يمكن لعاقل أن يقارن أمة العرب ودينها باليهود وديانتهم وانتشارها بين أمم الأرض فلو كان هذا هو المقياس المعتمد فيجب عندها أن يكون نسبة من انتسبوا لليهودية هم الغالبون في العدد .

ولكل ما تقدم نلاحظ أنه ليس في كثرة الأنبياء يكون الأصطفاء، بل تدل كثرتهم على الأبتعاد والضلال والمصائب الكثيرة التي أحدثوها والتي دعت إلى ارسال هذا العدد والذي كان مصيرهم ما يعلمه الجميع من تكذيب وتقتيل، ويعود أيضًا إلى الانحطاط في عقيدتهم وقسوة قلوبهم وقلة فهمهم، وبالتالي يمكن أن نستخلص العبرة من هذا العدد الذي تطلب ارسال معلمين (أنبياء) يعلمونهم كيف يكون المشي على درب الهداية كالطفل غير المميز الذي تكثر أخطاءه وسقطاته ولا يلق من أبويه والآخرين إلاَّ الصبر والتكرار في تعليمه والأخذ بيده حتى يصبح على قدر من الخبرة التي تؤهله الأستمرار في الحياة والأعتماد على نفسه غير أن اليهود كانوا وما زالوا غير مميزين ولم يستطع كثرة أنبيائهم أن يخرجوهم من دائرة السفاهة إلى دائرة المميزين، فظلوا يعيشون على رواسب الحقب القديمة وما ورثوه عن أجدادهم، من أنهم أصفياء الله وأحباؤه، وحاكوا لحياتهم وأعمالهم ما يتناسب وضلالهم العقيدي والفكري والعملي، وأوجدوا لأنفسهم الأحكام الموافقة لأهوائهم فضلوا وأضلوا من خلفهم .

المبحث الرابع: تعنتهم وحسدهم في عدم الإيمان وتحاكمهم إليه ﷺ

بعد كل الدعوات التي بذلها النبي ﷺ مع اليهود في المدينة المنورة، وما كان ينتج عنها من أسئلة ومناقشات، والحلم الكبير الذي مثله خُلُق رسول الله ﷺ حيالهم وصبره على أسئلتهم التي تعدّت في بعضها حدود المعرفة إلى الخوض في الذات الإلهية غايتهم في ذلك التشكيك وعدم الإيمان، وكان ﷺ في كل ذلك يطمع في إسلامهم كي يخرج بهم من دائرة الضلال، لأجل ذلك كان لا يضيع أي فرصة يمكن أن تصل به إلى تحقيق الغاية التي كُلِّف بها من ربه جلَّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١) وقد كان الكثير ممن حاورهم رسول الله ﷺ أثناء دعوته يصلون إلى درجة الإيمان واليقين، لكنهم كانوا يبتعدون رافضين الدخول في الإسلام تعنتًا، وكان في أغلب الأحيان تعنتًا وحسدًا من عند أنفسهم، فكيف يكون النبي الذي ينتظرونه من العرب؟ وهم يعتقدون بأن النبوة في بني إسرائيل وليس في غيرهم.

وقد وصف الله تعالى بني إسرائيل بالعتو والمخالفة والاستكبار على الأنبياء، وهم في كل زمن يتبعون أهواءهم فذكر الله تعالى أنه أتى موسى الكتاب وهو التوراة فحرفوها وبدلوها وخالفوا أوامرها(٢)، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ

---

(١) سورة المائدة الآية (٦٧).

(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١/ ١٢٣ .

أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ﴾[٤].

فكيف يكون لهؤلاء الذين تكبروا على شريعة موسى وشوهوها بالتحريف زيادة ونقصانًا، ودون أن يحسبوا للآخرة حسابها، فإذا كان نبي الله موسى الذي آذوه وأصابوا من توراته ما أصابوا وهو منهم، وهم يتفاخرون ويقسمون به وبالتوراة التي أُنزلت عليه تقديسًا وإيمانًا بها على حد زعمهم، فكيف يكون والحال هذا مع نبي عربي جاء متممًا للأديان وخاتمها؟ حيث لا نبي بعده، فكيف يرضون أن تخرج النبوة من بيت بني إسرائيل؟، وهم شعب الله المختار وأحباؤه الذين فضلهم على العالمين، وقد دلت الروايات التاريخية، التي تناولت دعوات الرسول لهم وأظهرت هذا الحال.

وقد أورد صاحب العجاب في بيان الأسباب[٥]، سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٦]، إلى أنها

(١) سورة المائدة من الآية (٤٤).
(٢) سورة النساء من الآية (٤٦).
(٣) سورة المائدة من الآية (١٣).
(٤) سورة المائدة من الآية (٤١).
(٥) ابن حجر، ١/ ٢٧٢ .
(٦) سورة البقرة الآية (٧٩).

نزلت في أحبار اليهود حيث وجدوا نعت النبي مكتوبًا في التوراة أكحل أعين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه حسدًا وبغيًا، وقد أتاهم نفر من أهل مكة يسألونهم عن النبي، فقالوا: أتجدون في التوراة نبيًا أُمّيًا، قالوا: نعم، قالوا نجده طويلًا أزرق سبط الشعر فقالت قريش: ما هذه صفة صاحبنا.

فقد حرفوا الصفة التي عرفوها في كتابهم لا لشيء وإنما حسدًا من أن النبوة خرجت من بيتهم وإلى الأبد.

وأخرج أبو نعيم من طريق محمود بن لبيد عن محمد بن سلمة قال: لم يكن في بني عبد الأشهل إلاَّ يهودي واحد يقال له يوشع فسمعته يقول وإني لغلام، قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت، ثم أشار بيده إلى مكة، فمن أدركه فليصدقه، فبعث رسول الله ﷺ فأسلمنا وهو بين أظهرنا فلم يسلم حسدًا وبغيًا[١].

وأخرج ابن سعد من طريق عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : كان الزبير بن باطا وكان أعلم اليهود يقول: إني وجدت سفرًا كان أبي كتمه، فيه ذكر أحمد نبي يخرج بأرض القيوظ[٢]، صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي ﷺ لم يُبعث فما هو إلاَّ أن سمع بالنبي ﷺ قد خرج من مكة، عمد إلى ذلك السفر فمحاه وكتم شأن النبي ﷺ وقال: ليس به[٣]، وقد وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بالحسد[٤] فقال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٣٧٩ .
(٢) القيوظ: جمع قيظ وهو حميم الصيف، ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٤٥٦ .
(٣) السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٤٧ .
(٤) ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٠هـ). جامع العلوم والحكم. ط١ . (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ)، ١/ ٣٢٧ .

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾[٢].

ومما يؤيد ذلك أيضًا قول سلام بن أبي الحقيق: إنا نحسد محمدًا على النبوة حيث خرجت من بني هارون، وهو نبي مرسل واليهود لا تطاوعني على هذا، ولنا منه ذبحان واحد بيثرب وآخر بخيبر، قال الحارث بن عوف: قلت لسلام: هل يملك الأرض جميعًا؟ قال: نعم والتوراة[٣].

وقوله هذا مثير للعجب فكيف يتعنت أمثال هؤلاء؟ وهم يعلمون بصدق النبي ﷺ، وكيف يفضلون الذبح على الإيمان به؟ إنه الحسد والتكبر.

وعن صفوان بن عسال: قال رجل من اليهود لآخر: أذهب بنا إلى هذا النبي نسأله فانطلقا إليه، فسألاه عن تسع آيات فقال: «**تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق، ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى سلطان، وعليكم زفر ألاَّ تعدوا في السبت**»، قالوا نشهد إنك نبي، قال: «**فما يمنعكم أن تتبعوني**»، قالوا: إن داود دعا الله أن لا يزال من ذريته نبي وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود[٤].

وقد جاء في التوراة شبيه لتلك الآيات فقال: «أذكر يوم السبت وكرّسه لي... لاتقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على غيرك شهادة زور»[٥]. تشير

---

(١) سورة النساء الآية (٥٤).

(٢) سورة البقرة من الآية (١٠٩).

(٣) ابن كثير، المصدر السابق، ٤/ ٢٤١.

(٤) أبو المحاسن، يوسف بن موسى الحنفي. معتصر المختصر. (بيروت، القاهرة: عالم الكتب، مكتبة المتنبي)، ١/ ٢١٣؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٧/ ٤٣٧.

(٥) سفر الخروج، ٢٠/٨، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦).

هذه الرواية إلى أمرين:

الأول: معرفة بعض العامة من اليهود أن محمدًا نبي حقًا ولا يؤمنون به لأنه ليس من بني إسرائيل.

والثاني: خشية العامة من اليهود أحبارهم في حالة دخولهم الإسلام، غير أن هذا الأمر ليس بصحيح لأنهم وضعوه مبررًا لعدم إيمانهم، لأن التاريخ لم يسجل أي حادثة قتل لأي يهودي آمن بالإسلام، فضلًا عن أنهم لا يتجرؤون على ارتكاب جريمة قتل في وطن هم فيه ضعاف، ولكنه الحسد والتعنت وحب الذات والأعتقاد بفضلهم على العالمين في كل شيء.

ويدل على أن إيمان الأحبار هو الأساس لإيمان بقية اليهود، لأن النبي ﷺ قال: «**لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بي اليهود كلهم**»(١)، لأن ؛ ذلك يؤيد أيضًا أن اليهود أتباع ومقلدون، ولذلك لم يسلم من أحبار اليهود إلاَّ اثنان: عبد الله بن سلام وابن صوريا بالإجماع، غير أن ابن حجر لم ير لابن صوريا إسلامًا من طرق صحيحة(٢)، وعلى رواية ابن حجر فإن عبد الله بن سلام هو الحبر الوحيد الذي أراد الله به خيرًا، وأما الباقون فرفضوا الإسلام، وفضلوا القتل والجلاء عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ دعا اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم من الله ونقمته لمن عصى فقال له رافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتبع يامحمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيرًا منا وأعلم(٣)، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

---

(١) البخاري، ٣/ ١٤٣٤ .

(٢) المناوي، فيض القدير، ٥/ ٣١١-٣٢٢ .

(٣) ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، ١/ ٤١٧ .

ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(١).

وكانوا في بعض الحالات يأتون إلى النبي ﷺ ليحكم بينهم لأنهم يعلمون بأنه نبي أو ربما لينالوا حكمًا بالتخفيف، لأحكام نزلت إليهم في التوراة على حد زعمهم، وهو الحكم الوحيد ليهوديين موادعين تراضيابحكمه بينهم ولم يسمع بعد ذلك تحاكم لهم لا في زمن أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي(٢) رضي الله عنهم جميعًا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: إن أحبارًا من اليهود اجتمعوا في بيت المدراس، وقد زنا منهم رجل وامرأة أُحصنا، فقالوا: ابعثوا هذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد فاسألوه كيف الحكم فيهما؟ فإن أفتانا حدًا دون الرجم فعلناه واحتججنا عند الله حين نلقاه بتصديق نبي من أنبيائه، وإن أمرنا بالرجم عصينا فقد عصينا الله فيما كتب علينا من الرجم في التوراة، فأتوا رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد بين أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم ما ترى في رجل منا زنا بعد ما أحصن فقام رسول الله ولم يرجع إليهم شيئًا، وقام معه رجال من أصحابه حتى أتوا بيت مدراس اليهود، فوجدوهم يتدارسون التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر يهود أخرجوا إليَّ علماءكم**»، فأخرجوا إليه عبد الله بن صوريا وياسر ابن أخطب ووهب بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علماؤنا، فسألهم رسول الله ﷺ ثم حصل أمرهم إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا: هذا أعلم من بقي بالتوراة، فخلا رسول الله به وشدد عليه المسألة فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم في التوراة، وقال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم أنهم ليعرفون أنك مرسل ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله فأمر بهما فرجما عند باب المسجد، ثم

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٢) الشافعي، الأم، ٧/ ٤٥ .

كفر بعد ذلك ابن صوريا وجحد نبوة رسول الله(١)، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢). هذا شأن اليهود يعلمون الحق ثم يحيدون عنه، يعلمون الحكم ويتحايلون عليه، كما فعل أسلافهم، الذين اعتدوا في السبت وينتهكون حرمات الله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل**»(٣).

وقال ﷺ: «**قاتل الله اليهود نهوا عن أكل الشحم فباعوه فأكلوا الثمن**»(٤)، وهذا الذي أرادوا منه حكم التخفيف لا الإسلام، وأيضًا ليكون لهم حجة أمام الله بأنهم لم ينتهكوا أحكام شريعتهم وتحاكموا إلى نبي، وكأن الله ليس مطلعًا على خائنة الأعين وما تخفي صدورهم.

وقد عزا الطبري سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ١٣٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٦/ ١٧٥ .
(٢) سورة المائدة الآية (٤١) .
(٣) ابن قدامة، المغني، ٥/ ٥١٢ .
(٤) الإمام مالك، بن أنس أبو عبد الله الأصبحي (ت ١٧٩هـ). موطأ مالك. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (مصر: دار إحياء التراث العربي)، ٢/ ٩٣١ .

ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[١] إلى حيَّنٍ في يهود من بني قريظة والنضير، وقد كانت إحداهما قد غزت الأخرى وقهرتها قبل هجرة رسول الله ﷺ، حتى ارتضوا فيما بينهما على كل قتيل قتلته العزيزة (النضير) من الذليلة (قريظة)، فديته خمسون وسقًا وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مئة وسق، فأعطوهم فرقًا وضيمًا[٢]؛ فغيروا بذلك حكم الله تعالى في التوراة، معتبرين أن بني النضير أشرف من بني قريظة، وقد تحاكموا إلى رسول الله وذكروا له الاختلاف في ذلك فقال رسول الله ﷺ: «**فإني أحكم أن دم القرظي وفاء من دم النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي، ليس لأحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل ولا جراحة**»، فغضبت بنو النضير وقالوا: لا نرضى بحكمك[٣]، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٤].

ويتضح مما تقدم إن نجاح الدعوة بين اليهود يصل في أغلب الأوقات إلى نتائج عقيمة ولا تحقق إلاَّ نجاحًا ضئيلًا جدًا أمام جهد دعوي كبير خاضه رسول الله ﷺ وصحابته الفضلاء ويعود في جميعه إلى عقول صاغتها نفوس مُلئت حقدًا وحسدًا واستعلاءً وتكبرًا، فهم سادة الأمس ومنهم الأنبياء فكيف يرضون بأن تتحول قبلة الناس عن قبلتهم، غير أنهم تناسوا ذلهم واستعبادهم وتقتيل أولادهم واستحياء نسائهم وهم مسلِّمون لذلك راضون به. وكم خاطبهم الله تعالى وذكرهم تلك الأيام العصيبة بقوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن

(١) سورة المائدة الآية (٤٤).
(٢) الطبري، تفسير الطبري، ٦/ ٢٥٤؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ١/ ١٢٠-١٢١ .
(٣) السيوطي، الدر المنثور، ٣/ ٧٥؛ العظيم أبادي، عون المعبود، ١٢/ ١٣٣ .
(٤) سورة المائدة الآية (٥٠).

رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾(١). وخير وصف ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾(٢).

وقال الشاعر عبد الرحمن بن الحكم:

لقد أسمعت لو ناديت حيًا ولكن لا حياة لمن تنادي(٣)

* * *

(١) سورة البقرة الآية (٤٩).

(٢) سورة فاطر الآية (٢٢).

(٣) الأصبهاني، الأغاني، ١٥/ ١١٤؛ ابن بنين، تقي الدين المصري، أبو الربيع، سليمان بن خلف بن عوض، (٦١٤هـ). اتفاق المباني وافتراق المعاني. تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر. (عمان: دار عمار ١٩٨٥م)، ١/ ١١٤ .

المبحث الخامس معاملة الرسول لليهود والاستعانة بهم في الحرب

على الرغم من موقف اليهود من الإسلام ومن نبوة رسول الله ﷺ، لم تكن لتؤثر على السماحة النبوية التي انبثقت عن دين الإسلام، ولم تظهر على طباعه ﷺ ولا طباع أصحابه الفضلاء، أي ردة فعل سلبية ضدهم، بل على العكس تمامًا فكانت مواقفه من اليهود كأي مواطن يعيش في يثرب، يتعامل مع جيرانه وأسواقه بيعًا وشراءً واقتراضًا عند حاجته.

ولم يفرق رسول الله ﷺ بين مواطني المدينة في هذا الجانب بين مسلم وغيره لأن؛ حكم المواطنة في وطن يستظل الجميع تحت سمائه.

وقد كان رسول الله ﷺ يتعامل معهم كمواطن وليس كنبي أو رئيس دولة، يفرض على مواطنيه ما يريد من غير أن يعترض عليه أحد، بل على العكس تمامًا. فأغلب الروايات التي وصلت إلينا تبين في جميعها الجشع والخشونة في تعاملهم معه ﷺ.

ومن يقرأ تلك الروايات يجد أن رسول الله ﷺ لم يعتدِ على حقوق الآخرين، ولم يشترِ أو يتعامل معهم إلاَّ عن تراض منهم، في حين نرى التجاوزات الكثيرة من اليهود، تمثلت في التشكيك في ذمة رسول الله ﷺ في إيفاء ما عليه، وقد كانوا في بعض الأحيان يشترطون عليه في البيع.

روي أن النبي ﷺ أسلف إليه رجل من اليهود دنانير مقابل تمر، فقال اليهودي من تمر حائط فلان، أراد بذلك استغلال الوضع وتحديد نوع معين،

فقال النبي ﷺ: «**أما من حائط بني فلان فلا**»[١].

وعن أنس بن مالك قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل من اليهود أستسلفه ثوبين إلى ميسرة، فقال لي اليهودي: اجلس فجلست حتى فرغ من بيعه وشرائه، ثم التفت إليَّ، فقال: والله ما لصاحبك زرع ولا ضرع من أين يعطيني؟ ولم يعطني شيئًا، (قصد بذلك رهن لضمان حاجته). فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**كذب عدو الله أما لو أعطانا قضيناه، ولئن يعيش الرجل وقميصه مرقوع خير له من أن يكل من أمانته**»[٢].

في هذه الرواية دلالة على حسن تعامل النبي مع مواطنيه، ويؤيد ذلك جرأة ورفض اليهودي لطلبه ﷺ.

وعن عبد الله بن سالم عن أبيه عن جده إن زيد بن سعنة، كان من أحبار اليهود أتى النبي ﷺ يتقاضاه، فجذب ثوبه عن منكبه الأيمن، ثم قال: إنكم يابني عبد المطلب أصحاب مطل وإني بكم لعارف، فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ: «**أنا وهو كنا منك أحوج تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر أوفه حقه، أما أنه قد بقي من أجله ثلاث فزده ثلاثين صاعًا لتزويرك عليه**»[٣].

---

(١) أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق : حسين سليم أسد (مطبعة: دار المأمون للتراث، الناشر: دار المأمون للتراث -دار الثقلفة العربية)، ١٣/ ٤٨٣ .

(٢) ابن حنبل، مسائل الإمام أحمد، ١/ ٤٦٩، وأسم ذلك اليهودي (حليق).

(٣) الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت ٢٥٥هـ). سنن الدارمي. تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي. ط١ . (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٢/ ٣٣٧؛ الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، ٢/ ٣٧؛ أبو المحاسن، معتصر المختصر، ١/ ٣٥٠ .

تؤكد هذه الرواية مدى التسامح الذي أبداه الإسلام بشخص رسول الله ﷺ، وتؤكد سوء معاملة اليهود لأعلى سلطة في المدينة، فلو لم يكن هناك تسامح من النبي ﷺ، لما استطاع هذا اليهودي أن يطعن أو يشكك في ذمة رسول الله ﷺ، وتبيّن أيضًا الكرم النبوي في إعطائه زيادة على دَيْنه للقسوة التي أبداها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

هذا التسامح والصبر النبوي لمواطن غير مسلم، إن دل فإنما يدل على أي حرية كان يتمتع بها هؤلاء اليهود، وفي ذلك رد على من يشكك بهذه المعاملة.

وعن أبي رافع مولى النبي ﷺ قال: نزل ضيف بالنبي فدعاني فأرسلني إلى رجل من اليهود ببيع، فقال: يقول لك محمد أو رسول الله نزل بنا ضيف، ولم يبت عندنا ما يصلحه، فبعني كذا وكذا من الدقيق، أو أسلفني إلى هلال رجب، قال: والله لا أبيعه ولا أسلفه إلاَّ برهن فخرجت إليه فأخبرته، فقال: **«والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه أذهب بدرعي»**[(١)] .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله ﷺ، ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير[(٢)]، وربما يسأل سائل لماذا لم يتعامل رسول الله ﷺ مع الصحابة ؟ ألم يكن بينهم تاجر عنده ما عند اليهود ؟ .

وقد قال العلماء إن من الحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة رضوان الله عليهم، إلى معاملة اليهود وما كان يلاقيه من سوء معاملتهم، فربما لبيان الجواز أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة

(١) الروياني، محمد بن هارون أبو بكر(ت ٣٠٧هـ). مسند الروياني. تحقيق: أيمن علي أبو يماني. ط١ . (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤١٦هـ)، ١/ ٤٦٢ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ٣/١٠٦٨ .

غيرهم أو ربما خشي أن لا يأخذوا منه ثمنًا لسلعته أو عوضًا، فلم يرد التضييق عليهم فإنه لا يبعد أن يكون فيهم إذ ذاك من يقدر على هذا وأكثر منه، فلعله لم يطلعهم على ذلك(١).

وأيًا كان مما تقدم فهو يدل على أن الفقر هو الغالب على الغالبية العظمى من المسلمين في المدينة، كيف لا وقد استولت قريش على أموال المهاجرين الذين وصلوا إلى المدينة ولا يملكون أي شيء، فكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وتقاسم الأموال فيما بينهم كما تقدم ذكر ذلك، وتشير هذه الرواية إلى الحالة المادية الجيدة التي كان يتمتع بها اليهود، التي جعلتهم يقفون هذه المواقف المشينة بحق من تعامل معهم، حتى أن بعضهم كان يستوقف النبي ﷺ لمال له عليه كان رسول الله تقاضاه منه، وكان لخلق رسول الله وحسن معاملته معه وصبره عليه الأثر الكبير في نفسه الذي دفعه إلى الإسلام.

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يهوديًا كان له على رسول الله ﷺ دنانير فتقاضى النبي، فقال له: «**ما عندي ما أعطيك**»، قال فإني لا أُفارقك يامحمد حتى تعطيني، قال: «**إذًا اجلس معي**»، فجلس معه فصلى النبي ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء والغداة، وكان أصحاب النبي يتهددون اليهودي ويتوعدونه، فقالوا: يارسول الله يهودي يحبسك، قال: «**منعني ربي أن لا أظلم معاهدًا ولا غيره**»، فلما ترجل النهار أسلم اليهودي، وقال: شطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلاَّ لأنظر إلى نعتك في التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق ولا متزين بالفحشاء ولا قوال(٢).

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ٥/ ١٤١-١٤٢؛ المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٤/ ٣٤٠.
(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ)، ٢/ ٦٢٢.

تشير هذه الرواية أولًا على الفقر الذي كان عليه النبي وصحابته الكرام.

وتشير: إلى حفظ حقوق أهل الذمة حتى أن الذمي قوي بحقه، قادر على الوقوف لأخذه بلا خوف أو وجل ولو كان هذا الرجل رسول الله ﷺ، ولم تقتصر معاملة رسول الله ﷺ على التعامل المادي، بل تعداه لأكثر من ذلك فقد استعان بهم في حربه وأسهم لهم[١].

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما غزونا خيبر كان معنا من يهود فدك جماعة منهم[٢].

وقد روى الزهري أن رسول الله ﷺ كان يغزو باليهود فيسهم لهم كسهام المسلمين[٣].

وذهب صاحب البحر الرائق شرح كنز الدقائق[٤]، إلى القول إلى أن النبي ﷺ استعان باليهود على اليهود، ولم يسهم لهم كسهم المسلمين، بل أعطاهم الرضخ، والرضخ في اللغة: إعطاء القليل في سهم الغنيمة، وهذا ما أيده ابن عباس رضي الله عنه من أن النبي ﷺ استعان بيهود بني قينقاع فرضخ لهم ولم يسهم لهم[٥].

وقد أكد الشافعي[٦] من أن رسول الله ﷺ استعان في حربه ببعض اليهود،

(١) الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ١٢٧؛ الحنبلي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي ٦٤٣هـ). الأحاديث المختارة. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط١ . (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠هـ)، ٧/ ١٨٩ .

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف، ٧/ ٦٦١ .

(٣) م. ن، ٦/ ٤٨٨ .

(٤) ابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ). تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. ط١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ٥/ ١٥٢ .

(٥) البيهقي، السنن الكبرى، ٩/ ٣٧، قال: حديث ضعيف فيه الحسن بن عمارة.

(٦) الأم، ط١ . (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، ٤/ ٢٧٦ .

وأشار إلى أن ذلك لا يعترض مع قوله ﷺ: «**لا نستعين بمشرك**»[١]، لأن للنبي الخيار في أن يستعين بمشرك أو يرده كما له رد المسلم، فليس في الحديثين تناقض وإن استعانة الرسول بهم بعد ذلك، كان ناسخًا لحديث المنع، ولا بأس أن يُستعان بالمشركين على قتال المشركين إذا خرجوا طوعًا، ويرضخ لهم ولا يسهم لهم ولم يثبت عن النبي أنه أسهم لهم كسهم المسلمين.

وقد نقل صاحب الشرح الكبير[٢] اشتراط العلماء بعد ذلك أن يكون من يُستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم لم تجز الاستعانة بهم.

مما تقدم يؤيد وجهة نظرنا في عبادة اليهود للمال، ولو كان على حساب أبناء دينهم وهو محرم عليهم في ديانتهم، فالمادة عندهم أساس قيامهم والدين يأتي مكملًا فقط.

وعلى هذا فإن لليهود حق المواطنة الكاملة، ويؤيد ذلك من أن النبي ﷺ، لم يفرض عليهم الجزية كما فرضها على أهل الكتاب في حال عدم دخولهم الإسلام وأعطاهم الحرية الدينية الكاملة، فلم يتدخل ﷺ باعتباره رئيس الدولة، ولا أصحابه الأكارم في شؤونهم الدينية ولم يكرهم على الإسلام وإنما كانت دعوته لهم تنم في كثير من الأحيان على تجاوزات من اليهود.

ولا أعتقد أن هناك مجتمعًا قديمًا كان أو حديثًا عاشه اليهود أو غيرهم حصلوا فيه على امتيازات كالأمتيازات التي أعطاها رسول الله ﷺ لمواطنيه في يثرب ولم يسجل التاريخ أن اليهود قد تعرضوا لأي نوع من أنواع الظلم أو

---

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١١/٢٨ .

(٢) ابن قدامة، عبد الرحمن (ت ٦٨٢هـ). (المطبعة: بيروت: دار الكتاب العربي، الناشر: بيروت: دار الكتاب العربي)، ١٠/٤٢٩ .

الانتقاص أو فُرض عليهم ضغوط من أي نوع على الإطلاق، بل على العكس تمامًا فقد رأينا المواقف السلبية لليهود أثناء معاملتهم رسول الله ﷺ وصحابته، وتجاوزهم في كثير من الأحيان حدود المواطنة والحرية التي منحها الإسلام لهم، وبدل من أن تنعكس هذه الحرية في خدمة المجتمع الإسلامي وبنائه وفاءً له ولما قدمه لهم، نراهم كتلة متأخرة تحمل معاول الهدم لقواعد بنائه، وهذا ما سنبينه في الفصل الآتي.

الفصل الثالث
أساليب اليهود التآمرية في محاربة الإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: سبب عداء اليهود للإسلام والمسلمين.

المبحث الثاني: دخولهم الإسلام نفاقًا والتشكيك فيه.

المبحث الثالث: إثارتهم للأحقاد والفتن ومحاولة قتل النبي ﷺ وصحابته وسحرهم.

المبحث الرابع: التحريض على حرب المسلمين.

* * *

المبحث الأول
سبب عداء اليهود للإسلام والمسلمين

كان اليهود في بداية نزول المسلمين يثرب، يتعاملون مع الوضع الجديد بصورة طبيعية غير عدائية، ويعود ذلك إلى أن المسلمين لم يشكلوا في البدايات الأولى من هجرتهم، أي احتكاك معهم مما قد يؤدي إلى نشوب حالات توتر بينهما.

فقد جاء الإسلام بدعوة التوحيد ومؤمنًا بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، في مجتمع وثني لا يؤمن بتلك التفاصيل الدينية بل على العكس يناقضها في كل شيء.

وكان أمل المسلمين أن يُكوّنوا معهم وحدة واحدة تشدُّ بعضها بعضًا، ضدَّ الوثنية أو أن يقف اليهود موقف حياد إزاء ذلك[(١)].

وقد تمتع أهل الكتاب بالحريات الدينية دون ضغوط على معتنقيها، بل ترك لهم حرية الأختيار للعقيدة وهو من صميم الدين الإسلامي الحنيف، وكانت قاعدته قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)].

---

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط١ . (بيروت، بغداد: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م)، ٦/ ٥٤٤ .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

وقد نظر الرسول ﷺ إلى يهود المدينة نظرة مواطنين في دولته، فلم يفرض عليهم الجزية وهذا ما بيناه في مطلب سابق، فضلًا عن أن رسول الله ﷺ قد توافق بعض عباداته مع بعض عباداتهم كصوم عاشوراء والتوجه إلى بيت المقدس في صلاته، وجواز نكاح الكتابيات، كونهم أهل دين سماوي، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾(١) وهم في غالبيتهم وافدين إلى شبه الجزيرة العربية غرباء عنها، وتحريمه الزواج من المشركات بنص القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ﴾(٢)، على الرغم من كونهن عربيات.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ﴾(٣)، وغير ذلك من الأمور التي تقدم ذكرها بالتفصيل، هذه السماحة النبوية الإسلامية، كانت مثلًا عظيمًا يُحتذى به.

وقد كان هَمُّ النبي ﷺ في دعوته التي عانى من أجلها الكثير هو تحقيق الهداية للناس أجمعين، لكل أصنافهم وألوانهم وكان اليهود ضمن الذين وصل إليهم التبليغ عن رسول الله ﷺ، وقد كان موقفهم من تلك الدعوة سلبيًّا وبشكل كبير، تمثل ذلك بالحوارات الكثيرة التي كانت تجري بين رسول الله ﷺ وأحبار اليهود وعامتهم والتي تطورت في كثير منها إلى تعدٍّ على الخصوصيات الغيبية، وفي بعضها إساءة للذات الإلهية، وكانت تلك التجاوزات تصطدم في النهاية بجدار الإسلام الصلب وآياته القرآنية، التي تشكل إظهارًا لحقائق وتفاصيل

(١) سورة المائدة من الآية (٥).
(٢) سورة البقرة من الآية (٢٢١).
(٣) سورة المائدة من الآية (٥).

كانت بمثابة غيبيات طمستها أيدي العابثين، لحياة الرسل والأنبياء تزويرًا لها وتحريفًا، وكانت تهدف في مجملها إلى بيان الشخصية لثلة أطلقت على نفسها أبناء الله وأحباؤه.

وعندما اشتدت الحوارات ونزل القرآن بآيات خصّت اليهود منذ بداية عهدهم بموسى عليه السلام، إلى زمن نبينا محمد ﷺ ومواقفهم وكتمانهم للحق وعرّت أفعالهم وعصيانهم لله ورسوله موسى ومن بعده الأنبياء، وبشكل فيه الكثير من التفصيل والتحليل لنفوسهم ولسيرتهم، وكان لتلك الآيات وقعها الشديد عليهم لأن رسول الله ﷺ وصحابته كانوا بمثابة منبر إعلامي يجول شبه الجزيرة العربية وما حولها، يحمل في صدره القرآن ويتلوه على الناس جميعًا، فأصبحوا عراة من كل فضيلة صنعوها وزيفوها لأنفسهم وخدعوا الناس بها.

وكان من أشد الأمور مرارة عليهم تحريم الإسلام للربا والتعامل فيه، فأصيبت تجارتهم المثلى التي يعيشون عليها بمقتل، لكونه عماد الشخصية اليهودية وقوامها الثلاثي المادي والعقيدي والشخصي، فطمس الإسلام الناحية الشخصية واستعلاءها على البشر بنشر أكاذيبهم.

والناحية العقيدية التي فُنّدت تحريفًا وتضليلًا بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم، وكلتا الحالتين تشكلان عندهم أهمية عظيمة، ولكن ليست بمقدار الناحية المادية، فهم يعيشون على مصائب الآخرين وحاجتهم.

وقد كان جُلّ اعتماد اليهود في شبه الجزيرة العربية آنذاك على التجارة ومعاطاة الربا(١)، حيث وجهوا كل نشاطهم إلى تضخيم ثرواتهم عن طريق

(١) جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٣٥ .

تعاطي الربا الفاحش حتى أنهكوا من تعامل معهم من القبائل العربية وصنعوا لأنفسهم سلطانًا بذلك[١]؛ لذلك جعلوا المال معبودهم الأول لأنه على حد اعتقادهم يسد مكان فراغ العقيدة ويصنع الشخصية اليهودية من خلال فرضها على الآخرين بتلك الوسيلة المهمة في حياة الأمم، فضلًا عن ذلك كله حسدهم واستياؤهم من خروج النبوة من البيت اليهودي، وهم الذين انتظروه مئات السنين وأقاموا في شبه الجزيرة العربية وتحملوا قسوتها وتسلط قبائلها لأجل هذه الغاية.

كل تلك الأسباب وربما يكون هناك غيرها كانت تقف سببًا لحسدهم ودفعهم إلى التآمر على شخص الرسول ﷺ وصحابته الفضلاء بالقتل تارة والسحر والسم تارة أخرى، وإثارة القبائل العربية وحشدها لأستئصالهم والقضاء على الإسلام.

(١) أحمد باشميل، غزوة بني قريظة، ص٤٦ .

المبحث الثاني
دخولهم الإسلام نفاقًا والتشكيك فيه

بعد النجاح الكبير الذي حققه الإسلام في مجاله الدعوي، وانتشاره بشكل واسع بين الأوس والخزرج على حد سواء، والتلاحم الأخوي الذي أوجده رسول الله ﷺ بأمر من ربه جلَّ جلاله، بعد عداء استمر لعشرات السنين، فكان الإسلام البلسم الشافي لتلك الجروح التي عمل على التئامها، ولم يكن لأحد أن يظن أن أعداء الأمس صاروا اخوة اليوم.

إنها إرادة الله التي أرادها لهم بقوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وقد كان لهذا الحال أثره السيئ على اليهود؛ لأنه سوف يظهر على مصالحهم التي يعيشون عليها، ويفقدهم المناخ الذي أوجدوه بما يتلائم مع طباعهم من إشعال نار الفتنة بين من يعتقدون أنهم يشكلون خطرًا على مصالحهم، لذلك عمدوا إلى إضرام النار بين الأوس والخزرج بغية إضعافهم، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلًا .

وقد أشار جواد علي[2] لهذه الناحية من أن ظروفهم كانت تدفعهم في بعض الأحيان إلى إثارة الحرب بين قبيلتين، إذا كان فيها مصلحة تعود عليهم بالفائدة

(١) سورة الأنفال الآية (٦٣).
(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٣٦ .

كإنهاك قوة عدوهم ممن يشكلون عليهم خطرًا، كالحرب بين الأوس والخزرج لأن في ذلك إضعافًا للطرفين معًا، ومن ثم لا تبقى لهم قوة تهددهم، ويستطيعون بذلك حماية أنفسهم من أي خطر محتمل، وتكون لهم السيادة على مبدأ فرق تسد.

وقد كان لإسلام الأنصار والتآخي بينهم وبين المهاجرين، يشكل خطرًا جسيمًا عليهم إذا ما استمر هذا الحال، لا سيما وأنهم كانوا قد قهروهم قبل الإسلام، فكيف يكون حالهم بعد الإسلام ومعهم المهاجرون من مكة والمسلمون يزيدون كل يوم وبسرعة كبيرة، فلم يجدوا وسيلة سوى دخولهم الإسلام نفاقًا لعلمهم أنه الأسلوب الوحيد الذي يستطيعون فيه أن يحققوا أهدافهم لكي يطعنوا به من الداخل، لأنهم يعلمون أن تأثيرهم وهم خارجه لا يأتي بفائدة تُرتجى، فدخل بعضهم الإسلام لهذه الغاية.

وكان ممن دخل الإسلام نفاقًا من أحبار اليهود من بني قينقاع سعد بن حنيف، ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، وزيد بن اللصيت، وهو الذي قال حين ضلّت ناقة رسول الله ﷺ: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، فقال رسول الله ﷺ: «**إن منافقًا يقول: أليس يزعم أنه نبي ويخبركم بخبر السماء ولا يدري أين ناقته؟ والله لا أعلم إلاَّ ما علمني ربي وقد أعلمني أنها في الوادي في شعب كذا حبستها شجرة بزمامها**»، فذهب بعض الصحابة فوجدوها كما ذكر فأتوه بها(١).

وقد كان عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين وكهفهم الذي يأوون إليه

---

(١) الماوردي، أعلام النبوة، ١/ ١٥٩؛ الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ١/ ٣٦٨.

فكانوا يجتمعون عنده[١] وقد كان رافع بن حريملة أحد المنافقين الكبار الذي قال فيه رسول الله حين مات: «**قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين**»، وكذلك رفاعة بن زيد ابن التابوت، قال عنه حين هبت ريح شديدة، بعد عودته من غزوة بني المصطلق: «**لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار**»، فلما قدم رسول الله وجد رفاعة قد مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح، ومنهم أيضًا سلسلة بن برهام بن صوريا[٢].

وقد كان هؤلاء المنافقون يحضرون في مسجد رسول الله ﷺ فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون منهم ومن دينهم، فاجتمع يومًا بعضهم فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون فيما بينهم خافضي أصواتهم، وقد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا[٣].

وكان الهدف من اعتناقهم للإسلام ظاهرًا هو التشكيك فيه ولا سيما عند حديثي العهد بالإسلام.

وقد أعاد ابن حجر[٤] سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٥] إلى أن اليهود دعوا عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم إلى دينهم، وقالوا لهم: إن ديننا خير من دينكم ونحن أهدى سبيلًا.

وقد اتفق أحبار اليهود فيما بينهم على أن يدخلوا في دين الإسلام أول

---

(١) ابن عبد البر، يوسف النمري (ت ٤٦٣هـ). الدرر في اختصار المغازي والسير. تحقيق: شوقي ضيف. ط.١ (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٣هـ)، ١/ ٩٥ .

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ٦٠-٦١ .

(٣) م. ن، ٣/ ٦١ .

(٤) العجاب في بيان الأسباب، ٢/ ٦٩٢ .

(٥) سورة آل عمران الآية (٦٩).

النهار، ويقولون: إن محمدًا صادق، فإذا كان آخر النهار يكفرون به، ويقولون: إنا رجعنا إلى علمائنا وأحبارنا وسألناهم فحدثونا أنه كاذب وليس على شيء وإنكم لستم على شيء، وقد رجعنا إلى ديننا فهو أعجب إلينا من دينكم، لعلهم يشكّون فيقولون هؤلاء كانوا معنا أول النهار فما بالهم؟ فأخبر الله عز وجل نبيه بذلك[1] فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

هذه الأساليب التي اتبعوها كانت من تدابير الشيطان الذي أوحى إليهم بتلك الوسائل، وفي هذا إشارة إلى أن العرب كانوا يعتبرون اليهود أهل علم بأحوال الأنبياء ويثقون بهم في هذا المجال لذلك نرى اليهود قد استغلوا هذه الناحية وأرادوا فتنة المسلمين بهذه الثقة والعلم، لكنهم خاب رأيهم لأن من يُكاد له يستند إلى ركن شديد هو الله الذي يقول: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[3].

وعن ابن عباس قال: كانوا يكونون مع النبي أول النهار يكلمونه ويمارونه، فإذا أمسوا وحضرت الصلاة صلوا معه، وفي آخر النهار عادوا إلى دينهم فإذا رآهم غيرهم من المسلمين، يقولون: هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا بهذا الدين فينقلبون عن دينهم[4].

---

(١) ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، ٢/ ٦٩٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٢) .

(٣) سورة إبراهيم الآية (٢٧) .

(٤) ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، ٢/ ٦٩٥ .

وقد كانوا يستغلون كل ظرف قد يساعد في رد المسلمين عن دينهم، وخاصة الظروف العصيبة، والتي يكون لها وقع مؤلم في نفوس الناس.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)، نزلت في نفر من اليهود، قالوا للمسلمين بعد غزوة أحد وأصاب المسلمين ما أصابهم بعد مخالفتهم لوصايا رسول الله ﷺ ألم تروا إلى ما أصابكم، لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم(٢).

وكانوا أيضًا يلقون أصحاب النبي ﷺ ويقولون لهم نحن معكم وعلى دينكم، وإذا خلوا إلى أحبارهم ومُضلّيهم، قالوا: إنا معكم ووصف الله حالهم هذا بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(٣).

وكان من جملة الأساليب الأخرى التي اتبعها اليهود محاولة فتنة النبي ﷺ.

وعن ابن عباس قال: اجتمع قوم من الأحبار منهم ابن صورياوكعب بن أسد وشأس بن عدي، وقالوا: اذهبوا بنا إلى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا له: قد عرفت يامحمد إنا أحبار اليهود وإن اتبعناك لم يخالفنا أحد من اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة، فنحاكمهم إليك فاقض لنا حتى نؤمن لك، فأبى رسول الله ﷺ(٤)، فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم

(١) سورة البقرة الآية (١٠٩).
(٢) ابن حجر، العجاب في بيان الأسباب، ١/ ٣٥٤.
(٣) سورة البقرة الآية (١٤).
(٤) القرطبي، تفسير القرطبي، ٦/ ١١٨؛ طبارة، اليهود في القرآن ص٣٥.

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾(١).

فضلًا عن كل ما تقدم فقد قام اليهود باستغلال الظروف المادية السيئة للمسلمين، فقاموا بمحاربتهم فأمسكوا عن دفع ديون وأمانات كانت عندهم للمسلمين، وكانوا يقولون لهم: ليس لكم علينا شيء لأنكم تركتم دينكم وادعوا أنه حكم التوراة(٢) فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣).

هذه الوسائل ووسائل أخرى أتبعها اليهود، وخططوا لها مع شياطينهم، غايتهم الأولى في ذلك رد المسلمين عن دينهم، فلم يكفهم عدم إيمانهم بمحمد ﷺ، وهم أولى الناس به بل أرادوا أن يرتد متبعو الإسلام عن دينهم، لذلك نراهم ينشطون في دعوتهم لليهودية ولم يكن لها وجود في السابق، والتي لم تكن تلقى لها آذانًا صاغية في الجاهلية، وخاصة بين صفوف الأوس والخزرج، فكيف يكون مصيرها بعد الإسلام؟ .

تلك أمانيهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة الآية (٤٩).
(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، ٦/ ٢١٣؛ طبارة، اليهود في القرآن، ص٢٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية (٧٥).
(٤) سورة البقرة الآية (١١١).

المبحث الثالث إثارتهم للأحقاد والفتن ومحاولة قتل النبي ﷺ وصحابته وسحرهم

بعد الفشل الكبير وخيبة الأمل التي أصابت اليهود من الكيد للإسلام والمسلمين من خلال التشكيك فيه، والضغط على المسلمين بأساليب تنوعت بأشكالها وألوانها، لتحقيق هدفهم في النيل من إيمان المؤمنين، وعلموا أن هذه الإستراتيجية لن تحقق أي نجاح بل على العكس تمامًا، فقلبت الأمور على غير ما يريدون وترسخت عقيدة المسلمين في صدورهم بما لا يقبل الشك أو التأثير فيها، واستطاعوا أن ينظروا إلى أعدائهم ومن نافق معهم نظرة واعية صادقة، وتيقنوا أن هناك مؤامرات تُحاك للنيل من إيمانهم وعقيدتهم، فوقفوا كالجبل الراسخ الذي لا تهزه الرياح، لذلك عمدوا إلى اتباع طريقة أكثر عداوة وحقدًا عَكَسَ حجم الفشل الذي دفعهم إلى معركة مكشوفة هم ليسوا رجالها، ظانين بأن سهمهم هذا سيحقق ما فشلوا فيه، فعمدوا أولًا إلى إثارة الفتنة وإشعال فتيلها من خلال الإيقاع بين الأوس والخزرج، وتذكيرهم أيام حرب بعاث، وما كان فيها التي سجلتها دواوينهم الشعرية. وقد أورد المؤرخون(١) هذه القصة:

مر شأس بن قيس وكان شيخًا قد عمي بصره عظيم الكفر شديد الحقد على المسلمين شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس اجتمعوا فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم واجتماعهم وصلاح

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ٩٤-٩٥؛ الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ١/ ٣٦١-٣٦٢ .

حالهم، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر شابًا من يهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث، وأنشدهم أشعارهم، وكان يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس، ففعل الشاب ما أمره شأس فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا ثم قال أحدهما إن شئتم رددناها الآن، وغضب الفريقان جميعًا، وقالوا: قد فعلنا موعدكم الظاهرة، ونادوا السلاح السلاح فخرجوا إليها وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: « **يامعشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر به وأنا بينكم**»، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، وقد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم فأنزل الله في شأن شأس بن قيس قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١)، وأنزل في حق الرجلين الأوسي والخزرجي وصنيعهما عما فعله شأس من أمر الجاهلية، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة آل عمران الآيتان (٩٨-٩٩).

﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

كانت لهذه الآيات الرائعات وقعها العظيم على قلوب صنعتها إرادة الله، كيف لا؟ وهو كلام الله المنزل على قلب نبيه ﷺ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو أعلم بدواء القلوب وعلله ولا يحتاج علاجه إلاَّ لكلمات منه تسقط على أي مؤمن فتفعل به فعلًا عظيمًا، ولا يعلم حلاوتها ووقعها إلاَّ المؤمنون.

ومن الأساليب الأخرى التي اتبعوها محاولة إفساد ذمة صحابة رسول الله ﷺ، من خلال عرض الرشوة عليهم، فعن سليمان بن يسار أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله ابن رواحة إلى خيبر فيخرص(٢) بينه وبين يهود خيبر، وقد جمعوا له حليًا من حلي نسائهم، فقالوا له: هذا لك وخفف عنا وتجاوز في القسمة، فقال ابن رواحة رضي الله عنه: يامعشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليَّ وما ذلك بحامل على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت وهي تذكر شأن خيبر أن النبي ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى زفر فيخرص عليهم النخل حين يطيب قبل أن يؤكل ثم

(١) سورة آل عمران الآيات (١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣).
(٢) الخَرْص: حَزْرُ ما على النخل من الرطب تمراً، وقد خَرَصْت النخل والكرْمَ أَخْرِصُهُ خَرْصًا إذا ما حزر ما عليها من الرطب ومن العنب زبيباً، وهو من الظن لأن الحَزْرَ إنما هو تقدير بظن، ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٢٤٣ .
(٣) ابن مالك، الموطأ، ٢/ ٧٠٣؛ الكتاني، عبد الحي الإدريسي الحسني الفاسي. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية. (بيروت: دار الكتاب العربي)، ١/ ٤٠٠ .

يخير زفر يأخذونه بذلك الخرص أم يدفعونه إليهم بذلك الخرص لكي تحصى الزكاة قبل أن تؤكل الثمار وتفرق[(١)].

وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[(٢)].

ومن الأساليب الأخرى والأكثر خطرًا القيام بعمليات قتل لبعض المسلمين ومحاولة قتل النبي وسحره.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: أن يهوديًا رضَّ رأس جارية بين حجرين فقيل من فعل بك أفلان أفلان حتى سمي اليهودي فأومأت برأسها فجيء به فلم يزل حتى اعترف فأمر النبي ﷺ فرض رأسه بالحجارة[(٣)].

وقد كان بين بني قينقاع ورسول الله ﷺ عهد وموادعة فأتت امرأة من الأنصار إلى صائغ منهم ليصوغ لها حليًا، فلما جلست عمد إلى بعض حدائده فشدَّ ذيلها وجيبها وهي لا تشعر، فلما قامت المرأة وهي في سوقهم نظروا إليها منكشفة فجعلوا يضحكون منها ويسخرون[(٤)].

تشير هذه الحادثة إلى الحرية الزائدة والاطمئنان الكامل لليهود في المدينة الذي أوجده رسول الله ﷺ هذه الحرية هي التي دفعت وطمّعت هذا اليهودي إلى عمله المشين، فلو لم يكن يشعر هذا اليهودي بها لما تجرأ على فعلته تلك

---

(١) البيهقي السنن الكبرى، ٤/ ١٢٣ .

(٢) سورة المائدة الآية (٤٢).

(٣) البخاري، صحيح البخاري، الخصومات، ٣/ ١٨٧؛ مسلم، صحيح مسلم، القسامة ٥/ ١٠٤ .

(٤) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٩/ ٢٠٠ .

ولراجع نفسه مرات ومرات عديدة خشية ما تحمله من أمور لا يحمد عقباها.

وهناك حوادث قتل جرت للمسلمين قام بها اليهود بغية إرهابهم وبث الذعر في قلوبهم، ومن هذه الحوادث محاولة قتل النبي ﷺ ولمرات عديدة وبأساليب مختلفة كمؤامرة بني النضير لقتله وسوف يأتي ذكرها لاحقًا، ومحاولة قتله بالسم.

عن ابي سلمة قال أن النبي ﷺ كان يأكل الهدية ولا يقبل الصدقة فأهدت له إمرأة من يهود خيبر شاة مصلية فتناول منها وتناول منها بشر بن البراء ثم رفع النبي ﷺ يده ثم قال: «**إن هذه تخبرني أنها مسمومة**» فمات بشر بن البراء، فأرسل إليها النبي ﷺ فقال لها: «**ما حملك على ما صنعت**»، فقالت: إن كنت نبيًا لم يضرك شيء وإن كنت ملكًا ارحت الناس منك، فقال رسول الله ﷺ «**ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهري**»(١).

وقد قيل إن أحد أسباب موت سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، أن اليهود سمته في حريرة أكل منها هو والحارث بن كلدة، حيث أخذ منها الحارث، ثم قال: كف فقد أكلت طعامًا مسمومًا يكون مفعوله بعد سنة من تناوله فماتا جميعًا بعد سنة(٢).

ومن المحاولات الأخرى التي مارسها اليهود ضد المسلمين، مزاولتهم للسحر واستهدفوا أيضًا رسول الله ﷺ لأنه كان يشكل الخطر الأول عليهم.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: سُحر النبي ﷺ حتى كان يُخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا

---

(١) الدارمي، سنن الدارمي، ١/ ٣٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم حتى (٢٥٧هـ)، ٤/ ١٢٩.

ودعا ثم قال: «يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل، فقال: مطبوب، قال: من طبه قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء، قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه فجاء فقال: يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين»(١).

من الروايات المتقدمة وأخرى لم نذكرها، نلاحظ النقلة النوعية في الأساليب والطرق التي استُخدمت في محاربة الإسلام والمسلمين، فلم يدع بنو يهود وسيلة وسوس لهم بها شياطينهم إلاَّ أخذوا بها، ونلاحظ بالمقابل حلم رسول الله ﷺ وصبره عليهم إلاَّ في حدود الله.

(١) البخاري، صحيح البخاري، ٧/ ٢٨؛ مسلم، صحيح مسلم، ٧/ ١٤.

المبحث الرابع

التحريض على حرب المسلمين

بعد سلسلة المؤامرات التي حاكها يهود المدينة ضد المسلمين، وانهزامهم على كل الساحات العسكرية والدينية، التي مُنوا بها أمام جموع المسلمين وإيمانهم، بحيث وصلوا إلى قناعات حتمية، بأنهم ليسوا قادرين على الوقوف أمام السيل الإسلامي الجارف، فلجأوا إلى إشعال نار الفتنة من خلال إثارة القبائل وحشدها لحرب المسلمين بغية استئصالهم، فعمدوا إلى الحيلة والمكر والخداع، ولو كان في ذلك خروج عن دينهم ومعتقدهم، من خلال تفضيلهم الوثنية على دين الله، وقد أورد المؤرخون هذا الحدث والأسباب التي كانت وراء غزوة الخندق.

بعد أن أجلى رسول الله ﷺ بني النضير عن المدينة، خرج عدد من اليهود كان منهم سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع النضريون وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليان في نفر من بني النضير وبني وائل وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله، حين قدموا مكة على قريش فاستفزوهم واستنفروهم على رسول الله ﷺ ودعوهم إلى حربه ورغبوهم بذلك وقالوا لهم: سنكون معكم حتى نستأصله سوية[١]. ونكون معكم على عداوته، فقال أبو سفيان لهم: مرحبًا وأهلًا وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد[٢].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/ ١٧١؛ الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ١١٨-١١٩.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٦٢٩.

لم يكتف رؤساء قريش مقولة اليهود ووعدهم، بل طلبوا منهم أكثر من ذلك بكثير، فقد طلب أبو سفيان ما يأتي:

لكن لا نأمنكم وليس لنا بكم ثقة إلاَّ إن سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن إليكم، فاستجابوا له على الفور وخروا ساجدين لأصنام قريش، وبعد سجودهم قال لهم رجال قريش: يامعشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دين محمد؟ فأجابوا ودون تردد: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه وفي رواية نحن أهدى سبيلا أم محمد ؟ فقالوا : أنتم أهدى سبيلا، لأنكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية، وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم، أي فأنتم أولى بالحق منه[1] فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[2].

يشير هذا الحدث وما قام به اليهود من السجود للأصنام وتفضيل الأوثان على دين الله إلى أن هناك ارتباط وثيق لم ينقطع بين يهود شبه الجزيرة العربية وأجدادهم من قوم موسى، فلم تستطع آلاف السنين أن تمسح صورة الأصنام التي رأوها عندما جاوز بهم موسى عليه السلام البحر، وصورة عجل السامري وعبادتهم له، فالصورة نفسها والحنين واضح لا لبس فيه بكل تفاصيله، غير أنه اختلف رجاله وكان يهود المدينة أكثر جرأة من أجدادهم فسجدوا للأصنام فور أن طُلب ذلك منهم من غير تردد على حين أن أجدادهم طلبوا من موسى ذلك قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٦٣٠ .

(٢) سورة النساء الآيتان (٥٠، ٥١).

لَهُمْۚ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(١).

غير أنه لم يتحقق لهم السجود، وظلت رغبتهم هذه تتناقلها الأجيال عبر جينياتها الوراثية إلى أن وصلت إليهم وحققوا أملهم المرجو عند أصنام قريش حيث فضلوا الأوثان والطاغوت على الإسلام ورغبوا عنه، مع علمهم بصدقه وأنه خاتم الأديان ونبيه ﷺ خاتم الأنبياء حيث لا نبي بعده، لكنه الحسد والتكبر والحقد الذي امتلأت به قلوبهم وصدورهم قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢).

فلما قالوا لقريش ما قالوا وسجودهم لأصنامهم سرهم ذلك ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك، وبدأ استعدادهم له.

وخرج من بطون قريش خمسون رجلًا وتحالفوا وقد الصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها أن لا يخذل بعضهم بعضًا ويكونون كلهم يدًا واحدة على رسول الله ﷺ ما بقي منهم رجل(٣)، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان، فدعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم: سنكون معكم وان قريشًا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم، فتجهزت قريش وأتباعها من القبائل وعطفان واتباعها وكان قائد قريش أبو سفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف وعقد اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة المقتول ولده وعماه يوم أُحد وكان قائد غطفان

---

(١) سورة الأعراف الآيتان (١٣٨-١٣٩).
(٢) سورة آل عمران الآية (١١٨).
(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٦٢٩ .

عيينة بن حصن الفزاري وهم ألف وقائد بني مرة وهم أربعمائة الحارث بن عوف المري وقائد بني أشجع أبو السعود بن رخيلة وقائد بني سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس وقائد بني أسد طليحة بن خويلد الأسدي وكان بنو أسد تتمة العشر آلاف ولما تهيأت قريش للخروج أتى ركب من خزاعة فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك فلما سمع رسول الله ﷺ بما جمعوا عليه، دعا الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم بالخروج إليهم خارج المدينة أو البقاء فيها فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حول المدينة[١]

وقد وصف البوصيري[٢] حال اليهود وما فيهم من ذم بأبيات قال فيها:

(لا تكذب إن اليهود وقد زاغوا ... عن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطاغوت ... قوم هم عنده شرفاء
قتلوا الأنبياء واتخذوا العجل ... إلا إنهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلوى ... وأرضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون ... فهي نار طباقها الأمعاء
لو أريدوا في حال سبت بخير ... كان سبتًا لديهم الأربعاء
هو يوم مبارك قيل للتصريف ... فيه من اليهود فيه اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم ... طيبات في تركهن ابتلاء)[٣]

وتوجهت جيوش الأحزاب إلى المدينة بجمع كبير قوامه عشرة آلاف وطوقوها، وقام حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي

(١) م. ن، ٢/ ٦٣٠-٦٣١ .
(٢) البوصيري: هو أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم (ت ٨٤٠هـ)، السيوطي، طبقات الحفاظ. ط١ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ١/ ١٥٥ .
(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٦٢٩ .

فأغراه بنقض العهد مع رسول الله ﷺ، وقال له: لقد جئتك بقريش بقادتها وسادتها، وبغطفان وقادتها وسادتها وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر ويحك ياحيي فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلاَّ الصدق والوفاء، ولم يزل به حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد، وسوف أستعرض هذا في المبحث الرابع هذا هو حال اليهود وعقيدتهم وطباعهم، التي عبروا عنها بالتحريض وإشعال الفتن لكل من يتعرض لمصالحهم، وليس لعقيدتهم فمصالحهم تتقدم على كل شيء ولو كان الشيء عقيدتهم وهذا ما كان في هذا المطلب.

الفصل الرابع
تصدي الرسول ﷺ للمؤامرات اليهودية

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: إجلاء المتآمرين من اليهود عن المدينة.

المبحث الثاني: قتل رؤوس وقادة التآمر اليهودي أو الحرب الوقائية.

المبحث الثالث: فرض السيطرة على أماكن البؤر اليهودية في شبه الجزيرة العربية.

المبحث الرابع: وصية الرسول ﷺ بإجلاء اليهود عن جزيرة العرب.

* * *

المبحث الأول
إجلاء المتآمرين من اليهود عن المدينة

بعد أن اشتد عداء اليهود للمسلمين، وفشلت معهم جميع محاولات الدعوة والإصلاح التي قام بها رسول الله ﷺ وصحابته الاجلاء وإصرارهم على مواقفهم العدائية وتحويلها إلى مؤامرات دموية، تمثلت بعضها في التخطيط لقتل رسول الله ﷺ، كما خطط له بنو النضير والتعدي على المسلمات كما في بني قينقاع وآخرها الخيانة العظمى التي كانت من الخطورة بحيث كادت أن تؤدي إلى استئصال المسلمين، والقضاء على الدولة الإسلامية من خلال خيانة بني قريظة من داخل المدينة وإشعال الحرب من أبناء جلدتهم خارجها، كان لا بد من الوقوف من ذلك كله موقفًا حازمًا تجاه تلك المؤامرات.

عالج رسول الله صلى الله عليه حالة كل قبيلة بما يتناسب مع حجم خيانتها ونقضها للعهد الذي كتبه والذي أوضح فيه لكل مواطن ماله من حقوق وما عليه من واجبات حيال وطنه، ولا سيما إذا تعرض هذا الوطن إلى خطر خارجي ومن الجدير بالذكر أن موقف اليهود الحيادي في بداية الدعوة لا ينم عن المسالمة والصلاح، لأن عدم معاداتهم في بادئ الأمر، يعود إلى ظنهم أن وضع المسلمين لن يبقى على حاله من غير أن تلاحقه قريش والعرب جميعًا لأنه بدل دينهم، فضلًا عن خروج أبنائهم وعبيدهم عليهم وكذلك سيطرة قريش على أموال من أسلم ومصادرتها، لكل هذا كان اليهود يعلمون أن التصادم لا بد قادم، فأخذوا ينتظرون من يقوم عنهم بتلك المهمة لأنهم في النهاية هم المستفيدون الوحيدون من وراء ذلك وسوف يتحقق لهم بذلك القضاء على المسلمين، وهذه قمة غايتهم وصفاء الأمر لهم في المدينة فيكونون قد حققوا

أسمى غاياتهم بجهود غيرهم، فضلًا عن الفائدة العظيمة التي سوف يحصلون عليها من تلك الحروب وما ينتج عنها من تجارة وبيع، لذلك نراهم لم يظهروا العداوة تجاههم إلاَّ بعد أن علموا أن المسلمين قد كسروا شوكة قريش ببدر، وعندما أيقنوا بذلك نراهم يقومون بتحريض العرب وجمعهم ليحاربوا عنهم بالنيابة.

وقد أشار الشافعي[(١)] إلى أن اليهود وادعت رسول الله ﷺ ولم تخرج عن شيء من عداوته بقول أو فعل حتى كانت غزوة بدر، فكلم بعضهم بعضًا بعداوته والتحريض عليه، وقد كان يهود بني قينقاع أول من نقض العهد بعد أن عاد رسول الله ﷺ للمدينة من معركة بدر الكبرى، التي كانت في الثانية للهجرة حيث أظهر بنو قينقاع البغي والحقد، وقالوا: لم يلق محمدٌ أحدًا ممن يحسن القتال لو لقينا للقي عندنا قتالًا لا يشبه قتالهم[(٢)]، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[(٣)].

ويدل قولهم على مدى الحقد والكراهية التي يضمرونهما للمسلمين، ويدل أيضًا على التحدي الذي أظهروه بكل ما في صدورهم من غل، فعندما علم بذلك رسول الله ﷺ أرسل إليهم وجمعهم، وقال لهم: «**يامعشر يهود أسلموا فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله، قبل أن يوقع الله بكم مثل وقعة قريش**»، فقالوا: يامحمد لا يغرنك من لقيت إنك لقيت أقوامًا أغمارًا، وإنا والله أصحاب الحرب ولئن قاتلتنا لتعلمن إنك لم تقاتل مثلنا[(٤)].

---

(١) الأم، ٤/ ١٨١ .

(٢) ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي السبتي (ت ٣٥٤هـ). الثقات. تحقيق: السيد شرف الدين أحمد. ط١ . (دار الفكر: ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، ١/ ٢٠٩ .

(٣) سورة الأنفال الآية (٥٨).

(٤) ابن تيمية، الصارم المسلول، ٢/ ١٣٥-١٣٦ .

تشير هذه الرواية مدى الحلم وسعة الصدر الذي يتمتع به رسول الله ﷺ، فهو يدعوهم إلى الله، على حين نرى موقفهم الواضح في التحدي وإعلان الحرب، وعلى الرغم من ذلك لم يبد لهم أي عداء وإنما ظل يدعوهم إلى الإسلام، ومثال ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى زفر**»، فخرجنا معه حتى جئناهم فقال رسول الله ﷺ: «**يامعشر زفر أسلموا تسلموا**»، فقالوا: قد بلّغت ياأبا القاسم، فقال لهم: «**ذلك أريد**»، ثم قال الثانية: «**أسلموا تسلموا**»، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال لهم: «**ذلك أريد**»، فقال لهم الثالثة فأجابوه بنفس جوابهم، فقال: «**اعلموا إنما الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلاَّ فاعلموا أن الأرض لله ورسوله**»[1]، وقد أنزل الله قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[2].

أما السبب الرئيس الذي يكمن وراء الجلاء، هو أن امرأة مسلمة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ ليصوغ لها حليًا[3]، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها.. وقد تم ذكر الحادثة في مبحث تقدم.

توجه إليهم رسول الله ﷺ في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة أي بعد أقل من ثلاثة أشهر من غزوة بدر، وهذا يبين مدى الغيظ الذي أظهروه بعد انتصار المسلمين في بدر، وانهزام عدوه الرئيسي من العرب أمام جحافل

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ٣/ ١١٥٥؛ مسلم، صحيح مسلم، ٣/ ١٣٨٧ .
(٢) ذسورة الأنفال الآية (٥٨).
(٣) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٩/ ٢٠٠ .

المسلمين ذات الأسلحة والعتاد المتواضع، وبالتالي لم يعد لهم الأمل الذي كانوا يرجونه من قدرة قريش في القضاء عليه.

وكان صاحب لوائه ﷺ في المعركة عمه حمزة بن عبد المطلب، واستخلف على المدينة بشير بن عبد المنذر، وكانوا نحو السبع مئة مقاتل[١]، فحاصرهم رسول الله ﷺ وكان معه المهاجرون والأنصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب والمخافة ونزلوا على حكمه، فكتفهم وكان يريد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي، وقال: يامحمد أحسن في مواليَّ، وقد كانوا حلفاء الخزرج فأبطأ عليه النبي ﷺ فأدخل يده في جيب رسول الله ﷺ فقال له: «**أرسلني**»، وغضب رسول الله غضبًا شديدًا حتى رأوا في وجهه ظلالًا أي تلونًا، ثم قال: «**ويحك أرسلني**»، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر تحصدهم في غداة واحدة، وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: «**هم لك**»، فقال النبي: «**خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم**»، فأرسلوهم ثم أمر بإجلائهم وغنم رسول الله ﷺ والمسلمين ما كان لهم من مال، ولم تكن لهم أراضٍ إنما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ منهم مالًا كثيرًا وآلة صياغتهم، وكان الذي ولي إخراجهم بذراريهم، عبادة بن الصامت[٢].

وقد سجل صاحب المقتفى من سيرة المصطفى[٣] في هذه الغزوة:

حدث عن الحرب التي أمها خير الورى واذكر بني قينقاع

(١) ابن كثير، الفصول في اختصار سيرة الرسول. تحقيق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن- دار القلم، ١٣٩٩هـ)، ١/ ١٢٥ .
(٢) الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ٤٨-٤٩ .
(٣) ابن حبيب، ١/ ١٣٥ .

لما بغوا أجلاهم المصطفى ومنهم أخلى الربى والبقاع

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله أنزل في بني قينقاع قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[1].

وقد كان لعبادة بن الصامت من المحالفة مع يهود بني قينقاع مثل ما لعبد الله بن أُبي وقد جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: إنني أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء وولايتهم[2]، وقد نزل فيه هذه الآيات: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[3]، وذهبوا إلى أذرعات وهي بلدة في الشام[4].

أما القبيلة الثانية: التي أجلاها رسول الله ﷺ فكانت بني النضير التي نقضت العهد مع رسول الله ﷺ وكان ذلك بعد غزوة أحد في السنة الرابعة من الهجرة، ويعود سببها إلى أن رسول الله ﷺ خرج إليهم كي يستعينهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري للجوار والعهد الذي كان بينهما، فقالوا لما كلمهم في ذلك: نعم ياأبا القاسم نعينك على ما استعنت بنا

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٢،١٣).
(٢) ابن اسحاق، سيرة ابن اسحاق، ٣/ ٢٩٥ ؛ الكلاعي، الإكتفاء، ٢/ ٦٠ .
(٣) سورة المائدة الآيتان (٥١-٥٢).
(٤) ابن تيمية، الصارم المسلول، ٢/ ١٣٦؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٤٧٨ .

عليه، اجلس حتى تطعم وترجع بحاجتك، فجلس رسول الله ﷺ إلى ظل جدار من بيوتهم، وكان معه نفر من الصحابة فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين، ينتظرون أن يصلحوا أمرهم فخلا بعضهم ببعض والشيطان معهم لا يفارقهم، فائتمروا بقتل رسول الله ﷺ، وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه أي أن هذه الفرصة لن تتكرر لوجوده في هذا المكان، وقالوا من رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال أنا لذلك وصعد ليفعل، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام راجعًا إلى المدينة وترك أصحابه في مجلسهم، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه ولحقوا به بعد ذلك وأخبرهم بما كانت أرادت من الغدر[١]، وبعث إليهم محمد بن مسلمة الأنصاري «**أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بها وقد هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرًا فمن رُئِيَ منكم بعد ذلك ضربت عنقه**»، فمكثوا على ذلك أيامًا يتجهزون واستأجروا من أُناس من قبيلة أشجع إبلًا كي يحملوا متاعهم عليها، فأرسل إليهم عبد الله بن أُبي أن لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي من العرب وسوف يدخلون حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان واثبتوا فإنا لن نسلمكم إن قاتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم فأنزل الله تعالى قوله: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[٢].

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/١٠٨-١٠٩؛ ابن عبد البر، الدرر، ١/١٤٢ .

(٢) سورة الحشر الآية (١٢).

فارتفعت معنوياتهم بذلك[١].

وعندما سمع حيي بن أخطب مقالته طمع بذلك وأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك[٢]، ولئن قاتلتنا لنقاتلنك[٣]، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون لتكبيره وسار إليهم في أصحابه وحاصرهم غير أن ابن أُبي خذلهم فلم ينفذ وعده[٤]، فأمر رسول الله ﷺ أن تهدم بيوتهم الأدنى، وبدأ يقطع نخيلهم وإحراق بعضها، فعندما رأوا ذلك قالوا: يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد فما بال قطع النخيل فأنزل الله تعالى قوله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٥].

يلاحظ من فعل رسول الله ﷺ أنه استعمل معهم الحرب النفسية والأرض المحروقة، لعلمه أن هؤلاء أصحاب المال وعبيده، لذلك أراد أن يهزمهم نفسيًا في أحب شيء إليهم وهو المال، ولو لم يكونوا كذلك لما طالبوه بالكف عن قطعها مع علمهم أنها ستؤول في النهاية إلى المسلمين كغنائم حرب، ومن مصلحتهم أن تكون محروقة أو مقطوعة، لكن النفسية المادية غلبت ودفعتهم إلى ما قالوا ودون أي تفكير.

وقال الأحوذي[٦]: إنما فعل ذلك رسول الله ﷺ حين حاصرهم إهانة لهم

---

(١) ابن قيم، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ). زاد المعاد في هدي خير العباد. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد الله القادر الأرناؤوط. ط١٤. (بيروت: مؤسسة الرسالة- النار الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، ٣/١٢٨.

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود، ٨/١٦٦-١٦٧.

(٣) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/١٠٩.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ٧/٣٣٨.

(٥) سورة الحشر الآية (٥).

(٦) تحفة الأحوذي، ٩/١٣٨.

وإرهابًا وإرعابًا لقلوبهم، وألقى الله في قلوبهم الرعب فقبلوا بالجلاء وعرضوا على رسول الله ﷺ الله عليه وسلم أن يخرجوا من المدينة كما أراد لهم في البداية، إلاَّ أنه رفض وقال: «**لا أقبله اليوم إلاَّ على أن تخرجوا بدمائكم فقط وليس لكم من أموالكم إلاَّ ما حملته الإبل عدا السلاح**»، فنزلوا على ذلك واحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل[١]، فكان الرجل منهم يهدم بيته عما استحسن من خشبه (كبابه) وغير ذلك فيضعه على ظهر بعيره وينطلق به[٢].

أي صاروا ينقضون العمد والسقوف، وينزعون الخشب حتى الأوتاد وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدًا وبغضًا، وفي رواية أنهم خرجوا مظهرين التجلد فخرجت النساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير، وقطف الخز الأخضر والأحمر وعليهم الحلي من الذهب والفضة وخلفهم القيان يضربون بالدفوف والمزامير،وكانوا قد حملوا نساءهم وأولادهم وأمتعتهم على ستمائة بعير[٣]، ولحق أكثرهم بخيبر والشام[٤]، ولم يسلم منهم إلاَّ رجلان يامين بن عمير بن كعب ابن عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب فأحرزوا أموالهما ونزلت سورة الحشر في بني النضير بأكملها[٥].

ومن الجدير بالذكر أن موقف يهود بني النضير في موافقتهم للجلاء في البداية، ورفضهم بعد أن أرسل إليهم ابن أُبي بدعمه المعنوي ووعدهم بالقتال معهم، وعندما خذلهم طلبوا أن يخرجوا من المدينة كما أراد رسول الله ﷺ، ولكنه رفضه على أن يخرجوا بدمائهم وما حملته الإبل، وما أشبه هذا الحدث

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/ ٨٧ .
(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٥٦٥ .
(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٥٦٥ .
(٤) العظيم آبادي، عون المعبود، ٨ / ١٦٧ .
(٥) الكلاعي، الإكتفاء ٢/ ١١٢ .

بقصة بقرة بني إسرائيل زمن نبي الله موسى عليه والسلام، فعندما طلب منهم أن يذبحوا بقرة ترددوا وألحوا في التفصيل حتى ضُيّق عليهم، وقد سجل القرآن هذا الحدث بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١). ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾(٣). وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾(٤). فلو أنهم استجابوا لرسول الله ﷺ، بادئ الأمر لما ضيّق عليهم وأخرجهم بدمائهم وما حملته الإبل.

والأمر الأخر أن اليهود عندما عقدوا العزم على قتل رسول الله ﷺ، كانوا يعلمون أن المسلمين لن يقفوا مكتوفي الأيدي إلّا أن يبيدوا القتلة، فلو لم يكن لهؤلاء اليهود دعم خارجي يستندون إليه كابن أُبي ومن معه من المنافقين، وربما بقية اليهود في المدينة ولا أستبعد أن يكون هناك اتفاق بينهم دُبِّرَ بليل، ولو لم يكن كذلك لما تجرأوا على التفكير في ذلك، ويمكن أن يكون لموقف ابن أُبي دليل وإشارة لما دبروه.

القبيلة الثالثة: كانت بني قريظة، فبعد أن نجح حيي بن أخطب وأصحابه من يهود من جمع القبائل وتحزيبها على رسول الله ﷺ، وبعد علم رسول الله بذلك تشاور مع أصحابه في ذلك، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق حول

---

(١) سورة البقرة الآية (٦٧).
(٢) سورة البقرة الآية (٦٨).
(٣) سورة البقرة الآية (٦٩).
(٤) سورة البقرة الآية (٧٠).

المدينة، وكان حيي بن أخطب قد أتى بني قريظة وتوجه إلى كعب بن أسد سيدهم، فلما رآه أغلق دونه باب الحصن فاستأذن عليه أن يفتح له فناداه حيي: ويحك ياكعب افتح لي، فأجابه كعب: ويحك ياحيي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمدًا، فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلاَّ الوفاء والصدق، وألحَّ عليه إلى أن فتح له باب الحصن وقال له: ويحك ياكعب جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش وسادتها وغطفان وسادتها، وقد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يرحلوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه، فأجابه كعب: جئتني والله بذل الدهر ويحك ياحيي فدعني وما أنا عليه فلم يزل به إلى أن وافقه على الغدر، وأعطاه حيي عهدًا من الله وميثاقًا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك[١].

عندما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ أرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وكان معهما عبد الله بن رواحه وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، وقال لهم: «انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقًا فألحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فأظهروا به للناس».

فخرجوا إليهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلًا به حدّة، فقال له سعد بن عبادة ما بيننا وبينهم أكبر من المشاتمة، وعادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وقالوا له: عضل والقارة أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فعند ذلك كبّر

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ١٢٢-١٢٣ .

رسول الله ﷺ، وقال: «**أبشروا يامعشر المسلمين**»، وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر نفاق المنافقين(١)، ولم يكتفوا بنقض العهد وإنما أعلنوا الحرب من خلال عمليات الاستطلاع التي قام بها بعضهم لكشف عورات المسلمين من النساء والأطفال الذين كانوا مختبئين في أحد الحصون عن عين عدوهم، فإذا بأحد اليهود يطوف حول الحصن فرأته صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وقالت لحسان بن ثابت: إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإني والله لا آمنه أن يدل على عوراتنا من ورائنا من يهود، وقد شُغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه فانزل إليه فاقتله، فرفض حسان ذلك فنزلت صفية فقتلته(٢)، واشتد حصار الأحزاب على رسول الله ﷺ إلى أن أرسل الله نعيم بن مسعود الأشجعي مسلمًا وطلب من رسول الله أن يعهد إليه بمهمة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما أنت رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة**»، فخرج نعيم فأتى بني قريظة وكان لهم نديمًا في الجاهلية، فقال لهم: يابني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت فلست عندنا بمتهم، وقال لهم: إن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونسائهم بغيره، فليسوا مثلكم فإن أصابوا فرصة أصابوها، وإن كان غير ذلك عادوا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبينه ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدًا حتى تناجزوه، قالوا: لقد أشرت بالرأي، ثم أتى قريشًا فقال لأبي سفيان ومن معه من رجالهم وقال لهم: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدًا وإنه

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/١١٨-١٢٧ .
(٢) م. ن، ١/١٢٩ .

قد بلغني أمر رأيت أن أبلغكموه نصحًا لكم، فاكتموا عني قالوا: نفعل، قال: تعلمون إن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وأرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم فتقتلهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا، ثم خرج حتى أتى غطفان وأخبرهم بما أخبر به قريش، فلما كان ليلة السبت وكان ذلك مما صنع الله لرسوله، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ومعه بعض رجال من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، ولن نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم فإنا نخشى إن ضرتكم الحرب أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا فوقعت بينهم الفتنة ونجحت خطة نعيم، وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتيه شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم[(١)].

انسحبت الأحزاب راجعة إلى بلادها وتركوا بني قريظة لقدرهم المحتوم وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة فأتاه جبريل وأمره بالسير إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا في الناس: «**من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلّا ببني قريظة**»، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فسار إليهم مع طائفة معه، حتى أَتَوْهُم ونازلوهم وسمعوا سب رسول الله ﷺ، فانصرف علي إلى رسول الله ﷺ وقال له يارسول الله لا تبلغ إليهم وعرض له، فقال: «**أظنك سمعت منهم شتمي لو رأوني لكفوا عن ذلك**»، ونهض إليهم فلما رأوه أمسكوا، فقال لهم:

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بم تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ١٣٠ .

«نقضتم العهد يا أخوة القردة أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته»، فقالوا: ما كنت جاهلًا يامحمد فلا تجهل علينا، وحاصرهم رسول الله ﷺ بضعًا وعشرين ليلة، وفي أثنائها عرض عليهم سيدهم كعب بن أسد، أحد ثلاثة حلول كي تخرجهم مما هم فيه، فقال لهم: يامعشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالًا ثلاثة فخذوا أيها شئتم قالوا: وما هي قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره قال: فإن أبيتم على هذا فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالًا مصلتين السيوف فلم نترك وراءنا ثقلًا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلًا نخشى عليه، وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم، قال: فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا ونُحدِث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلاَّ وأصابه ما لم يخف عليك من المسخ، فقال لهم: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازمًا[١].

فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى أبي لبابة، وكانوا حلفاء بني عمرو بن عوف وسائر الأوس، فأتاهم فجمعوا أبناءهم ورجالهم ونساءهم، وقالوا: ياأبا لبابة هل ترى أن ننزل على حكم محمد؟ فقال : نعم وأشار إلى حلقه أي إنه الذبح إن فعلتم ثم ندم على فعلته وعلم أنه قد خان الله ورسوله وقصته مشهورة في كتب السيرة، وبعد أيام نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله، ولم

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ١٣٣ .

يسلم منهم إلاَّ ثعلبة وأسيد ابنا سعية وأسد بن عمير وهم نفر من هدل بني عم قريظة، . . وكان قد خرج تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي ومر على حرس رسول الله ﷺ، وكان قد أبى أن يدخل فيما دخل فيه بنو قريظة، وقال لا أغدر بمحمد ثم ذهب فبات في مسجد رسول الله ﷺ ثم ذهب فلم ير بعد ذلك ولم يعلم أين ذهب، وقد ذكر أمره إلى رسول الله ﷺ فقال: «**ذلك رجل قد نجاه الله بوفائه**»، وعندما نزل بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ جاءته الأوس وقالوا: يارسول الله قد علمت أنهم حلفاؤنا وقد شفعت عبد الله بن أُبي بن سلول في بني قينقاع، فلا يكن حظنا أوكس وأنقص عندك من حظ غيرنا فهم موالينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر الأوس آلا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم**»، قالوا بلى، قال: «**فذلك إلى سعد بن معاذ**»، وكان رسول الله ﷺ، قد ضرب له مكانًا في المسجد ليعوده من إصابة في الأكحل أصابته في الخندق، فلما حكمه رسول الله في بني قريظة أتاه قومه فاحتملوه على حمار، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وأحاطوا به في طريقهم وهم يقولون: ياأبا عمرو أحسن في مواليك فإنما ولاك رسول الله ﷺ لتحسن إليهم، فقال لهم: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فلما أطل سعد على النبي قال للأنصار: «قوموا إلى سيدكم» فقام المسلمون، فقالوا: ياأبا عمرو إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم إلاَّ ما حكمت فيهم، قالوا: نعم قال: وعلى من هاهنا على الناحية التي فيها رسول الله ﷺ (أدبًا واحترامًا)، فقال له رسول الله ﷺ : «**نعم**»، قال سعد فإني أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتسبى الذراري والنساء وتقسم الأموال، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعه**»، وأمر بهم رسول الله فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، وكان فيمن قتل معهم حيي بن أخطب، وكانوا ما بين الستمائة والسبعمائة، وقتل من نسائهم امرأة

وهي بنانة امرأة الحكم القرظي التي طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتلته، وأمر رسول الله بقتل كل من أنبت منهم[١]. وقد سجل ديوان العرب هذه الحادثة بقول حسان بن ثابت رضي الله عنه[٢]:

لقد لقيت قريظة ما سأها ... وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح ... بأن إلهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى ... خلاهم في بلادهم الرسول
نحا في حصنهم منا صفوف ... له من حر وقعتهم صليل

من خلال تحليل تلك الغزوات الثلاث يمكن أن نستنتج ما يأتي:

أولًا: أن حكم النبي ﷺ في اليهود كان على قدر الجرم الذي ارتكبوه فبنو قينقاع نزلوا على حكم رسول ﷺ وقد وهبهم لعبد الله بن أُبي بعد إلحاحه، وتم إجلاؤهم.

يبدو لي إن رسول ﷺ كان مخيرًا في كيفية الحكم القتل أو الجلاء، فلو لم يكن كذلك لما تنازل لأبن أُبي عن الحكم ولما خالف أمر ربه جلَّ جلاله، لأن جرمهم لا يرقى إلى تطبيق حكم القتل عليهم جميعًا، وإنما على من تجاوز منهم على أعراض المسلمين أو دمائهم وقد قُتِل من تعدى على المرأة المسلمة، وإن كان قتل المسلم بعد ذلك يُعدُّ اعتداءً من اليهود غير أن الجلاء لقبيلة كاملة خالفت نصوص المعاهدة لها وقع أكبر بكثير من مجرد قتل شخص أو حتى أكثر من واحد قصاصًا، وبقاء تلك القبيلة بعد ذلك في المدينة تحيك المؤامرات ضد

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ٢/ ٩٨-٩٩؛ ابن عبد البر، الدرر، ١/ ١٧٨-١٨٢.
(٢) ابن حبيب، الحسن بن عمر(. ٧٧٩هـ)، المقتفى من سيرة المصطفى، تحقيق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي. (القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٦م)، ١/ ١٦١.

المسلمين، لأن البعد النظري والسياسي للجلاء له أثره الفعال في اجتثاث المرض من جذوره لأن البتر خير من العلاج المؤقت لمثل هؤلاء الأمم، وبعكسه يبقى الوضع السابق على ما هو عليه ويستمر فسادهم، ولكن هذه المرة سيكون أكثر دقة وتفننًا بعد أن استفادوا من تجاربهم السابقة، ويشير فعل رسول ﷺ أيضًا إلى أن لأعراض المسلمين مكانته في الدولة الإسلامية، بحيث يكون أغلى من كل النتائج التي تتولد عن أي فعل يسيء للشرف.

ثانيًا: بنو النضير على الرغم من أن جريمتهم كانت التدبير لاغتيال رسول الله ﷺ الذي يشكل روح المسلمين وعماد دولتهم، إلاَّ أن حكمه في البداية بإجلائهم مع أموالهم وذراريهم، وبعد ذلك شدد عليهم وأجلاهم بما حملته الإبل دون السلاح لأنهم رفضوا الجلاء أول الأمر بدعم من أبن أُبي.

فلو قارنا بين بني قينقاع وبني النضير لرأينا جرم الأولى أكبر من أختها؛ لأن عظمة رسول الله ﷺ وهو رئيس الدولة، لكن هذا لم يمنع من إجلائهم فقط لما في الجلاء من فائدة تعود على المسلمين من خلال تنظيف البيت المسلم من هذه الخلاياالفاسدة، فضلًا عن ذلك مقارنة بين محاولة قتل رسول الله ﷺ، والاعتداء على المرأة المسلمة، ففي الأخيرة كان من الممكن أن يكون الحكم بالقتل على حين كان الحكم في الأولى الجلاء، ففي ذلك دليل آخر على أن أعراض المسلمات أكبر عند الله ورسوله من أي ذنب آخر والله أعلم.

ثالثًا: بنو قريظة: وهي من ارتكب أعظم الجرائم بحق رسول الله والمسلمين فقد كان جرمها كبيرًا جدًا، بحيث اشتمل على جميع دماء المسلمين وأموالهم ونسائهم وذراريهم لهذا كان عقابهم من الشدة بحيث كان على قدر جريمتهم، فلو تمكّن الأحزاب من رسول الله والمسلمين فماذا سيكون نوع الحكم عليهم؟ سيكون القتل حتمًا، لهذا كان الجزاء من جنس العمل وعلى الرغم من حجم جريمتها الشنعاء كان أمامها فرصة ذهبية لتخرج من ورطتها وتحقن دمائها،

وتحفظ أموالها وذراريها من خلال اعتناقهم الإسلام والذي دعاهم إليه سيدهم كعب بن أسد، لكنهم رفضوا ذلك وقد تقدم ذكره.

ومما تشير إليه هذه الغزوات إلى تفكك عُرى الأخوة بين اليهود، فلو تأملنا عدد يهود المدينة للقبائل الثلاث لوجدنا عدد مقاتليها يزيد على الألفي مقاتل، فضلًا عن خيبر وبقية المعاقل اليهودية الأخرى، التي تشكل أعدادًا تتفوق بكثير عن عدد المسلمين في المدينة آنذاك، ويؤيد هذا الرأي إلى أن تحزيب اليهود للقبائل العربية لم يشمل القبائل اليهودية فلم نرَ أيا منها ضمن الأحزاب، فلو كانوا مجتمعين ومتوافقين لشكلوا قوة لا يستهان بها أبدًا ولكان لهم تأثير على مجرى الأحداث، ولا يمكن أن نُرجع عدم ائتلافهم في الحروب إلى جبنهم فقد أثبت يهود خيبر نماذج كثيرة من شجعانها، وكذلك شجاعة بعض أحبارهم كحيي بن أخطب وكعب بن أسد وغيره، ولست هنا لأرفع من شأن اليهود ولكن يجب أن أكون منصفًا في حكمي، كما أن رسول الله أنصف مخيريق الذي خالف قومه في غزوة أحد، عندما قال لهم: لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، فتعللوا بأنه يوم السبت فقال لهم: لا سبت لكم، وأخذ سيفه وعدته ولحق برسول الله فقاتل معه حتى استشهد رضي الله عنه وأوصى بماله للنبي ﷺ يصنع فيه ما يشاء، وكان له سبع حوائط في بني النضير[1] وهو من الرجال الذين أسلموا يوم أحد ونفذوا شروط معاهدة المدينة بين المسلمين واليهود لذلك قال فيه رسول الله ﷺ: «**مخيريق خير يهود**»[2] وفي رواية: «**مخيريق سابق يهود**»[3].

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ٨/ ١٣٧.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤/ ٣٨.
(٣) ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ٢٠٣.

المبحث الثاني قتل رؤوس وقادة التآمر اليهودي أو الحرب الوقائية

ومن الأساليب التي اتبعها رسول الله ﷺ لكفِّ أذى عدوه من اليهود أو غيرهم هي الحرب الوقائية، والتي كان رسول الله ﷺ أول من استخدمها في كبح بأس الأعداء، فقد كان يرسل بسراياه أو قواته الخاصة من صحابته الكرام بمجرد أن ينوي عدوه في شن العدوان، أو الإعداد له أو التحريض عليه ومهما كانت تلك الوسيلة سواء أكانت تحريضًا للحرب أم إمدادًا لوقودها أم للترويج لها إعلاميًا من خلال الشعر على اعتباره ديوان العرب الأسرع نقلًا وتأثيرًا عندهم، والوسيلة الإعلامية المتطورة آنذاك، وهذا ما سنبينه من خلال ذكر لبعض هذه الأحداث التي تناولتها كتب التاريخ والتي امتلأت بالكثير منها إلاَّ أنني تناولت ما اختص بموضوع اليهود فقط.

أولًا: سرية سالم بن عمير العمري إلى أبي عفك اليهودي: ومعنى العفك أي الحمق، أي أبي الحمق اليهودي، وكانت بعد عشرين شهرًا من الهجرة، وكان أبو عفك من بني عمرو بن عوف وكان قد بلغ من العمر مئة وعشرين سنة، وكان يحرض الناس على رسول الله ﷺ ويقول الشعر ويعيبه فيه، وقد اشتد نفاقه حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت فقال:

لقد عشت دهرًا وما إن أرى ... من الناس دارًا ولا مجمعا
أبر عهودا ً وأوفى لمن ... يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قيلة في جمعهم ... يهد الجبال ولم تخضعا
فصدعهم راكب جاءهم ... حلال حرام لشتى معا

فلو أن بالعز صدقتم   أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك من لي بهذا الخبيث، فخرج سالم بن عمير وهو ممن شهد بدرًا وقال عليَّ نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فانتظر حتى كانت ليلة صائفة، وكان أبو عفك قد نام بفناء البيت، وعلم به سالم بن عمير فأقبل إليه ووضع السيف في كبده ثم اعتمد عليه حتى خشَّ في الفراش وصاح أبو عفك، فجاءه الناس ممن هم على قوله فدفنوه في منزله[١].

وقالت امامة المريدية[٢] في ذلك:

حباك حنيف آخر الليل طعنة   فخذها أبا عفك على كبر السن

ثانيًا: سرية عمير بن عدي الخطمي ويدعى القارئ إلى عصماء بنت مروان اليهودية: وكانت في السنة الثانية للهجرة حيث أرسله رسول الله ﷺ، ومعه خمسة رجال من أهل بدر[٣]، وكانت عصماء تحت رجل يقال له يزيد بن زيد، فلما قتل أبو عفك نافقت وقالت شعرًا تعيب الإسلام وأهله وتؤنب الأنصار على اتباعهم للنبي ﷺ بقولها:

(أطعتم أتاويَّ من غيركم   فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤوس   كما يرتجي مرق المنضج
إلا آنف يبتغي غرة   فيقطع من أمل المرتجي)[٤].

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك قال: «آلا أحد لي من ابنة مروان»، فسمع قوله عمير بن عدي فلما أمسى من تلك الليلة سما عليها في بيتها ليلًا، وحولها

---

(١) الزهري، الطبقات الكبرى، ٢/ ٢٨؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٦/ ٤٨ .
(٢) الكلاعي، الأكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ٣١١
(٣) م. ن، ١/ ١٣٣ .
(٤) م. ن، ٢/ ٣١٢ .

نفر من أولادها نيام، وعلى صدرها صبي ترضعه فمسها بيده ونحى عنها الصبي ووضع سيفه على صدرها وتحامل عليه حتى أنفذه من ظهرها[١]، ثم رجع وصلى الصبح مع رسول الله ﷺ، وقال: يارسول الله إني قتلتها، فقال له: «**نصرت الله ورسوله ياعمير**»، فقال: هل علي شيء من شأنها يارسول الله؟ فقال: «**لا ينتطح فيها عنزان**»، آي الأمر في قتلها هين لا يعارض فيه معارض[٢]، وكان قد سماه رسول الله ﷺ عمير البصير[٣].

ثالثًا: سرية عبد الله بن رواحة: وكانت في السنة الخامسة للهجرة، لما أرسله رسول الله ﷺ في ثلاثين راكبًا كان فيهم عبد الله بن أنيس إلى يسير بن رزام اليهودي، وكان يجمع غطفان ليغزوه بهم، فجاؤوه واستعملوا معه الخدعة، بأن رسول الله ﷺ يريد أن يستعمله على خيبر، وظلوا به إلى أن أجابهم وخرج معهم بثلاثين راكبًا مع كل منهم رديف من المسلمين، فلما وصلوا من خيبر على بُعد ستة أميال ندم يسير على مسيره، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس ففطن له عبد الله فزجر بعيره ثم اقتحم عن البعير يسوق القوم حتى إذا تمكّن من يسير ضرب رجله فقطعها، وضربه يسير على وجهه فشجه، فانكفأ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله غير رجل من اليهود أعجزهم، ولم يُصب من المسلمين أحد وقدموا على رسول الله ﷺ، فبصق في شجه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات[٤].

رابعًا: سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد: لما بعثه رسول الله ﷺ

---

(١) الحلبي، السيرة الحلبية، ٣/ ١٤٤ .
(٢) الكلاعي، المصدر السابق، ٢/ ٣١١؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ١٤٥ .
(٣) الزهري، الطبقات الكبرى، ٢/ ٢٧ .
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٦/ ٢٩؛ ابن قيم، زاد المعاد، ٣/ ٣٦٠ .

وجهز معه مئة، حيث بلغه أنهم يريدون إمداد اليهود، وسار ﷺ حتى انتهى إلى ماء بين خيبر وفدك، فلما سمعوا بمجيئه انهزموا وتفرقوا، فأغار على ألفي شاة وخمسمائة بعير وعاد إلى رسول الله ﷺ(١).

خامسًا: سرية محمد بن مسلمة إلى كعب بن الأشرف: وهو من أصل عربي من قبيلة طي، وقد كان أبوه قد أصاب دمًا في الجاهلية، فأتى المدينة فحالف بني النضير وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت كعبًا هذا، وكان كعب يتشبب في نساء المسلمين(٢)، وكان حين وصله خبر بدر وقتلى قريش، قال: هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمدًا أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، وخرج إلى مكة وأخذ ينشد الشعر ويبكي أصحاب القليب من قريش، وعندما سمع رسول الله ﷺ بذلك قال: «**من لي من ابن الأشرف**»، فقال له محمد بن مسلمة الأشهلي، أنا لك به يارسول الله أنا أقتله، قال: «**فافعل إن قدرت على ذلك**»، واستأذن من رسول الله ﷺ أن يقول فأذن له بقوله: «**قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك**»، واجتمع مع محمد في قتله سلكان بن سلامة وعباد بن بشر والحارث بن أوس وكلهم من بني عبد الأشهل، وأبو عيسى جبر أخو بني حارثة وجاؤوا إليه، وقد كان سلكان بن سلامة أخاه بالرضاعة، وأخذوا بالكلام معه وقاموا بخداعه بحديث طويل حتى وثق بهم وقاموا بقتله، وعندما علمت اليهود خافت خوفًا شديدًا(٣)، وكان رسول الله ﷺ قد دعاهم إلى أن يكتب كتابًا مشتملًا على العهد والمواثيق،

---

(١) ابن حبيب، المقتفى في سيرة المصطفى، ١/ ١٧٢ .

(٢) العظيم آبادي، عون المعبود، ٨/ ١٦٠ .

(٣) الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ٥/ ٤٠٨؛ الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ١٤٧-١٤٩ .

ينتهون به عن السب والأذى، حتى لا يتعرض لهم المسلمون ولا يقتلوهم[(١)].

سادسًا: سرية عبد الله بن عتيك إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري، التي كانت في السنة السادسة للهجرة، وقد كان أبو رافع هذا قد أخذ بتحريض غطفان ومن حولها من مشركي العرب، وجعل لهم الحفل العظيم لحرب رسول الله ﷺ فبعث رسول الله عبد الله بن عتيك ﷺ، وعبد الله بن أنيس وأبا قتادة والأسود بن خزاعي ومسعود بن سنان وأمرهم بقتله، فذهبوا إلى خيبر فكمنوا له، وجاؤوا إلى منزله فصعدوا إليه وتكلم معه عبد الله بن عتيك لأنه كان يحسن لغتهم، وقال له: جئتك بهدية ففتحت له امرأته، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشاروا إليها بالسيف فسكتت فدخلوا عليه فما عرفوه إلاَّ ببياضه فضربوه بأسيافهم، فقال ابن أنيس: وكنت رجلًا أعشى لا أبصر فاتكأت بسيفي على بطنه حتى سمعت خشة في الفراش، وعرفت أنه قد قضى وجعل القوم يضربونه جميعًا، ثم نزلوا وصاحت امرأته فتصايح أهل الدار واختبأ القوم، وخرجوا في طلبهم، ومكث الصحابة حتى سكن الطلب ثم أقبلوا إلى المدينة، وكان كلٌ يدعي قتله، فقدموا على رسول الله فقال لهم: «**أفلحت الوجوه**»، فقالوا أفلح وجهك يارسول الله وأخبروه خبرهم فأخذ أسيافهم فنظر إليه فإذا أثر الطعام في ذباب سيف عبد الله بن أنيس فقال: «**هذا قتله**»[(٢)]. وقد سجل هذا الحدث حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ:

(لله در عصابة لاقيتهم يابن ... الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم ... مرحًا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقوكم حتفًا ببيض ذفف

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ٨/ ١٦٠ .
(٢) الزهري، الطبقات الكبرى، ٢/ ٩١؛ ابن حبيب، المقتفى في سيرة المصطفى، ١/ ١٧٤ .

مستنصرين لنصر دين نبيهم مستصغرين لكل أمر مجحف[١].

من تلك الأحداث المتقدمة يمكن أن نستنتج منها عدة أمور مهمة اشرت فيها إلى مدى النجاح الذي حققته هذه الطريقة الرادعة التي أوجدها رسول الله ﷺ، وهي بلا شك سبّاقة في إطفاء نار الشر قبل اشتعالها، وكما بينته الأحداث، ويلاحظ ما لقوة الشعر وأثره بين العرب، فهو بلا شك ديوانهم الذي يفتخرون به ويتناقلون الأحداث عبر كلماته المؤثرة،لذلك كان أعداء الله ينظمونه للتشبب في نساء المسلمين والتحريض على قتالهم، ومن خلال إثارة لمشاعرهم بذكرى قتلاهم، ولأهمية هذا الإعلام وأثره الفعّال في شحن النفوس وتعبئتها ضد المسلمين، كان من اللازم أن يأمر رسول الله ﷺ صحابته الأفاضل في قتل أصحاب هذه الفتن ورؤوسها، لا فرق بين نسائهم ورجالهم، وطمس أي أثر لهم، وقد كانت لهذه الطريقة المثلى أثرها الكبير في نفوس أعدائه من اليهود والمشركين، لذلك كانوا عند سماعهم للحدث يرتعدون خوفًا وفرقًا وينتهون عن أي فعل يمكن أن يسيء للمسلمين.

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ١٤٩ .

المبحث الثالث: فرض السيطرة على أماكن البؤر اليهودية في شبه الجزيرة العربية

بعد أن تمكّن رسول الله ﷺ من تنظيف المدينة من دخلائها اليهود، بعد أن عاثوا فيها فسادًا ومؤامرات استهدفت في جميعها الإسلام والمسلمين، توجه الكثير من بني النضير إلى خيبر المعقل الكبير لليهود، وجعلوا منه مركزًا ومنطلقًا للتحريض والمؤامرات، فشرارة غزوة الأحزاب انطلقت ورجالها من خيبر، لذلك كان على رسول الله إخمادها في مهدها، فضلًا عن إتمام ما كُلِّف به من الدعوة.

لهذا كان الهدف من حملته ﷺ الدعوة أولًا ومن ثم كبح جماحهم من خلال فرض سيطرته على معاقلهم وإخضاعها للمسلمين.

عندما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية منسلخ سنة ستة للهجرة وفي سنة سبعة من الهجرة خرج إلى خيبر، وقد كان الله قد وعده إياها عندما كان في الحديبية بقوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1]، وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكانت بيضاء وفتحها رسول الله ﷺ حصنًا حصنًا فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ثم القموص، وبعده حصن أبي الحقيق، ثم حصن الصعب بن معاذ، وقد احتوى على الكثير من الطعام، ولما افتتح رسول الله ﷺ حصونهم انحازوا إلى حصنين من حصونهم الوطيح

(١) سورة الفتح الآية (٢٠).

والسلام، وكانا آخرا حصنين لأهل خيبر افتتاحًا فحاصرهما رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حتى ضيّق عليهما فسألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم على النصف في نتاج الأرض، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها فصالحهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «**على إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم**»(١).

وهذا أمر مهم جدًا؛ لأن فيه مصلحة للمسلمين، فضلًا عن أن ليس لهم عمال يكفونهم عملها، لذلك عاملهم رسول الله ﷺ(٢).

وعلى هذا كانت أرض خيبر مزارعة ونخلها مساقاة،أي ما كان يُسقى من السواقي لأن المزارعة ربما تكون على النصف أو الثلث أو الربع(٣).

وادي القرى: بعد خيبر انصرف رسول الله ﷺ إلى وادي القرى وكان فيها مجموعة من اليهود وكان يسكن معهم بعض العرب فلما نزلوا الوادي استقبلتهم اليهود ولم يكن رسول الله ﷺ قد عبأ أصحابه للقتال بعد، وقام بتعبئة أصحابه وصفّهم وأعطى لواءه إلى سعد بن عبادة، وأعطى راية إلى حباب بن المنذر وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بسر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم إن اسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله تعالى، فبرز رجل منهم فقتله الزبير بن العوام وبرز آخر فقتله ثم برز رجل آخر فقتله علي بن أبي طالب حتى قتل أحد عشر رجلًا منهم، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) ابن خياط، خليفة الليثي أبو عمر (ت ٢٤٠هـ). تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق: د. أكرم ضياء العمري. ط.٢ (دمشق-بيروت: دار القلم- مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ)، ١/ ٨٢؛ الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ١٨٦-١٩٢ .

(٢) أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: دار الفكر)، ٣/ ١٦٠ .

(٣) العظيم آبادي، عون المعبود، ٨/ ١٣٧ .

كلما قتل منهم رجل دعاهم إلى الإسلام، وظل القتال إلى المساء فلما غدا عليهم الصباح ولم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها عنوة، وغنم أموالها وأصابوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا وأقام رسول الله ﷺ فيها أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى وترك الأرض بأيدي اليهود وعاملهم عليها على ما عامل عليه أهل خيبر(١).

فدك: لما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بأهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يصالحهم ويحقن دماءهم ويخلون له الأموال ففعل ذلك، لهذا كانت خيبر بين المسلمين، وفدك خالصة لرسول الله لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب(٢).

تيماء: وكانت تيماء قد سمعت بأهل خيبر وفدك ووادي القرى، فبادروا إليه وصالحوه على الجزية فأقاموا في بلادهم وأرضهم وأموالهم بأيديهم(٣).

وهناك بؤر لليهود في أماكن متفرقة في الشام وأطرافها صالحت رسول الله ﷺ كان منها:-

أيلة: وهي مدينة على ساحل البحر وهي مدينة صغيرة يسكنها اليهود، وقيل هم الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت، وقد قدم يوحنة بن روبة على النبي من أيلة وهو في تبوك، وقد صالحه على الجزية وقرر على كل حالم بأرضه في السنة دينارًا، فبلغ عددهم ثلاثمائة رجل واشترط عليه قرى من مر عليهم من المسلمين(٤).

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية (السيرة)، ٤/ ٢١٨؛ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٣/ ٣٥٤-٣٥٥.
(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ١/ ٨٣.
(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٧٧٥.
(٤) الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٩٢.

وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا ونصه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

«هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن فمن أحدث منهم حدثًا، فإنه لا يحول ماله دون نفسه وأنه طيبة لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقًا يريدونه من بر أو بحر»(١).

كما كتب رسول الله ﷺ كتابًا لبني غادياوهم قوم من اليهود ونصه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

«من محمد رسول الله لبني غادياأن لهم الذمة وعليهم الجزية ولا عداء ولا جلاء الليل مد (أي يمده الليل)، والنهار شد (أي ويشده النهار ولا ينقصه شيء»(٢).

كما وكتب كتابًا لبني عريض وهم أيضًا من اليهود ونصه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

«هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عريض طعمة من رسول الله عشرة أوسق قمحًا وعشرة أوسق شعيرًا في كل حصاد وخمسين وسقًا تمرًا يوفون في كل عام لحينه لا يظلمون شيئًا»(٣).

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢٠٧/٥؛ الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢٧٨/٢.

(٢) الزهري، الطبقات الكبرى، ٢٧٩/١.

(٣) م. ن، ٢٧٩/١.

كما كتب رسول الله ﷺ لأهل جربا وأذرح كتابًا ونصه:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

«**هذا كتاب من محمد النبي لأهل جربا**[١]**، وأذرح**[٢]**، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأنه عليهم مئة دينار في كل رجب وافية طيبة (أي من الذهب الخالص)، والله كفيل عليهم**»، وقد صالح أهل مقنا وهم يهود على ساحل البحر، بأنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن، عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم)[٣].

بعد هدنة الحديبية بين رسول الله ﷺ وقريش، أمن النبي والمسلمون جانب قريش وحلفائها وتوجه رسول الله ﷺ بدعوته إلى القبائل العربية ولأهل الكتاب، وقد حقق من ذلك فوائد جمّة، عادت على المسلمين كان منها السيطرة على مركز المؤامرة في خيبر، ووضعه تحت السلطة النبوية الشريفة، فضلًا عن الإمدادات المادية الكبيرة التي جاءت من شطر إنتاج الأرض سنويًا وعقده الصلح من عدّة قبائل يهودية على أطراف الشام، وفرض الجزية عليهم، وبذلك يكون قد حقق للدعوة الإسلامية امتدادًا وصل إلى خارج شبه الجزيرة العربية، وفرضه للجزية عليها التي تدر على المسلمين فائدة مادية ومعيشية وفي رفد الدعوة بمستلزماتها، ويمكن اعتبار تلك الغزوات مقدمة الطريق إلى غزوات الخلفاء الراشدين من بعده إلى بلاد الشام والعراق التي كان نتاجها سقوط الإمبراطورية الرومانية والفارسية في وقت واحد، وتحت ضربات سيوف المسلمين الفاتحين.

---

(١) جربا: من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام وهي قرية من أذرح، الحموي، معجم البلدان، ٢/ ١١٩.

(٢) أذرح: اسم لبلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء، م. ن، ١/ ١٢٩.

(٣) الزهري، المصدر السابق، ١/ ٢٩١.

المبحث الرابع وصية الرسول بإجلاء اليهود عن جزيرة العرب

بعد أن فرض رسول الله ﷺ السيطرة على خيبر المعقل الرئيس لليهود، وأجلي اليهود عن المدينة المنورة وإحكام السيطرة على يهود المناطق المتفرقة من شبه الجزيرة العربية حتى امتدت إلى أطرافها من جهة بلاد الشام.

سار الحال في البداية على ما يرام من غير أن يُرى منهم سوء في معاملتهم، غير أن الشخصية اليهودية وما جُبلت عليه من فساد في الأرض، وبشكل يصعب معه إصلاحها فقد حاولوا رشوة عبد الله بن رواحة كي يقسم لصالحهم كما مر معنا في مطلب سابق، وقاموا بقتل مظهر بن رافع أخي بني حارثة فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون به، وكتب إليهم أن يَدْوهُ، أو يأذنوا بحرب فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلًا، فوداه رسول الله ﷺ من عنده وأقرهم على ما سبق من معاملته إياهم، فلما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى أقرهم أبو بكر رضي الله عنه مدة خلافته، ثم أقرهم عمر رضي الله عنه صدرًا من إمارته[1]، إلى أن اعتدوا على عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلًا عندما كان يتفقد أمواله في خيبر ففدعوا يديه أي أُزيلتا من مفاصلهما، بعد أن ألقوا به من فوق بيت[2].

وعندما عزم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إجلائهم وجمع أمره على ذلك، أخذ يبحث عن أسباب أخرى تكون مبررًا لجلائهم، لأن سبب ابنه لم يكن يدعوه

---

(١) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ٢٠٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري، ٥/ ٣٢٨-٣٢٩.

إلى إجلائهم حتى وجد الثبت عن رسول الله ﷺ قوله: «**لا يجتمع بجزيرة العرب دينان**»، فقال: من كان له من أهل الكتابين عهد فليأت به أنفذه له[١].

وقام في الناس خطيبًا: فقال «أيها الناس إن رسول الله كان عامل يهود خيبر على أن نخرجهم إذا شئنا،وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم ذلك وعدوتهم على الأنصاري قبله، ولا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به فإني مخرج يهود»[٢]، وكان قد سمع حديث عن رسول الله ﷺ: «**لئن عشت لأخرجن اليهود من جزيرة العرب حتى لا أدع إلاَّ مسلمًا**»[٣]، فأرسل إلى يهود أن الله قد أذن بجلائكم فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء.

وقد اختلفوا في حدود شبه الجزيرة العربية، وقد نقل صاحب الشرح الكبير هذه الآراء، فقال: سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي إلى أقصى اليمن،وقال الأصمعي وابن عبيد هي من ريف العراق إلى عدن طولًا ومن تهامة وما وراءها إلى أطراف الشام عرضًا، وقال أبو عبيدة: هي من حفر أبي موسى[٤]، إلى اليمن طولًا ومن رمل تبرين[٥]، إلى منقطع السماوة عرضًا.. وقيل غير ذلك[٦]، والمراد بجزيرة العرب الحجاز.

---

(١) م . ن، ٥/ ٣٢٨ .
(٢) الكلاعي، الإكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، ٢/ ٢٠٠ .
(٣) مسلم، صحيح مسلم، ٣/ ١٣٨٨ .
(٤) حفر أبي موسى: وهي ركايا حفرها أبو موسى الأشعري على جادة البصرة إلى مكة وقيل حفر أبي موسى مياه عذبة على طريق البصرة، الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٧٥ .
(٥) رمل تبرين: وهو من ناحية البحرين، م . ن، ٥/ ٤٢٧ .
(٦) ابن قدامة، المغني، ١٠/ ٦٢٣ .

والحجاز هو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة لأن عمر لما أجلاهم ذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحاء، وتُعدُّ تيماء من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز، وقيل له حجاز لأنه حجز بين نجد وتهامة(١). وقد قال عمر رضي الله عنه لليهود من لم يكن له عهد فإني أجليه لأن النبي أقركم ما أقركم الله، وقد أذن الله بإجلائكم إلاَّ أن يأتي رجل منكم بعهد أو بينة من النبي أنه أقره فأقره، وقد فعلتم بمظهر بن رافع الحارثي ما فعلتم وذلك أن مظهر هذا كان قد خرج بتجارة له من الشام حتى إذا كان بخيبر دخل قوم من اليهود وأعطوا غلمانه السلاح وحرضوهم على قتله فقتلوه(٢). فأجلى يهود خيبر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره(٣)، وقد احتج عليه يهود وادي القرى بقولهم، إنما نحن بأموالنا قد أقرنا رسول الله ﷺ، وقاسمنا وقصدوا بهذا الكلام الإشارة إلى الفرق بينهم وبين أهل خيبر، لأن خيبر قد افتتحها المسلمون فصارت مملوكة لهم، فأما نحن فصالحنا رسول الله ﷺ على بعض الأراضي فأقرنا في أموالنا على ما كنا عليه في الأصل ولم يظهر منا خيانة، فليس لك أن تجلينا عن أرضنا فقال لهم عمر: إن رسول الله ﷺ قال: أقركم ما أقركم الله يعني هذا اللفظ استثناء من رسول الله في الصلح الذي كان بينه وبينكم، فلا يمنعني ذلك من إجلائكم، وأن رسول الله ﷺ قد قال أن لا يجتمع في جزيرة العرب دينان، وإني مجل من لم يكن له عهد من رسول الله ﷺ يعني عهدًا خاصًا سوى ذلك الصلح العام، فقد كان ذلك مقيدًا بالاستثناء وأنا مقوّم أموالكم هذه فمعطيكم أثمانها يعني بهذا الجلاء لا أبطل حقكم عن أموالكم ولا أتملكها عليكم مجانًا، ولكني أعطيكم قيمتها فأمر رضي الله عنه بأمواهم

(١) الحلبي، السيرة الحلبية، ٢/ ٧٧٣-٧٧٤ .
(٢) ابن حبان، الثقات، ط.١ (دار الفكر، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)، ٢/ ٢٢٢ .
(٣) الحلبي، السيرة الحلبية، ٣/ ٢/ ٧٧٤ .

فقوّمت بتسعين ألف دينار فدفعها إليهم وأجلاهم وقبض أموالهم[١].

أما يهود فدك فقد كان لهم نصف الثمر ونصف الأرض لأن رسول الله ﷺ كان صالحهم لما أوقع بأهل خيبر على نصف الثمر ونصف الأرض بطلبهم ذلك ولم يأتهم، وقد قوّم عمر رضي الله عنه نصف الثمر ونصف الأرض قيمه من ذهب وورق فضة وإبل وحبال وأقتاب ثم أعطاهم القيمة وأجلاهم عمر[٢]، وقد أعطاهم رضي الله عنه ثلاثة أيام للجلاء[٣].

عن يحيى بن سعيد أن عمر أجلى أهل نجران من اليهود والنصارى واشترى بياض أرضهم وكرومهم، وقد كان عمر قد عامل الناس إن هم جاؤوا بالبذر والحديد من عندهم فلهم الثلثان ولعمر الثلث، وإن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر، وعاملهم في النخل على أن لهم الخمس ولعمر أربعة أخماس وعاملهم في الكرم على الثلث ولعمر الثلثان وقيل كان أهل نجران قد بلغوا أربعين ألفًا، وقد كان عمر يخافهم أن يميلوا على المسلمين فأتوا عمر فقالوا: إنا قد تحاسدنا فيما بيننا فأجلنا، وقد كان رسول الله قد كتب لهم كتابًا أن لا يجلوا فاغتنمها عمر فأجلاهم، فندموا فأتوه وقالوا له: أقلنا فأبى أن يقيلهم، فلما قدم علي رضي الله عنه أتوه فقالوا: إنا نسألك بخط يمينك وشفاعتك ثم نبيك فأبى، وقال: ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر[٤].

وكان له سبب آخر هو أن أهل نجران قد نقضوا العهد الذي صالحهم عليه

(١) مسلم، ٣/ ١١٨٧؛ السرخسي، المبسوط، ٢٣/ ٤-٥ .
(٢) الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف(ت ١١٢٢هـ). شرح الزرقاني. ط.١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ٤/ ٢٩١ .
(٣) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، ٣/ ١٤٨ .
(٤) ابن أبي شيبة، مصنف بن أبي شيبة، ٧/ ٤٢٦ .

رسول الله ﷺ في ترك الربا وكانوا قد تعاطوه[١]، ولم يجل عمر رضي الله عنه يهود تيماء لأنها تدخل في أرض الشام[٢].

بعد أن استقر الحال لعمر بن الخطاب بجلاء اليهود، سنَّ قوانين للتجارة والإقامة في شبه الجزيرة العربية.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال عمر: لا تتركوا اليهود والنصارى بالمدينة فوق ثلاث قدر ما يبيعوا سلعتهم، وعن ابن عباس قال: لا تساكنوا اليهود والنصارى إلاَّ أن يسلموا)[٣]. وقد كان عمر رضي الله عنه لا يترك أهل الذمة أن يقيموا بالمدينة فوق ثلاثة أيام، إذا أرادوا أن يبيعوا طعامًا وتؤمر نساء اليهود والنصارى أن يحتجبن[٤].

من خلال هذا الفصل يتبين الجهد الكبير الذي بذله رسول الله ﷺ في دعوة اليهود للإسلام، وكان صبره على سفاهتهم وتآمرهم يمثل أقصى درجات الحلم النبوي، وكان إلى جانب هذا الحلم انعكاس جاحد ومتآمر ومشكك.

وعلى الرغم من كل تلك الصفات الفعلية نجد رسول الله ﷺ تعامل مع الوضع تعاملًا سلميًا، وبشكل جعل الجهلاء يستخفون ممن حولهم من المسلمين ولم تكن غايته ﷺ إلاَّ هدايتهم للإسلام، لكن جهوده باءت في أكثرها بالفشل، إلاَّ في حالات قليلة لا يمكن اعتبارها قياسًا بأعدادهم الكبيرة التي بقيت على ضلالها، ولم تكن لهذه المعاملة النبوية الحسنة أن تجد عندهم أي امتنان أو اعتراف بالفضل والجميل، بل تجاوزت حدود النقاش والجدال

(١) ابن قدامة، المغني، ١٠/ ٦١٥.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/ ٢١٨.
(٣) ابن أبي شيبة، المصدر السابق، ٦/ ٤٦٨.
(٤) عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، ٦/ ٥٢.

والسؤال إلى حمل السلاح وقتل المسلمين غيلة، والتآمر على حياته الشريفة، بل وامتدت إلى التآمر على حياة المسلمين، من خلال محاولاتهم إسقاط الدولة الإسلامية، كما في خيانة بني قريظة، وقد عالج رسول الله ﷺ كل حالة على قدر جرمها، لأن الجزاء من جنس العمل، وبذلك أُجلي يهود المدينة، وصفا الحال داخلها فلم يبق فيها غير المسلمين، وعلى الرغم من كل ما أصابهم استمروا في شحن الجيوش وتجيشها للقضاء على الدولة الإسلامية، وتشبب شعراؤهم بنساء المسلمين حتى زاد أذاهم إلى أن قام رسول الله ﷺ عليهم بحربه الوقائية، التي قضى فيها على قواعد الشر قبل انطلاقها، واستمر الحال إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستمرت تجاوزاتهم واعتداءاتهم، مما دفعت عمر بن الخطاب إلى إجلائهم عن شبه الجزيرة العربية، وبهذا الجلاء تكون الجزيرة قد اخليت من أهل الكتاب، مصداقًا لحديث رسول الله ﷺ: «**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**»[(١)]. وقوله ﷺ: «**لئن عشت لأخرجن اليهود من جزيرة العرب**»[(٢)].

وبهذا الجلاء تكون جميع معاقل الشر قد أُزيلت من الحجاز وبشكل كامل، وانتقلت قواعدها إلى خارجها لإتمام ما خططت له من مخططات للكيد والتآمر على الإسلام والمسلمين.

---

(١) ابن أبي شيبة، مصنف بن أبي شيبة، ٦/ ٤٦٨ .
(٢) ابن حبان، الثقات، ٢/ ٢٢٢ .

الفصل الخامس: النبوءات الدينية والتاريخية حول مستقبل اليهود التاريخي

ويشتمل على تمهيد وأربع نبوءات:

النبوءة الأولى: المهدي المنتظر وأهميته في صنع الأحداث التي تسبق النهاية ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : اسمه ونسبه وصفته.

المطلب الثاني : معاركه .

النبوءة الثانية : سورة الإسراء ومستقبل اليهود.

النبوءة الثالثة: الدجال وعلو اليهود في الأرض ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وصفته.

المطلب الثاني: معاركه.

النبوءة الرابعة: نزول عيسى بن مريم عليه السلام والنهاية الحتمية لليهود.

* * *

تمهيد

مما لا شك فيه أن دراسة النبوءات حول مستقبل اليهود كما جاءت في القرآن الكريم وكما أوردتها الأحاديث النبوية الشريفة والكتب السماوية، يدور محورها على وفق ثلاثة خطوط رئيسة:

الخط الأول : المهدي المنتظر: والذي سيكون خروجه آخر الزمان بعد انتشار الفساد والضلال والظلم وتعم الفوضى، وتكالب الأعداء على المسلمين من كل مكان، فيملىء الأرض قسطًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا، ومكانته بين هذه الأحداث الغيبية، والرسالة أو المهمة التي أُنيطت به من قبل المسلمين وسعيه في ذلك فضلًا عن محاربته للدجال وجنوده.

الخط الثاني: النبوءة القرآنية في سورة الإسراء التي تناولت ذكر فساد اليهود في الأرض، واجتماعهم في بيت المقدس وفلسطين من شتى أنحاء العالم بكل أصنافه وألوانه، وجنسياته والسعي الحثيث والمتواصل لسيادة العالم، وطمس كل معالم الدين والفضيلة لدى البشر جميعًا .

الخط الثالث: السيطرة والسيادة على كل الأرض إلاَّ لمن أراد الله له الحماية، ويتحقق ذلك بخروج نبيهم المنتظر (المسيح الدجال) وبه يكون العلو الكامل والسيادة المطلقة له ولأتباعه من اليهود الذين التفوا حوله من كل أنحاء المعمورة، مع ذكر كل ما يتفرع عنه من اسمه وصفته ومكان خروجه والظروف التي تمهد لخروجه ومن هم أتباعه، والحروب التي يخوضها وتحت أي مسمى، ومعرفة خوارقه الكبيرة والخارجة عن العادة التي عرفها الإنسان، ومن ثم ما ينتج عن ذلك من إفساد للعقائد والنفوس .

الخط الرابع : النهاية الحتمية والسقوط بنزول عيسى بن مريم عليه السلام ومهمته بين هذه الأحداث جميعًا، والمهمة التي كُلّف بها من ربه جلَّ جلاله.

هذه الخطوط بمجموعها تشكل سلسلة واحدة ترتبط كل حلقة بالأخرى وهي بالتأكيد مكملة بعضها بعضًا في هذه الأحداث فلنقف عليها كلًا على حده وهي كالآتي:

النبوءة الأولى: المهدي المنتظر وأهميته في صنع الأحداث التي تسبق النهاية

المطلب الأول

اسمه ونسبه وصفته: يُعدُّ المهدي من النبوءات التي أخبر عنها رسول الله ﷺ وهو بلا شك من الأهمية بحيث أخذ حيزًا واهتمامًا واسعًا عند العلماء، لما يحمله من غيبيات تتحدث عن مستقبل هذه الأمة وتكالب الأمم عليها، حيث يكون خروجه على أثر أحداث ومعارك جسام تعصف بالأمة الإسلامية، ويلعب دورًا كبيرًا في مجرى الأحداث وتكون لمساته ظاهرة عليها، ويستمر دوره إلى نهايته، وهو من الحلقات المهمة في المعارك الكبيرة، كالملحمة الكبرى وفتح روما والقسطنطينية ومن بعدها حروبه مع الدجال، وإمامته بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام والقضاء على اليهود في فلسطين.

وقبل الدخول في هذه التفاصيل لا بد لنا من التعريف بهذه الشخصية المهمة كما وردت على لسان المصطفى ﷺ وكذلك ماجاء بشأنه في الكتاب المقدس.

من الجدير بالذكر أن الأحداث التي تناولت المهدي المنتظر في كتب السنن كثيرة وقد لاقت اهتمامًا واسعًا من قبل المحدثين دراسة وتفنيدًا، ولأن مثل تلك الاحاديث وما تضمنته من أخبار غيبية ذات أهمية كبيرة جدًا ؛ لأن التحقق منها وإبرازها بصورتها الصحيحة والواضحة، سيعود على المسلمين بمعلومات دقيقة ومفصلة لمستقبلهم وما سيحاك لهم.

فضلًا عن المصير المحتوم لقوى الظلم في معارك المستقبل مع أعدائهم وإعطائهم الصورة الحقيقية عن الإسلام والذي سيكون القوة التي تقف ضد أعدائه ويجنب أهله الزلات والخطيئة.

فهذه الأحداث الغيبية بلا شك وثيقة سرية وضعها رسول الله ﷺ بين أيدينا احتوت كل تفاصيل ما سيكون، فهل سنكون على مستوى الثقة النبوية ؟ أم سنتجاهل كلامه ونعده حقبة زمنية انتهت بوفاته ﷺ وطويت معه إلى الأبد؟ .

وقد وصلت الأحاديث التي تناولته وتناولت الدجال ونزول عيسى ابن مريم حد التواتر، وقد قال الشوكاني :

بأن الأحاديث التي وردت في نزول عيسى ابن مريم تسعة وعشرون حديثًا وأضاف من أن بعضها وصل حد التواتر وكذلك الأحاديث الواردة في المهدي متواترة أيضًا[١] .

أما الأحاديث التي وردت في اسم المهدي وصفته ومكان خروجه ونسبه:

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت ذكر رسول الله ﷺ المهدي فقال: (هو من ولد فاطمة)[٢]

وفي حديث آخر لابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « **لو لم يبق من الدنيا إلاَّ ليلة لملك فيها رجل من أهل بيتي اسمه اسمي**»[٣].

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة**

---

(١) العظيم آبادي، عون المعبود، ١١/ ٣٠٦ .

(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٦٠١ .

(٣) ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ١/ ٣٧٦ ؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٥٠٥، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٣/ ٢٨٤ .

حتى تمتلىء الأرض ظلمًا وعدوانًا ثم يخرج من أهل بيتي ومن عترتي ـ فيملؤها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وعدوانًا»(١).

تشير هذه الأحاديث إلى أن اسم المهدي هو محمد بن عبد الله وهو من أولاد فاطمة الزهراء رضي الله عنها ويكون خروجه على أثر ظلم وعدوان يصيب الناس، وعلى أثر معارك ظالمة ضد المسلمين وقد بين ذلك رسول الله ﷺ .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة، وحتى يملىء الأرض جورًا وظلمًا، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجىء إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجل من عترتي فيملىء الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدخر الأرض من بذرها شيئًا إلا أخرجته ولا السماء من قطرها إلا صبته عليهم مدرارًا يعيش فيها سبع سنين أو ثمان أو تسع. . . .**»(٢) .

صفته: أما صفته فقد روى أبا سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**المهدي منا أهل البيت أشم الأنف أقنى**(٣)**، أجلى**(٤)**، يملىء الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، يعيش هكذا وبسط يساره وإصبعين من يمينه المسبحة والإبهام وعقد ثلاثة**»(٥) .

---

(١) ابن حنبل، م، ن، ٣/ ٣٦ ؛ ابن حنبل، م، ن، ١٥/ ٢٣٦ ؛ الحاكم، م، ن، ٤/ ٥١٢ .
(٢) الحاكم، م، ن، ٤/ ٥١٢ .
(٣) أقنى : طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه، ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٢٠٣ .
(٤) الأجلى : الخفيف ما بين الذراعين.من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته،م، ن، ١٤/ ١٥١ .
(٥) أبو داود، سنن أبي داود، ٤/ ١٠٧ ؛ الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٦٠ .

وفي حديث لابن حبان : «. . . .**يملك سبع سنين**»[١] .

أما بيعته فتكون في بيت الله الحرام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **يبايع لرجل بين الركن والمقام. . . .**»[٢] .

أما المهمات التي سوف يقوم بها فقد أشار إليها محمد بن الحنفية بقوله : « ينزل خليفة من بني هاشم ببيت المقدس يملء الأرض عدلًا ، يبني بيت المقدس بناءً لم يُبْنَ مثله، يملك أربعين سنة، تكون هدنة بالروم على يديه في سبع سنين بقين من خلافته ثم يغدرون به، ثم يجتمعون بالعمق فيموت فيها، ثم يلي بعده من بني هاشم ثم تكون هزيمتهم وفتح القسطنطينية على يديه ثم يسير إلى رومية فيفتحها. . . . . . وينزل عيسى ابن مريم في زمنه فيصلي خلفه»[٣] .

لهذا الحديث دلائله النبوية ذكرها رسول الله ﷺ سوف تأتي في المبحث القادم .

أما الإشارات عن المهدي المنتظر في الكتاب المقدس فهي :

« وظهرت آية عجيبة في السماء امرأة تلبس الشمس والقمر تحت قدميها، على رأسها إكليل من إثني عشر كوكبًا . . . فولدت ولدًا ذكرًا وهو الذي سيحكم الأمم كلها بعصى من الحديد»[٤] .

وقد ذكر سعيد أيوب[٥] من أن السيدة فاطمة الزهراء هي المقصودة بتلك النبوءة وهذا ما يقابله قول رسول الله ﷺ : « **من ولد فاطمة . . . .**» .

---

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/٢٣٨ .

(٢) الحاكم، م، ن، ٤/٦٠٠ .

(٣) ابن حماد، الفتن، ١/٣٩ .

(٤) العهد الجديد، سفر الرؤيا، ١٢/١-٥ .

(٥) المسيح الدجال، (القاهرة دار الاعتصام)، ص٧٧ .

واسم الأمين الصادق ورد في العهد الجديد مرتين، المرة الأولى كانت لتبليغ الدعوة والأخرى آخر الزمان، وستكون مهمته الجهاد بالسيف[(١)]، ونص ذلك: «وإذا فرس أبيض وعليه راكب يدعى الأمين الصادق يحكم ويحارب بالعدل على رأسه تيجان كثيرة وعليه اسم لا يعرفه أحد سواه»[(٢)].

وقوله يحكم ويحارب بالعدل يقابله في السنة النبوية قوله ﷺ: «**يملىء الأرض قسطًا وعدلًا**».

أما عن زمن خروجه فيكون على أثر مقتل خليفة المسلمين، وقد روت أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ: «**يكون اختلاف ثم موت خليفة فيخرج من قريش من أهل المدينة إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام يبعثون إليه جيشًا من أهل الشام، فإذا كانوا بالبيداء خُسف بهم فإذا بلغ الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصابة أهل العراق فيبايعونه**»[(٣)].

والذي يظهر من هذا الحديث النبوي الشريف بأن الخسف في الجيش هو الذي يُعلي شأن المهدي في بداية خروجه ؛ لأنه يُظهر تأييد الله تعالى له، ولذلك التحق به المؤمنون وشكلوا نواة الجيش الإسلامي الذي يحمل لواء التحرير والعدل ويستمر حتى زمن عيس ابن مريم عليه السلام.

* * *

(١) م، ن، ص٧٨.
(٢) سفر الرؤيا، ١٩/ ١١-١٢.
(٣) ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ٦/ ٣١٦ ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٨/ ١٥٩.

المطلب الثاني معاركه

مما لا شك فيه من أن هناك حوادث وحروب كثيرة سوف تحدث قبل خروج الدجال أو تمهد لخروجه، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عنها وبشكل مفصل.

فعن عوف ابن مالك قال أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال: « **أعدوا ستًا بيت يدي الساعة، موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان كقعاص الغنم ثم استفاضة المال، حتى يُعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتوكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا**»[(١)] .

بيّن هذا الحديث النبوي الشريف أمورًا واضحة المعالم تكون علامات ودلالات لنهاية العالم، وقيام الساعة وقد عددها رسول الله ﷺ إلى أن قال: « **ثم هدنة تكون بينكم...** » وهذه دلالة على تحالف عسكري بين المسلمين والنصارى ضد عدو مشترك، وهذا ما وضحه حديث آخر بشيء من التفصيل، فعن ذي مخبر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ستصالحون الروم صلحًا آمنًا حتى تغزوا أنتم وهم عدوًا من ورائهم، فتنصرون وتسلمون وتغنمون حتى تنزلوا بمرج، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب ويتداولونها وصليبهم من بعيد فيثور رجل من المسلمين فيدقه ويثورون إلى كاسر صليبهم فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة فيأتي النصارى إلى ملكهم فيقولون: كفيناك جزيرة العرب، فيجتمعون للملحمة فيأتون تحت ثمانين غاية**

(١) البخاري، صحيح البخاري، ٣/ ١١٥٩ ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ١٠٢ .

تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا»(١) .

وللراوي نفسه بلفظ آخر : « **ستصالحون الروم عشر سنين صلحًا آمنًا يفون سنتين ويغدرون في الثالثة، أو يفون أربعًا ويغدرون في الخامسة _ هذا شك من الراوي _ فينزل جيش منكم في مدينتهم فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائكم _ أو من ورائهم كما في حديث آخر _ (ولا خلاف بين الحديثين ؛ لأن الالتقاء سيكون في الحالتين) فتقاتلون ذلك العدو فيفتح الله لكم فتنصرون من أجر وغنيمة**»(٢) .

تشير هذه الأحاديث إلى أمور هامة في تلك الهدنة والحرب التي دفعت إليها وهي كالآتي:

١- عدو للنصارى والمسلمين في آن واحد ويمتاز بقوة كبيرة كان وراء هذا التحالف.

٢- ستكون نتيجة المعركة لصالح المتحالفين.

٣- التضحيات الكبيرة في المعركة ستكون في صفوف المسلمين وبهم سيتحقق النصر، يدل على ذلك غضب المسلمين عند قول النصارى : غلب الصليب؛ لأن في ذلك تجاهل لتضحياتهم التي قدموها، فضلًا عن أن الغضب لا يكون إلا في حالة إنكار أمر قد كلّف المقابل تضحيات كبيرة ويدعيها غيره لنفسه.

٤- الحرب الإعلامية التي ينظمها النصارى، الهدف منها تبشيري بفضل الصليب في النصر وبالتالي لا فضل لغيره، ويدل على ذلك قول رسول الله

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، ٤/١٠٩ ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/١٠٢ .

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ) المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي . ط٢ . (الموصل : مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٣م)، ٤/٢٣ .

ﷺ: « . . ويتداولونها . . . » أي يتحدثون بها بين الناس من خلال حملة إعلامية كبيرة ومنظمة.

٥- كسر المسلمين للصليب أظهر وعجّلَ نوايا أعدائهم في الغدر.

٦- غدر النصارى كان قد أُعدَّ له قبل إبرام الهدنة والتحالف، يدل على ذلك ما قاله ﷺ على لسانهم : « **فيأتون ملكهم فيقولون كفيناك جزيرة العرب**» وهذا دليل واضح على أن ملكهم وقادة جيشه كانوا يضمرون الغدر بعد انتهاء المعركة.

٧- إعداد النصارى للمعركة بعد غدرهم يدوم تسعة أشهر، يدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو : « **فيجتمعون لكم تسعة أشهر أو قدر حمل المرأة**»(١) .

٨- هذه المعركة العالمية الكبرى قد أشار إليها الكتاب المقدس بما يأتي :

«وسكب الملاك السادس كأسه على نهر الفرات فجفَّ ماؤه ليكون ممرًا لملوك المشرق ورأيت ثلاثة أرواح نجسة تشبه الضفادع خارجة من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبي الكذاب، وهي أرواح شيطانية تصنع المعجزات، وتذهب إلى ملوك الأرض كلها لتجمعهم للحرب في اليوم العظيم يوم الله القدير، ها أنا آت كالسارق هنيئًا لمن يسهر ويحرس ثيابه لئلا يمشي عريانًا فيرى الناس عورته فيجمعهم في المكان الذي يدعى بالعبرية هرمجدون»(٢) .

في هذا النص إشارات عديدة وواضحة حول أمور عدة :

الأولى : تشير إلى النبي الكذاب وهو المسيح الدجال الذي يدعي النبوة في بداية خروجه ومن ثَمَّ الألوهية .

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٣٢١ .

(٢) العهد الجديد، سفر الرؤيا، ١٦/ ١٢-١٣-١٤-١٥-١٦ .

الثانية : العادات الخارقة التي يُويّد بها امتحانًا للناس.

الثالثة : حشد ملوك الأرض جميعًا وإعدادهم للحرب المقبلة.

الرابعة : التصريح الواضح لمكان المعركة واسمها بالتحديد، وهي الأرض العربية.

هذه المعركة التي أشار إليها العهد الجديد لاقت إيمانًا راسخًا في قلوب وعقول الكثيرين من الشخصيات الدينية والسياسية، وقد أوردها أمين محمد جمال الدين(١) وهي كالآتي:

١- جاء في كتاب البعد الديني في السياسة الأمريكية : أن سبعة من رؤساء أمريكا يؤمنون بمعركة هرمجدون(٢) .

٢- يقول رونالد ريغان الرئيس السابق لأمريكا : « إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هرمجدون» .

٣- يقول نيكسون الرئيس السلبق لأمريكا: في كتاب بعنوان: « **١٩٩٩** نصر بلا حرب »، إن عام **١٩٩٩** نكون قد حققنا السيادة الكاملة على العالم .... ولم يبق بعد ذلك إلا نزول المسيح(٣) .

٤- يقول (بات روبرتسون) زعيم الأصوليين الإنجيليين : إن إعادة مولد إسرائيل هي الإشارة الوحيدة إلى العد التنازلي لنهاية الكون وقد بدأ مع مولد إسرائيل، وإن بقية النبوءات أخذت تتحقق بسرعة(٤) .

---

(١) عمر أمة الإسلام، (القاهرة : مكتبة المجد العربي)، ص٣٧-٣٨ .

(٢) هرمجدون : كلمة عبرية مكونة من مقطعين (هر) ومعناها بالعبرية جبل، (ومجيدو) وادي في فلسطين، م، ن، ص٣٦ .

(٣) عمر أمة الإسلام، ص٣٦ .

(٤) م، ن، ص٥١ .

٥- يقول (بيلي جراهان) : الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين في عام ١٩٧٠ محذرًا من أن العالم يتحرك بسرعة كبيرة نحو معركة هرمجدون[١] .

٦- وقال صاحب كتاب « دراما نهاية الزمن لأورال روبرتسن» : كل شيء سوف ينتهي في بضع سنوات ...... ستقوم المعركة العالمية الكبرى معركة هرمجدون أو سهل مجيدو[٢] .

٧- وقالت الكاتبة الأمريكية جريس هالسل : « إننا نؤمن كمسيحيين أن تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركة تُدعى هرمجدون وأن المعركة سوف تتوج بصورة المسيح الذي سيحكم بعودته إلى جميع الأحياء والأموات على حد سواء»[٣] .

هذه المعركة تحت هذا المسمى «هرمجدون» والتي يخوضها النصارى والمسلمين ضد عدو واحد بعد تحالفهم، وبهذه المعركة يكون غدرهم وإعدادهم للمعركة الكبرى، وهي التي تحمل اسم (الملحمة الكبرى) والتي يكون للمهدي المنتظر الدور الكبير فيها كقائد ميداني للمسلمين، والتي يكون مكانها مدينة حلب الواقعة شمال دمشق وقد أشار إليها رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق، (أو بدابق) ـ شك من الراوي ـ فيخرج إليهم جيش من أهل المدينة هم خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين إخواننا، فيقاتلون فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا ثم يُقتل ثلثهم وهم أفضل الشهداء ثَمَّ الله، ويفتح الثلث القسطنطينية**»[٤] .

---

(١) م، ن، ص٥١ .
(٢) م، ن، ص٥١ .
(٣) م، ن، ص٣٧ .
(٤) مسلم، صحيح مسلم، ٤/ ٢٢٢١ ؛ ابن حبان صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٢٣-٢٢٥ .

بعد غدر الروم وإعدادهم للجيوش تسعة أشهر يتوجهون بجيوشهم والتي وصفها رسول الله ﷺ بقوله « .... **فيأتونكم تحت ثمانين غاية** .... » وفي حديث كعب : « **يحضر الملحمة اثنا عشر ملكًا من ملوك الأعاجم أصغرهم وأقلهم جنودًا صاحب الروم**»(١) .

هذه الروايات تدل على أن عدد حشود المهاجمين سيكون مليون جندي تقريبًا متوجهين من أوربا ويدل هذا العدد على نيتهم استئصال المسلمين وبشكل كامل وتدور معركة كبيرة جدًا، ويأتي المدد من المدينة وعلى رأسهم المهدي وقد وصفهم رسول الله ﷺ : «**فيخرج إليهم جيش من أهل المدينة هم خيار الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم ـ أي لا يُلهمون أن يتوبوا إلى الله لفرارهم يوم الزحف ـ ثم يقتل ثلثهم.... ويفتح الثلث**»(٢).

أما تفاصيل تلك المعركة فقد رواها كعب الأحبار : فيقتلون فيكون للروم السيف على المسلمين، حتى يخرجونهم من معسكرهم وكذلك كلما التقوا يكون للروم النصر ويبلغ الأخبار أهل حمص فلا يزالون كذلك حتى يعاين أهل حمص الغبرة والهرج، فعند ذلك يتجفل أهل حمص إلى الذراري والنساء هاربين نحو دمشق فيموت ما بين حمص ودمشق ألوف من العطش حتى أن المرأة تنشد كما ينشد الفرس، ويشتد القتال بين المسلمين والروم ويحبس النصر .... وتلحق قبائل بأسرها وراياتها بالروم، ويصبر المسلمون إلى أن تلحق فرقة بالكفر وتقتل

(١) ابن حماد، الفتن، ٢/ ٤٤ .
(٢) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ط٢، ،بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، ١٥/ ٢١ .

فرقة وتنصر فرقة، ثم يقول الروم : يامعشر العرب إنّا قد علمنا أنكم قد كرهتم قتالنا هلموا سلموا إلينا من كان أصله منا والحقوا بأرضكم ومواليكم فتقول العرب للروم : هاهم قد سمعوا ما تقولون فهم أعلم، فعند ذلك يغضب الموالي، ويقولون للعرب أظننتم أن في أنفسنا من الإسلام شيء فيبايعون رجلًا منهم ثم ينحازون فيقاتلون من ناحيتهم، ويقاتل العرب من ناحية فينزل الله نصره...... وينهزم الروم فيقوم رجال على سروجهم عن متون خيولهم فينادون بالصوت العوالي :

يامعشر المسلمين إن الله لن يرد هذا الفتح أبدًا حتى تكونوا أنتم تنصرفون عنه ويلحقهم المسلمون ويقتلونهم في كل سهل وجبل لا يمتنع منهم أي مدينة، حتى ينزلوا القسطنطينية .... ويفتحونها بالتكبير، وبينما هم يقتسمون ما أفاء الله عليهم إذ سمعوا أن الدجال قد خرج بين ظهراني أهليكم فينصرفون فيجدون الخبر باطلًا، فيلحقون ببيت المقدس فيكون معقلهم إلى خروج الدجال(١) .

أشار هذا الحديث إلى أمرين هامين:

الأمر الأول: إن جيش المسلمين يضم بين صفوفه أعدادًا كبيرة من غير العرب ومن الأوربيين تحديدًا، وهذا الجيش على دراية بأمور الحرب، وقد انفصل عن جيشه الرومي والتحق بالمسلمين، لذلك نرى مقالة أبناء جلدتهم : «سلمو إلينا من كان أصله منا» وهذا يبين مدى الغيظ الذي أصابهم والخوف من أن يكون إسلامهم محفزًا لغيرهم وفي ذلك خطر عليهم وعلى وجودهم وكيانهم، ومن المؤكد أن نهاية الدول الكبيرة والقوية لا يكون إلا من داخلها

(١) ابن حماد، الفتن، ٢/ ٤٦٠-٤٦٢ .

كالاتحاد السوفيتي السابق فترسانته الكبيرة من الأسلحة رادعة لأي متطفل، أو حتى مجرد التفكير في التصادم معه ؛ لكنه سقط وبشكل سريع وكان سقوطه من داخله، وهو نموذج ينطبق على كل قوة كانت أو ستكون، وأن انتشار الإسلام في ربوع الأرض وبين أبنائه ومن شتى الجنسيات والقوميات لهو دليل أكيد على المستقبل المشرق لهذا الدين، وربَّ قائل يقول : كيف يكون الأمل في ذلك وقوى العالم متكالبة ومهيمنة عليه ولا حول له ولا قوة، والجواب يكمن عند نبي الله موسى عليه السلام وقصته مع فرعون، فالمتأمل لها يرى قدرة الله تعالى في إمضاء أمره على الرغم من كل مكر الإنسان وحيطته، ففرعون يأمر بقتل أبناء بني إسرائيل من الذكور ويستحيي نسائهم لرؤية رآها وفسرت له بأن نهاية ملكه سيكون على يد رجل منهم، وبعد ذلك يأمر بقتل الذكور بين عام وعام خشية فنائهم وبالتالي عدم بقاء خدم يخدمونهم، وكان قدر الله تعالى أن يكون موسى في العالم الذي يُقتل فيه الذكور وربَّ سائل يقول : لماذا لم يخلق الله تعالى موسى في العام المسموح ببقائه وتسير الأمور دون مخاطرة أو خوف ؟ وهنا تكمن قدرة الله وحكمته لخلقه وإعلامهم كيف يكون تدبيره أمام حيطة العبد وتدبيره، فنرى أم موسى قد احتارت به فألهمها الله تعالى إلقائه في النهر، وقد كان في وسعها إخفائه في غير هذه الطريقة المرعبة لطفل رضيع يُلقى بين أمواج متلاطمة نهايتها الموت الأكيد، ولو استشارت أحدًا بذلك لعنفها وسفه رأيها وعقلها، ولكن حكمة الله تعالى في ذلك أن يُربى موسى في بيت فرعون ويترعرع تحت ظله إلى أن يأذن الله تعالى له بالخروج وتكون نهاية فرعون على الرغم من كل حيطته، فالعبرة تكمن في بذرة الإسلام ونموها في كل أنحاء الأرض وتحت كل الظروف البيئية والحياتية، فشمس الإسلام ستشرق بموعدها على ربوع الدنيا وأنا على يقين بأن أمر الله آت رغم كل ما يكاد له ويدبر .

الأمر الثاني: إخلاص النية لله تعالى حيث نرى في الحديث أن دخول الروم

الإسلام نابع عن قناعة بعقيدته لا لمصلحة ينشدونها، وهذا ما يؤكد بقولهم: «أظننتم أن في أنفسنا من الإسلام شيء» وبمقولتهم تلك يكون النصر على عدوهم فالنية الخالصة واليقين الأكيد بنصره تعالى هما المفتاح لكل نصر ؛ لأنه من يسلم نفسه وأمره لخالقه لا بد أن يرى ثمرة ذلك وبعكسه فلن يضر الله شيئًا ؛ لأن الله سوف يستبدل قومًا غيرهم وبذلك يكون الإنسان هو الخاسر الوحيد ؛ لأن الله تعالى ليس في حاجة العبد وإنما العبد في حاجة خالقه.

وهناك حروب أخرى سوف يخوضها المهدي قبل خروج الدجال، وهي معارك تكون بعد النصر في الملحمة الكبرى وهي أقل خطورة منها ؛ لأن المسلمين سيكونون هم المهاجمين فيها لتحرير الشعوب، فبعد فتح رومية يقاتلون خوزًا[(١)]، وكرمان[(٢)] .

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**لا تقوم الساعة حتى تُقاتلون خوزًا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر**»[(٣)] .

هذه النبوءة تحدثت عن المهدي المنتظر وهي بمثابة مقدمة للنهاية الحتمية لليهود؛ لأن بخروجه ومعاركه التي يخوضها ستكون من الأهمية الكبيرة التي تعود على المسلمين، وذلك من خلال تمحيص الرجال وإعدادهم إلى معركتهم الكبرى تحت لواء عيسى ابن مريم ﷺ ؛ لأن الذين سيخوضون معارك التحرير

---

(١) خوز : هي الأهواز حالياً وقد قلب العرب الهاء حاء، والأهواز اسماً عربياً وكان اسمه في أيام الفرس خوزستان وفيها مواضع تسمى خور، الحموي، معجم البلدان، ١/ ٢٨٤ .
(٢) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، م، ن، ٤/ ٤٥٤ .
(٣) البخاري، صحيح البخاري، ٣/ ١٣١٥ .

لا بد أن تكون معادنهم ذهبية براقة لا تشوبها شائبة الدنياوفتنتها، وبذلك يكونوا قد جمعوا بين التجربة في الحروب والصبر عليها وبين الإخلاص في نيّاتهم وعقيدتهم ؛ لأن جيش المستقبل يجب أن يكون مستقلًا بعقيدته عن سواها كي يكون أهلًا لانتمائه لجيش المهدي وعيسى ابن مريم عليه السلام ولكي ينال شرف العضوية إلى ذلك الجيش، لا بد أن يتحرر من عبوديته للعباد بإخلاص النية ويضع نفسه طائعًا مُسلّمًا له سبحانه دون تردد أو وجل ؛ لأن ربه أعلم بما ينفعه وما يضره، ولا يوجهه إلا لخير، وأدعو الله أن يجعلنا من عباده الذين أخلصوا النية له سبحانه.

* * *

النبوءة الثانية سورة الإسراء ومستقبل اليهود

تعد النبوءات التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة، حول مستقبل اليهود ونهايتهم، من الأمور الغيبية التي استحوذت على اهتمام العلماء، لا سيما الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك، وهي من الصحة والوضوح والبيان بما لا يقبل الشك

ومن المعلوم أن لكل كائن نهاية حتمية سوف يؤول إليها لا يختلف فيها أحد، ومن حكمة الله تعالى في خلقه أنه قد جعل مصير كل ظالم أو جاحد خاتمة مؤلمة له ولأتباعه، ومن المؤكد أن لكل جبار جولة يصول بها ويجول تنتهي به إلى قعر مظلم، وفي كتاب الله تعالى خطابات وبيانات دلّت على مصير جبابرة أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر،ولو تفحصنا بعضًا من تلك الآيات وربطنا بين أحداثها ونهاياتها لوجدنا ترابطًا واضحًا في كل منها ويدل على دورة تاريخية إن صح التعبير، تبدأ بادعاءات وشعارات وتصعد إلى القمة رافعة لواء مشاركة الله تعالى في ربوبيته أو ربما شعارات لشخص ما ومن ثم يبدأ السقوط سريعًا وهو في أوج قوته وجبروته، والمعادلة كالآتي:

تعنت وادعاءات وشعارات _ علو وفساد وبعدٌ عن الله _ النهاية والسقوط.

والعبرة في كل ذلك هي معرفة حلم الله تعالى على عبده من خلال مده بأسباب العلو إلى أن يصبح علمًا ينظر إليه الغافلون وينخدع به الكافرون، وهو في حالته تلك تكون نهايته ليكون عبرة لغيره من الجبابرة وللدلالة على ضعف هذا الكائن، على الرغم من ارتفاعه وعلوه لأن في النهاية لا تعلو إرادة على إرادة الله تعالى.

وفي القرآن الكريم آيات بينات دلت على حكمة الله تعالى في ذلك وفيها دلالة واضحة على تلك الدورة الربانية مع جبابرة الأرض وظلاّمها وأذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أولًا : في حالة الملك أو رئيس الدولة قوله تعالى على لسان فرعون : ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(١) فكان رد الله تعالى عليه قوله: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾(٢) تشير هذه الآية كيف أن الله قد أخذ فرعون في أوج قوته وجبروته عند تجاوزه حدود المخلوق .

ثانيا : في حال الجحود الجماعي عند البشر قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٤) .

هذه الآيات تشير إلى قوة وجبروت عاد وثمود وفرعون وإلى عظمة حضارتهم، وكيف أن الله تعالى قد أخزاهم وهم في أوج قمتهم وتكبرهم وظلمهم، وألقى بهم في قعر مظلم من عذاب الله تعالى، ولم تنفعهم قوتهم التي غرتهم وظنوا أنهم قادرين بها على الخروج من حدود البشر، وهي إشارة واضحة وإنذار لكل من تكبر وتجبر وغرته قوته واستعلائه على من سواه، وقانون الله

(١) سورة النازعات الآية (٢٤) .
(٢) سورة النازعات الآية (٢٥) .
(٣) سورة الفجر الآيات (٦-١٣) .
(٤) سورة هود الآية (١٠٢) .

تعالى ثابت لا يتغير فكل حالة شابهت تلك الحقب وظلامها من الجبابرة ستؤول حتمًا إلى ما آلت إليه عاد وثمود وغيرهما ؛ لأن الله تعالى يمد الظالمين بأسباب القوة، وينظر هل تشكر الله على ما أعطاها بأفعال تعبر عن عبوديتها له أم تكفر؟ فإن أطاعت زاد لها في الخير وبارك لها ولاقت عناية من ربها، وإن خالفت واستنكرت لقانون الله وعظمته وألوهيته، فمصيرها كمصير الأمم السابقة الذين مضوا ولم يبق لهم ذكر إلاَّ العبرة لمن يأتي بعدهم .

وفي حال الفرد العادي أو الشخص الظالم قوله تعالى على لسان قارون عندما نسب ما عنده لنفسه من الرزق: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢) فكانت موعظة الله تعالى لعباده أن أخذه وأسقطه يوم زينته وفرحه ليرى المؤمنون والمخدوعون به مصيره قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾(٣)

وقصة قارون من القصص التي يُضرب بها الأمثال من حيث كثرة المال، وحكمة الله تعالى في ذكرها لتنبيه الغافلين الذين استأثروا الحياة الدنيا وزينتها على الله تعالى، ونسوا أن الله هو الذي يُعطي من يشاء ويمنع عن من يشاء، لذلك كان الهلاك والدمار لكل من نسب ما ليس منه لنفسه، ولم يرجعه إلى خالقه الذي أوجده وأعطاه، لذلك فإن الله أخذ قارون يوم زينته وفرحه واحتفاله أمام أعين معجبيه

(١) سورة القصص الآية (٧٨) .
(٢) سورة القصص الآية (٧٩) .
(٣) سورة القصص الآية (٨١) .

والمخدوعين به وبماله، الذي نسبه لنفسه ولذكائه في جمعه، وبذلك كانت قيامته ونهايته، وهي موعظة لمن أراد الموعظة والدواء الشافي لتلك السقطات التي تؤدي إلى ما آل إليه قارون وأمثاله، فهل يتعظ من أراد الموعظة ؟ .

في هذه الأمثلة دلالة واضحة إلى ما ذهبنا إليه والقارىء لكتاب الله العزيز والمتأمل له يجد في كل آية تعالج هؤلاء وأمثالهم أثرها من تلك الحكمة الربانية الخالدة .

أما قوله تعالى في بني إسرائيل الذي يدور محوره حول النهاية المؤكدة فيمكن أن نجدها في سورة الإسراء والتي تُسمى سورة بني إسرائيل أيضًا والتي تُعدُّ من الآيات التي أخبرت عن مستقبل اليهود حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[١] .

في نظرة مقارنة بين هذه الآيات والآيات التي تحدثت عن الجبابرة والظالمين المتقدمة نجد تشابهًا كبيرًا من حيث العلو والسقوط فهنا نرى سقوطًا بعد علو على أثر فساد في الأرض.

وقد جاءت هذه النبوءة في القرآن الكريم وقد شغلت علماء التفسير من الصحابة والتابعين، وتناولوها تفسيرًا وتحليلًا واختلفوا فيها، ويعود ذلك إلى أنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ تفسير أو تعليق حولها بل أخذها أصحابه ﷺ

(١) سورة الإسراء الآيات (٤-٥-٦-٧) .

كما هي دون تفسير، وربما يعود ذلك لوضوحها في وقتها، لذلك نجد بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وبعض التابعين قد فسروا هذه الآيات وأعادوا بعض أحداثها إلى الحقب القديمة لكونها كانت وانتهت وما تلك الآيات إلاَّ ذكرى وموعظة للمسلمين، وفي ذلك تكلف واضح وحصر للآيات في زاوية مغلقة وربما يكون في ذلك خطأ وسوف أستعرض بعضًا من تلك التفاسير: قال تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

قيل أن المقصود بالعباد بخت نصر .. وقيل جالوت الجزري ..وقيل سنحاريب من أهل نينوى[1] وقيل غيرهم[2].

أما من حيث تحديد الأرض المذكورة فقد اختلف العلماء أيضًا حولها فذهب البغوي في تفسيره[3] إلى أن المقصود بالأرض أرض الشام وبيت المقدس.

أما ابن الجوزي[4] فذهب إلى أن في الأرض ثلاثة أقوال:

القول الأول: فلسطين والأردن قاله ابن عباس.

القول الثاني: أرض وراء الصين قاله مقاتل،وهو رأي بعيد جدًا عن الواقع فلم نجد لهذا الرأي مؤيدًا من العلماء، فضلًا عن أن آراء العلماء تتحدث دائمًا عن أرض الشام وبيت المقدس.

القول الثالث: أرض مصر والشام، كما أن ذكر أرض مصر بعيد لأن الله أخرجهم منها فكيف تكون لهم أرضًا.

---

(١) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٣/ ٤٣٢.
(٢) ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٧؛ الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٢٠٩.
(٣) الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ١٠٦-١٠٧.
(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ٥/ ٩٥.

والأرجح أرض فلسطين وماحولها من بلاد الشام، لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾[1] ولم يطلق على أي بقعة مقدسة سوى مكة والمدينة وبيت المقدس وخطاب الله لهم كان للأرض المقدسة وهي فلسطين وماحولها لقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2] .

وفي هذه الآية إشارة واضحة إلى الترابط الوثيق والواضح بين إسراء رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس وفساد بني إسرائيل وعلوهم في الأرض التي قصد بها بيت المقدس وماحوله

أما ما ذهب إليه العلماء من أقوال حول العلوّين في الأرض فقد أعادوهما إلى حقب قديمة وقعت أحداثهما في بيت المقدس وانتهت، ومن يدرس تاريخ اليهود في كل حقبهم الذهبية أن صحت التسمية لا يجد لهم أي علو يستحق الذكر إلاّ في عهد أنبياء الله داود وابنه سليمان عليهما السلام وهذا أمرٌ لا شك فيه، وأما ما ذهب إليه علماء التفسير من أن العلو والفساد جاء بعد قتلهم للأنبياء ومن ثم إغارة بخت نصر أو غيره وسبيهم وينتهي هذا العلو ليعود بدورة أخرى وينتهي كما انتهى العلو الأول، فمتى كان لليهود دولة مسيطرة تعلو بسيادتها وتمتد بجذورها إلى جميع أنحاء المعمورة دون منازع ؟ فالوضع الصحيح أنه لم تكن لهم سيادة إلاّ في عهد نبي الله داود وابنه سليمان عليهما السلام كما تقدم لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[3] .

---

(١) سورة المائدة الآية (٢١) .
(٢) سورة الإسراء الآية (١) .
(٣) سورة صّ الآية (٣٥) .

وقد وصلت مملكة سليمان إلى سبأ في زمانها ودان له كل شيء من الجن والطير والريح قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾(٢) فهذه الحقبة يمكن أن يطلق عليها علو في الأرض، لا قتل للأنبياء والفساد في الأرض، فلو كان هذا هو المقياس لكان لكل قبيلة أو عشيرة أو قرية فساد بعد علو، فكل الحقب التاريخية منذ أن خلق الله آدم إلى أن يرث الأرض ومن عليها تمر حتمًا بالفساد والجبروت ومن ثم الهاوية والسقوط، لكن الله تعالى خصَّ علو اليهود بخصوصية ميّزت علوهم وفسادهم عن كل الكائنات البشرية السابقة واللاحقة وما ذلك إلاَّ لاختلاف مستوى العلو والفساد والسيادة، لأن فيها السيطرة المطلقة على العالم ومقدراته، وقد أشار صاحب كتاب مكايد يهودية عبر التاريخ(٣) بقوله: «وقد نظرت في تاريخ اليهود فلم أجد لهم علوًا كبيرًا في الأرض قبل علوهم في الوقت الحاضر إلاَّ مرة واحدة والذي كان أيام داود وسليمان عليهما السلام وأن علوهم في وقتنا الحاضر واضح وجلي فربما يكون هذا العلو الثاني».

وأضاف أن ما ذكره العلماء عن وعد الآخرة وتطبيقه على أحداث صغرى جرت في تاريخ اليهود لا يطابق النص القرآني من الفساد والعلو الكبير وأن الذي يتدبر النص بعمق يرى أنه ما زال ينتظر الواقع الذي ينطبق عليه،

(١) سورة النمل الآيتان (١٦، ١٧).
(٢) سورة الأنبياء الآية (٨١).
(٣) حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني، ط٦، (دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)، ص٤٦٢.

والوقائع التاريخية الكثيرة تشير وبقوة إلى يهود العصر فهم يسعون بكل ما أُوتوا من قوة لتهيئة ما يلزم لتنفيذ وعد الآخرة[١].

وأضيف إلى أن الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على نهاية اليهود آخر الزمان، وخروج نبيهم الدجال وسيطرته على الأرض جميعًا إلاَّ القليل منها وسوف تذكر في حينه، والتفاف اليهود حوله لكونه منهم ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله له ولليهود أتباعه في فلسطين، فيها من الدلالة الواضحة على العلو الثاني، فلو لم يكن كذلك فلما جاءت تلك الأحاديث مبينة ومخبرة عن تلك النهاية لهم في بيت المقدس وما حوله؟ .

ووعد الآخرة قد جاء ذكره في سورة الإسراء مرتين:

المرة الأولى في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[٢]

والمرة الثانية في قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[٣]

واللفيف في اللغة : ما اجتمع من الناس من قبائل شتى فيهم الشريف والدنيء والعاصي والمطيع والقوي والضعيف[٤]، وقال البغوي[٥] أن قوله تعالى : ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ أي من هنا وهناك.

---

(١) م، ن، ص٤٦٤ .
(٢) سورة الإسراء من الآية (٧) .
(٣) سورة الإسراء الآية (١٠٤) .
(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ٣١٨ .
(٥) البغوي، تفسير البغوي، ٣/ ١٤١ .

فالوعد في الحالتين واحد غير أن الآية الأولى تناولت الرجال الفاتحين الذين سوف يبعثهم الله تعالى للقضاء على علوهم وفسادهم وسيادتهم

أما الآية الثانية فهي تتناول اليهود وجمعهم من أنحاء الأرض بكل أصنافهم وألوانهم وأجناسهم، ومن أماكن انتشارهم إلى أرض ميعادهم في فلسطين[١] وبيت المقدس .

وكذلك تشير سورة الحشر على التجمع اليهودي في فلسطين قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[٢]، فقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ دل على أن له توابع لأن الأول لا يكون إلاَّ مع آخر وكان الأول في بني النضير[٣] والآخر ربما يكون عند تجمعهم في فلسطين عند خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام .

وهذا ما أشار إليه علماء التفسير من أن قوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾ يعني مجيء عيسى بن مريم عليه السلام بعد نزوله من السماء[٤] .

أما الزركشي فله الرأي نفسه وزاد عليهم ذكر الدجال حيث قال : من أنه قد وقع سؤال من جمع من الفضلاء فقالوا : ما الحكمة من أن الله لم يذكر الدجال في القرآن الكريم، فقال: إن في القرآن تعريضًا بقصته في قصة السامري وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾[٥] أما قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾

---

(١) حبنكة، مكايد يهودية عبر التاريخ، ص٤٦٢ .
(٢) سورة الحشر من الآية (٢) .
(٣) الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله (٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن. ط١ . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت : دار المعرفة، ١٣٩١هـ)، ١/ ٢٠ .
(٤) البغوي، تفسير البغوي، ٣/ ١٤١ ؛ ابن كثير، تفسير ابن كثير، ٢/ ٢٥٧ ؛ الألوسي، روح المعاني،٩/ ٨٤ .
(٥) سورة طه من الآية (٨٧) .

ففيه إشارة إلى خروج عيسى بن مريم عليه السلام(١) .

تشير هذه التفاسير إلى الرباط الوثيق بين المسيح الدجال وتبعية اليهود له، ونزول عيسى عليه السلام آخر الزمان للقضاء على الدجال وأتباعه من اليهود .

وعلى هذا فإني أعتقد أن يهود هذا العصر لا يشكلون العلو المطلوب، كما أخبرت عنه الأحاديث النبوية الشريفة، وربما يكون ممهدًا لعلو المستقبل وبناءً لأساسة والذي لا يكون إلاَّ مع خروج الدجال الذي يحقق تلك النبوءة لما يحملة من خوارق وسيادة مطلقة على جميع الأرض، إلاَّ من رحمها الله تعالى وأراد لها الطهارة .

كما أن سيطرة اليهود الحالية على فلسطين لن يكون مطلقًا، في هذا الزمن ولا في المستقبل سواء أكان قبل ظهور الدجال أم بعده، فالأحاديث الواردة حول الأمصار التي تكون بيد المسلمين عند علو اليهود مع زعيمهم الدجال، والتي سوف استعرضها في مبحث الدجال، تشير وبشكل واضح وجلي من أن بيت المقدس وبعض أجزاء فلسطين، سيكون تحت القيادة الإسلامية وفيه دلالة على أن دوام سيطرة اليهود في هذا العصر على بيت المقدس سوف ينتهي بشكل أو بآخر، ولست أدري متى سيكون، لكنه آت لا ريب فيه، ويجب أن لا نجزم الاعتقاد من دوام هذا الحال في فلسطين وما حولها لأن ؛ من يدبر الأمور وأمره بين الكاف والنون قادر على تغيير ما عجزت عنه أيدي الرجال وصدق القائل ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال .

وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٍ﴾(٢)

* * *

(١) البرهان في علوم القرآن، ١/ ٢٠ .

(٢) سورة هود من الآية (٨١) .

النبوءة الثالثة الدجال وعلو اليهود في الأرض

من المؤكد أن يكون لخروج الدجال أثره الكبير عند اليهود ؛ لأنه سوف يحمل رايتهم ويعلو بها إلى القمة الزائلة من خلال السيطرة على مقدرات البشر وإفساد عقائدهم، ونشره للرذيلة التي لا ينجو منها إلاَّ من رَحِمَهُ الله تعالى وثبته على دينه، وقبل الولوج في التفاصيل لا بد من التعريف به وبنسبه وأتباعه.

المطلب الأول: اسمه وصفته ونسبه

أولًا: **اسمه وكنيته**: ذهب بعض المحدثين كالقرطبي(١) على سبيل المثال إلى الاعتقاد بأن الدجال كان قد ولد في زمن النبي ﷺ من أب وأم يهوديين، وإن الصفات التي حدث بها رسول الله ﷺ حول صفته تنطبق تمامًا على ذلك المولود فقال: إن اسمه صاف ويكنى أبا يوسف، ويبدو لي إن هذا الاعتقاد فيه الكثير من التكلف، ولا سيما وإن هذا المولود قد يتعارض مع الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولته وتناولت المدن التي حُرِّمت عليه دخولها، وهو بلا شك كان قد وطئها زمن رسول الله ﷺ وقد أشار النووي(٢) إلى تلك الاعتقادات بقوله: يقال له ابن صياد أو ابن صائد، ويسمى صاف، وقال العلماء إن قصته مشكلة وأمره مشتبه فيه، هل هو المسيح الدجال الذي حدث عنه رسول الله ﷺ أم غيره؟ ولا شك من أنه دجال من الدجاجلة وأضاف العلماء أيضًا من أن ظاهر الأحاديث التي وردت بذلك تدل على أنه لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أُوحي إليه بصفات الدجال وقد كانت في

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥/ ٣٢٥ .

(٢) صحيح مسلم على شرح النووي. ط. ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ١٨/ ٤٦-٤٧

ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان النبي لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره قال لعمر: «**إن يكن هو فلن تستطيع قتله**»(١).

أما احتجاجه بأنه هو مسلم والدجال كافر وبأنه لا يولد للدجال، وقد ولد له بنون وأنه لا يدخل مكة والمدينة وإن ابن صياد هذا قد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة، فلا دلالة فيه لأن النبي إنما أخبر عن صفاته وفتنته والمكان الذي يخرج منه، ويدل على هذا الاشتباه قوله ﷺ: «**أتشهد أني رسول الله**»(٢)، وقول ابن صياد بأنه يأتيه صادق وكاذب وأنه يرى عرشًا فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال وأنه يعرف صفته وموضعه، وقوله: «**أني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وانتفاخه حتى ملأ السكة**»(٣).

أما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه فليس بصريح في الدجال، وأضاف أن السلف اختلفوا في أمره بعد كبره على أنه تاب من ذلك القول ومات في المدينة، وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه، حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا(٤)

وقد كان ابن عمر وجابر فيما روي أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه(٥).

قيل لجابر أنه أسلم فقال: وإن أسلم وقيل أنه دخل مكة وكان في المدينة، فقال وإن دخل، وقد كان جابر بن عبد الله حلف بالله تعالى أن ابن صياد هو

---

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ٢/١٤٨ .

(٢) البخاري، ٢/٩٦ .

(٣) مسلم، ٤/٢٢٤٦ .

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي، ٦/٤٢٧ .

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ١٠/١٠٩ .

الدجال، وأنه سمع عمر بن الخطاب يحلف على ذلك أيضًا، وأن رسول الله ﷺ لم ينكره[١]، وقد نقل صاحب تحفة الأحوذي[٢] قول البيهقي: بأن الناس قد اختلفوا في أمر ابن صياد اختلافًا كثيرًا هل هو الدجال قال: ومن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة وأنه يجوز أن توافق صفة ابن صياد، وصفة الدجال كما ثبت في الصحيح أن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن[٣] وليس هو، وقال: وقد كان ابن صياد فتنة ابتلى الله تعالى بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين، وأضاف أن ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي وقول عمر، ويحتمل أن رسول الله ﷺ كان كالمتوقف في أمره، ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح في حديث تميم الداري.

أما قصة تميم الداري كما روتها أم شريك[٤]: أنها سمعت نداء المنادي لرسول الله ينادي الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله فكنت في صف النساء، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، جلس على المنبر وهو يضحك فقال: (ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال: أتدرون لم جمعتكم) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلًا نصرانيًا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفؤا إلى جزيرة في**

---

(١) ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٣٢٥ .
(٢) المباركفوري، ٦/ ٤٢٧ .
(٣) البخاري، ٣/ ١٢٦٩؛ مسلم، ١/ ١٥٦ .
(٤) أم شريك: هي خولة بنت حكيم بن أمية السلمية امرأة عثمان بن مظعون ويقال لها خويلة بالتصغير، روت عن النبي وروى عنها سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب وغيرهم، وهي من النساء التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ٧/ ٦٢١ .

البحر حتى مغرب الشمس فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سمت لنا رجلًا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير فإنه فيه أعظم إنسان رأيناه خلقًا واشده وثاقًا، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حتى اغتلم فلعب بنا الموج شهرًا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبلها إلى أن قالوا: فأقبلنا إليك سراعًا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان[١]، قلنا عن أي شأنها تستخبر، قال أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم قال: أما يوشك أن لا يثمر، قال: أخبروني عن بحيرة طبرية، قلنا: عن أي شأنها تستخبر، قال: هل فيها ماء؟ قالوا: كثيرة الماء، قال: أما ماؤها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زغر[٢] قالوا: عن أي شأنها تستخبر، قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل، قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على ما يليه من العرب وأطاعوه، قال لهم: قد كان

---

(١) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين وبها عين فيها ملوحة يسيرة، الحموي، معجم البلدان، ١/ ٥٢٧ .

(٢) زغر: هي بحيرة يقال لها المقلوبة وهي غربي الأردن قرب أريحا وهي بحيرة ملعونة لا ينتفع بها في شيء، م . ن، ١/ ٣٥٢ .

ذلك؟ قلنا: نعم، قال: أما ذاك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني، إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية ألاَّ هبطتها في أربعين إلاَّ مكة وطيبة محرمتان عليَّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدة منهما، استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها، قالت أم شريك: قال رسول الله وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة، آلا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أُحدثكم عنه وعن المدينة ومكة».

ثانيًا: جنسيته ومكان خروجه: أخبر رسول الله ﷺ على أن الدجال يرجع إلى أبويين يهوديين، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك قائلًا: «**يخرج الدجال من يهودية أصبهان**»[(١)] . وفي رواية لمسلم: «. . **إنه يهودي**. . »[(٢)].

عن أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال من زفر أصبهان ومعه سبعون ألفًا من اليهود**»[(٣)]. وفي حديث لأبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أن الدجال يخرج من أرض يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة**»[(٤)].

وفي صحيح مسلم[(٥)]، أشار رسول الله ﷺ إلى جهة الشرق والذي يبدو لي

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٧٣ .

(٢) صحيح مسلم، ٤/ ٢٢٤٢ .

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٣٣٩ .

(٤) الحاكم، م. ن، ٤/ ٥٧٣؛ الحنبلي المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد (ت ٦٤٣هـ). الأحاديث المختارة. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط. ١ (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠هـ)، ١/ ١١٧ .

(٥) م. ن، ٤ / ٢٢٦٣ .

أنه لا تعارض بين هذين الحديثين، فربما يكون مولده في أصبهان لأن قول رسول الله ﷺ من أن الدجال يخرج من زفر أصبهان والمقصود من ذلك أهل أصبهان وساكنيها والذين هم من جنس اليهود.

أما الحديث الآخر من أن الدجال يخرج من خراسان، فالمقصود من ذلك أرض خراسان وأهلها أتباعه المؤمنون به، ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ في قصة تميم الداري بقوله من المشرق وكررها ثلاث مرات، بل وأشار إلى جهة المشرق التي يخرج منها لأن الجهة التي يخرج منها هي الشرق فأصبهان في جهة الشرق التي أشار إليها رسول الله ﷺ، وأصبهان كما ذكر مؤرخو المذهب أن أهلها قد انقسموا إلى ثلاث فرق فرقة اتبعت الزردشتية المجوسية وفرقة اتبعت النصرانية، وفرقة اتبعت الديانة اليهودية وهم بقايا اليهود من السبي البابلي، الذين أتى بهم بخت نصر بعد استيلائه على بيت المقدس، وقد اختاروا أصبهان لمشابهتها لبلادهم في الماء والهواء والمناخ، فاستقروا بها على ذلك، وسميت المحلة التي استوطنوها في أصبهان باليهودية[١].

ولادته: لولادة الدجال خصوصية أيضًا تختلف عن الحالة الطبيعية عند معظم الناس.

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال رسول الله ﷺ: «**يمكث أبوا الدجال ثلاثين عامًا لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور**»[٢].

---

(١) أبو الشيخ الأنصاري، محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان(ت ٣٦٩هـ). طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها. تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي. ط.٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ) ١/ ٥٥ .

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٥١٨ .

وصفة أبويه: «**أبوه طوال ضرب اللحم**»، أي طويل القامة[١] كثير اللحم، «**كأن كليهما منقار**»[٢]، «**وأمه فرضاخية**[٣] **طويلة اليدين**»[٤]، أي: أن أباه طويل القامة كثير اللحم طويل الأنف دقيقه وأمه ذات ثديين كبيرين ويدين طويلتين.

صفته: قد ورددت أحاديث كثيرة تناولت صفته وقد تناول كل واحد منها بيان جانب منها.

عن أبي هريرة ﵁ قال رسول الله ﷺ «..**أعور العين أجلى الجبهة**[٥] **عريض النحر دفاء**[٦]»[٧].

وعن عبادة بن الصامت قال رسول الله ﷺ: «**إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن مسيح الدجال رجل قصير أفحج**[٨] **جعد**[٩] **أعور مطموس**[١٠] **العين ليس بناتئة ولا جحراء**[١١]»[١٢].

---

(١) ابن الأثير، مبارك أبو الكرم (ت ٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث. تحقيق: طاهر أحمد الراوي، محمود محمد الطناحي. ط. ٥ (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)، ٢/ ١٣١.
(٢) منقار: الطويل المحدد الرأس، م. ن، ٣/ ٤٣٥.
(٣) فرضاخية: أي ضخمة عظيمة الثديين. م. ن، ٣/ ٤٣٣.
(٤) ابن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٤٩؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٣/ ٥١٨.
(٥) أجلى الجبهة: عريض الجبهة، ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ٤/ ١٤٥.
(٦) دفاء: انحناء، م، ن، ٢/ ١٢٦.
(٧) الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي (ت ٢٠٣هـ). مسند الطيالسي، (بيروت: دار المعرفة) ١/ ٣٠٣؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٣٤٦.
(٨) أفحج: متباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة، ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٣٤٠.
(٩) جعد: أي شعر رأسه كثير متكسر من التجعد، ابن الأثير، م، ن، ١/ ٣٣٢.
(١٠) مطموس العين: أي ممحوها، والطمس استئصال أثر الشيء، م، ن، ٣/ ١٣٩.
(١١) معناها ليست بصلبة متحجرة، م. ن، ١/ ٣٤٣.
(١٢) الحنبلي المقدسي، الأحاديث المختارة، ٨/ ٢٦٤.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال: «**أعور هجان**[١]**كأن رأسه أصلة**[٢]»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما إن رسول الله ﷺ قال: «**رجلٌ أحمر جعد الرأس أعور عين اليمنى..**»[٤].

أما صفة عينه: فقد سئل رسول الله ﷺ فقال: «**رأيته أقمر هجان**[٥]**إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري**[٦]**، وكأن شعر رأسه أغصان شجرة**»[٧].

وعن النواس بن سمعان الكلابي، إن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال: «**إنه شاب قطط**[٨] **عينه طافئة**[٩]»[١٠].

وعن عبد الله بن مغفل قال رسول الله ﷺ: «**ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق أدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أعظم من فتنة الدجال، وقد قلت فيه قولًا لم يقله أحد قبلي إنه آدم جعد الشعر ممسوح عين اليسار على**

---

(١) هجان: الأبيض، ابن الأثير، م. ن، ٥/ ٢٤٧.

(٢) كأن رأسه أصلة: الأفعى، وقيل هي الحية العظيمة الضخمة القصيرة الطول، والعرب تشبه الرأس الصغير الكثير الحركة برأس الحية، م. ن، ١/ ٥٢.

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٠٧.

(٤) مسلم، ١/ ٢٣٨.

(٥) الأقمر: هو الأزهر وهو المستنير، والزهر والزهرة البياض النيّر، ابن الأثير، م. ن، ١٢/ ٣٢١.

(٦) الكوكب الدري: الشديد الإنارة نسبة إلى الدر تشبيهاً بصفائه، وقال الفراء الكوكب الدري عند العرب هو العظيم المقدار، م، ن، ٢/ ١١٣.

(٧) الهيثمي، مجمع الزوائد، ١/ ١٦٨.

(٨) القطط: القصير، ابن منظور، لسان العرب، ٧/ ٣٨٠.

(٩) عينه طافئة: كأن عينه عنبة طافية: هي الحبة التي خرجت عن حد نبتة أخواتها فظهرت من بينها وارتفعت وقيل أراد به الحبة الطافية على وجه الماء شبه عينه بها، م ن، ٣/ ١٣٠.

(١٠)الترمذي. سنن الترمذي، ٤/ ٥١٠.

عينه ظفرة غليظة[١]»[٢].

وعن أبي كعب ﷺ قال رسول الله ﷺ: (الدجال عينه خضراء كزجاجة)[٣].

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إن عينه اليمنى ممسوحة الحدقة جاحظة فلا تخفى كأنها نخاعة وأن عينه اليسرى كأنها كوكب دري..**»[٤].

مما تقدم من هذه الأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت وصفه بالتفصيل إلى حد، لم تدع أي صفة فيه إلاَّ تناولتها بحيث جعلت من يسمعها كأنه ينظر إليه ويمكن أن أجمع تلك الصفات وأعبر عنها بما يأتي:

شاب قصير القامة جسيم كبير الرأس كثيرة حركته، عريض الجبين يمتاز بشعر أحمر طويل كثير التجعد، إلى حد يشبه أغصان الشجر، له انحناءة في الظهر بعيد ما بين الساقين، بشرته شديدة البياض مشرب بحمرة وعينه السليمة خضراء اللون وهي جاحظة عن مكانها المعتاد إلى حد خرجت عن موقعها بحيث أشبهت حبة العنب الطافية على وجه الماء، وهي شديدة الصفاء كالزجاجة الشديدة الإنارة.

أما عينه الأخرى فهي عوراء وكأنها استئصلت من مكانها بحيث أشبهت النخاعة، أو كاللحمة الشبيهة بالظفر. بحيث غطت عينه وجعلتها ممسوحة.

---

(١) الظفرة: هي اللحمة تنبت عند المآقي وقد تمتد إلى السواد فتغشيه، ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، ٣/ ١٥٨

(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد، ٧/ ٣٣٦.

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٠٦.

(٤) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٨١.

أما الصفة الأكثر دقة ما كتب على جبينه.

عن عمر بن ثابت أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ عندما حذرهم من الدجال بقوله: «**إنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن، وأنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت**»(١). وفي رواية: «**يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب**»(٢). وهو لا يعدو أن تكون حياته كسائر البشر على الرغم من أفعاله الخارقة للعادة.

عن عمران بن الحصين أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد أكل الطعام ومشى في الأسواق**»(٣).

ثالثًا: إمارات خروجه: لخروج الدجال إمارات تسبقه وتدل عليه، وقد ذكرها رسول الله ﷺ في كثير من أحاديثه، تجعل منها دلالة واضحة لا تخفى عن المتتبع لها.

عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**يكون أمام الدجال سنون خوادع يكثر فيها المطر، ويقل فيها النبت ويكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويؤتمن الخائن ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة قيل يارسول الله وما الرويبضة؟ قال: من لا يؤبه له**»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**للدجال آيات معلومات إذا غارت العيون ونزفت الأنهار واصفر الريحان وانتقلت مذحج**

---

(١) مسلم، ٤/ ٢٢٤٥.
(٢) م. ن، ٤/ ٢٢٤٧.
(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٨/ ٢.
(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٣٣٠.

وهمدان من العراق فنزلت قنسرين فانتظروا الدجال غادياأو رائحًا»(١).

يتبين من هذين الحديثين انقلاب القانون الكوني والفطري الذي فطر الله الناس عليها فالمطر يقابله النبات والزرع، وفي إمارة الدجال انعكاس القانون، هذه من ناحية الرزق أما من حيث الشخصية الفطرية فهي تنعكس إلى ضدها تمامًا.

أما المهمة الدينية الملقاة على كاهل الناس فهي أيضًا لها الحظ من تلك الإمارات.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ينشأ نَشيءٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قطع** »، قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلما خرج قرن قطع قالها أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالًا كلهم يزعم أنه رسول الله حتى يقبض المال وتظهر الفتن ويكثر الهرج**»، قالوا: وما الهرج يارسول الله؟ «**قال: القتل القتل**»(٤).

وعن حذيفة بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال: «**الدجال يخرج في بغض من**

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/٥٠٦ .

(٢) الكناني، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل (ت ٨٢٠هـ). مصباح الزجاجة. تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي. ط.٢ (بيروت: دار العربية، ١٤٠٣هـ)، ١/ ٢٦ .

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٣٣٥ .

(٤) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٨ .

الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين»[١].

أما الآيات الكبرى الدالة على خروجه وهي تشمل الحروب الكبيرة وخراب المدن ودمارها.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: «**عمارة بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال**»[٢]. وهذه الأحداث حددها رسول الله ﷺ بالسنين.

عن عبد الله بن بسر أن رسول الله ﷺ قال: «**بين الملحمة وفتح المدينة (القسطنطينية) ست سنين ويخرج الدجال في السابعة**»[٣]. وهناك أحاديث كثيرة جدًا حول هذه الإمارات، التي تشرح وبشكل مفصل الأحداث والحروب التي تسبق خروجه إلاَّ أنني اقتصرت على ما تقدم خشية الخروج عن الموضوع الرئيس للرسالة.

قدراته الخارقة للعادات: من المؤكد من الأحاديث النبوية الشريفة عن قدرات الدجال من أنه سيطأ الأرض جميعًا، عدا مكة والمدينة وبيت المقدس.

عن حذيفة بن أسيد أن رسول الله ﷺ قال: «**فتطوى له الأرض طي الكبش**»[٤].

وعن عبد الله بن مغفل أن رسول الله ﷺ قال: «**وإنه يبرئ الأكمه**

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٧٤.

(٢) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ (ت ٤٤٤هـ). السنن الواردة في الفتن. تحقيق: د. ضياء الله بن محمد إدريس المباركفوري. ط١. (الرياض: دار العاصمة، ١٤١٦هـ)، ٤/ ٨٨٦.

(٣) أبو داود، سنن أبي داود، ٤/ ١١٠، الداني، السنن الواردة في الفتن، ٦/ ١١٣.

(٤) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٧٤.

والأبرص ويحيي الموتى، ويقول: أنا ربكم»[١].

وقال رسول الله ﷺ في سرعته وقدرته ومكوثه في الأرض: «**قال: أربعين يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**» قلنا يارسول الله فما سرعته في الأرض قال: «**كالغيث استدبرته الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم ويصحون ليس بأيديهم شيء ثم يأتي القوم فيدعوهم فيستجيبون له ويصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت فتروح عليهم سارحتهم كأطول ما كانت ذرًا وأمده خواصر وأدره ضروعًا، قال: ثم يأتي الخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فينصرف منها فيتبعه كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلًا شابًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جذلتين، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما كذلك يخرج عيسى بن مريم بشرقي دمشق عند المنارة البيضاء بين مهرودتين[٢] واضعًا يديه على أجنحة ملكين**»[٣].

العصمة من الدجال: قد ذكر رسول الله ﷺ سلاحًا يقي المؤمنين من هذه الفتنة الكبيرة من قالها عصمه الله منه فمن كتاب الله:

عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»[٤]، وقيل من آخر الكهف[٥].

ومن السنة النبوية الشريفة:

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٣٣٦.
(٢) مهرودتين: أي في شقين أو حلتين، ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ٤٣٥.
(٣) الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٥١٠.
(٤) مسلم، ١/ ٥٥٥.
(٥) م، ن، ١/ ٥٥٦.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال**»(١).

اتباع الدجال: لا شك من أن اتباع الدجال الرئيسيين هم اليهود وكذلك النصارى ومشركو العرب والمجوس وما شابههم. وقد ذكر رسول الله ﷺ اليهود على اعتبارهم اتباعه في الكثير من أحاديثه.

عن عائشة أم المؤمنين ﷺ قالت: دخل علي رسول الله وأنا أبكي، فقال«**ما يبكيك؟**» فقلت يارسول الله ذكرت الدجال، قال: «**فلا تبكين فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه وإن مت فإن ربكم ليس بأعور وأنه يخرج معه اليهود فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان فيخرج شرار أهلها**»(٢).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: (يتبع الدجال من زفر أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة(٣))(٤).

أما الدجال في العهد القديم فهو كالمخلص الذي يخرج اليهود من استعبادهم ويقود بهم العالم، فقد ورد ذلك بقوله: «ابتهجي يا بنت صهيون واهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتيك عادلًا مخلصًا وديعًا راكبًا على حمار على جحش بن أتان سأقضي على مركبات الحرب في أفرايم والخيل وأقواس في أورشليم فيتكلم ملكك بالسلام ويكون سلطانه من البحر إلى

---

(١) البخاري، ١/ ٤٦٣ .
(٢) الهيثمي، موارد الظمآن، ١/ ٤٦٩ .
(٣) الطيالسة: هو نوع من اللباس ذو اللون الأخضر، ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٨ .
(٤) مسلم، ٤/ ٢٢٦٦ .

البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض»[١].

وقد نقل صاحب كتاب المسيح الدجال[٢] تفسيرًا لذلك نقلًا عن كتاب مواقف من تاريخ الكنيسة وكتاب العلاقة بين اليهودية والمسيحية ما قوله:

إن هذه النبوءة تتحدث عن قيادة ونصر وقدس، وتتحدث أيضًا عن مسيح يخلص اليهود من العبودية، لهذا عندما جاء المسيح ابن مريم في صورة قديس وحاول تخليصهم روحيًّا وخلقيًّا من شرور أنفسهم، ولم يظهر في صورة ملك يعيد لهم سلطانهم المفقود، أنكروه واضطهدوه وأبغضه رجال الدين اليهودي لأنه هزأ من قوانينهم، وكانوا يقولون: أليس هو يسوع المنتظر فلماذا لا يجمع الناس حوله ويخلص البلاد من ويلات الاستعمار، وبعد إنكارهم هذا ظلوا ينتظرون المسيح اليهودي الذي سيجعل من الأقلية اليهودية النخبة التي ترث الأرض وتحكم العالم.

وفي النص التوراتي أيضًا دلالات من السنة النبوية الشريفة، فقوله: «هوذا ملكك»، أي من نسل يهودي، وقد أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «.. **إنه يهودي**..»، أما قوله: «.. راكبًا على حمار..»، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يسخر له من المطايا إلاَّ الحمار**»[٣]

وأما قوله: «ويكون سلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض».

---

(١) سفر زكريا، ٩/١٢٣٩ .

(٢) سعيد أيوب، ص٣١ .

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٧٤ .

فقد قال رسول الله ﷺ: «..**وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح**»[١].

وقوله أيضًا: «**فتطوى له الأرض طي فروة الكبش**»[٢]، وعنه ﷺ: «**يدخل الأمصار كلها**»[٣] وعنه أيضًا: «**سوف يظهر على الأرض كلها إلاَّ الحرم وبيت المقدس..**»[٤].

وقد قال طانيوس منعم عن اليهود: «إنهم ينتظرون أميرهم قائد العصابات وسافك الدماء، كي ينقذ شعبه الخاص ويبني هيكل أورشليم ويعيد مملكة إسرائيل بناء لحق مزعوم وقد رفض المسيح هذه المملكة وتنبأ بخراب هيكلهم»[٥].

مما لاشك فيه إن اتباع الدجال كثيرون جدًا، ويضم جيشه فئات من جميع الأديان اليهودية والنصرانية ومن هم تحت تسمية الإسلام والمجوس وغيرهم ولو حلّلنا الأسباب التي دفعتهم لإتباعه، لوجدنا ما جاء به يرتبط بعقيدتهم القديمة ارتباطًا وثيقًا.

إن عقيدة النصارى تتوافق تمامًا مع الدجال ولم يأتها بأي جديد سوى شخص المسيح كما يدعون فهم يؤمنون بربوبية المسيح بن مريم الذي نزل ومعه الآيات الخارقة التي تحير فيها العقول وكانت سببًا لضلالهم وقلة عقولهم، بدلًا من أن تكون مقوية للأساس العقيدي عندهم وقد ذكر الله تعالى هذه الآيات بقوله: ﴿إِذْ

---

(١) مسلم، ٤/ ٢٢٤٧.
(٢) الحاكم، م. ن، ٤/ ٥٧٤.
(٣) الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٥٢١.
(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢/ ٢١٠.
(٥) سعيد أيوب، المسيح الدجال، ص٣٦.

قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾(١) .

وقوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢) .

وعلى هذا فليس غريبًا عليهم فمن آمن بربوبية عيسى بن مريم بسماع خوارقه فكيف لا يؤمن من يرى تلك الخوارق ويزيد عليها رؤية صاحبها رؤيا العين، بل ويدعي الربوبية الموافقة لعقيدتهم فقلوبهم كانت قد هُيئت لذلك وتدربت عليها نفوسهم منذ مئات السنين لا بل الآلاف، فالمسيح يحمل في جعبته خوارق هي بالنسبة إليهم تأييدٌ لإيمانهم السابق بألوهية المسيح عليه السلام، فضلًا عن ذلك فهو يدعى أنه المسيح وربما تعود تلك التسمية كي تربض في ضلالها النصارى أصحاب المسيح الرب، لذلك فالمسيح الذي ينزل آخر الزمان يقوم بأعمال إصلاح وتقويم اعوجاج الدين النصراني من كسر للصليب وقتل الخنزير وكذلك تقويم لبقية الملل الأخرى. وأما في مهمة عيسى بن مريم فما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قوله: «**وإنه يدق الصليب ويكسر الخنزير، ويفيض المال ويضع الجزية وأن الله يهلك في زمانه الملل كلها إلاَّ الإسلام، ويهلك الله المسيح الأعور الدجال**»(٣) . وعنه إن

---

(١) سورة المائدة الآية (١١٠) .

(٢) سورة آل عمران الآية (٤٩) .

رسول الله ﷺ قال: «**ليتزلن ابن مريم حكمًا عدلًا**»[١].

أما اليهود فهم أيضًا ينتظرون المسيح لكن مسيحهم ليس ابن مريم قطعًا الذي أنكروا نبوته وتكلموا فيه وبأمه قولًا عظيمًا قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[٢]، فالمسيح الدجال ليس بعيدًا عنهم أيضًا فقد سبق أن قالوا بربوبية عزير قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٣]، لذلك نرى أكثر أتباعه الذين التفوا حوله قد خرج منهم وجيشوا أنفسهم تحت لوائه وكثروا جمعه، لذلك فهم ينتظرون هذا المسيح الذي يوافق عقيدتهم المادية فبعض خوارق الدجال إخراج الكنوز والأموال والأرزاق، وهم بالطبع عبيد لها لا سيما أن هذا الدجال يستعملها للسيطرة على نفوس الجائعين والمحتاجين إليها، لذلك طابقت اعتقادات سادت عقولهم آلاف السنين، من أجل ذلك كان له المؤيدون والمؤمنون والتابعون.

أما بقية الطوائف فاتباعهم للدجال ينطلق من مفهومهم للبعد المادي في هذه الحياة، وابتعادهم عن الله لهذا يُخدعون بمجرد رؤية أفعاله لأن أيمانهم كأيمان اليهود والنصارى، إيمان مادي لا غيبي فالمعاينة عندهم هي أساس الإيمان والإتباع، فالدجال يتمتع بمهارات كبيرة تبرق لها العيون ولكن وعلى الرغم من كل تلك الضلالات التي يحدثها الدجال في عقائد الأمم، تكون هناك أمة مؤمنة آمنت بربها ووعت تحذيراته في الدجال وغيره، لهذا فهي الأمة التي تقف في خندق الإيمان، وتحت لواء المسيح عيسى بن مريم ومن قبله المهدي المنتظر.

---

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٢٣ .
(٢) البخاري، ٣/ ١٢٧٢ .
(٣) سورة النساء الآية (١٥٦) .
(٤) سورة التوبة الآية (٣٠) .

المطلب الثاني: معاركه

إن القدرات الكبيرة التي يتمتع بها الدجال، وقانونه الذي وضعه لنفسه من ادعائه الربوبية، جعلت من أنصاره وتابعيه يدينون له بالعبودية، وجعل منهم جيشًا كبيرًا يجوب الأرض حتى دانت له معظمها، ووصل إلى حد لم يصل إليه أي فاتح أو مستعمر، وقد ضم جيشه صنوفًا وألوانًا مختلفة من البشر، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن هؤلاء بقوله: «**يخرج الدجال عدو الله ومعه جنود من اليهود وأصناف الناس، معه جنة ونار ورجال يقتلهم ثم يحييهم**»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجال من زفر أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**»(٢).

وعن أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة(٣)**»(٤).

وقد عبر سعيد أيوب(٥) عن هذا الجيش ونوعية أسلحته بقوله: «والمجان المطرقة تعني التروس الغليظة، وهذه التروس تبدو واضحة في الأقنعة الواقية من الغازات السامة».

---

(١) ابن حماد، الفتن لنعيم بن حماد، ٢/ ٥٣٧ .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) المطرقة: أي الترس التي أُلبست، واطرق: الحديد يعرض ويدار فيجعل بيضة أو ساعداً أو نحوه، ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ٢٢٠ .
(٤) سبق تخريجه .
(٥) المسيح الدجال، ص٢٤٨ .

أراد بذلك أن الحروب القادمة التي سيخوضها الدجال ستكون حروبًا مدمرة حيث تستعمل فيها شتى أصناف الأسلحة، والله أعلم .

وفي الجانب الآخر المضاد للدجال وجيشه تكن القوات الإسلامية، التي غربلتها المحن واستخرجت كل ما ينفع فانضم إليها، إلى أن صار جيشًا أنموذجيًا في صفاء العقيدة وأصبح على أسس ثابتة متينة ممتدة جذورها لا تهزه سموم الدجل، وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ ذلك كما رواه عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بملتقى البحرين ومصر بالجزيرة ومصر بالشام، فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في عراض جيش ينهزم من قبل المشرق فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين فيصير أهلها ثلاث فرق فرقة تقيم وتقول نشامه وننظر ما هو ؟ وفرقة تلحق؟ بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ومعه سبعون ألفًا عليهم السيجان فأكثر أتباعه اليهود والنساء، ثم يأتي المصر الذي يليهم فيصير أهله ثلاث فرق، فرقة تقول نشامة وننظر ما هو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ثم يأتي الشام، فينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق فيبعثون بسرحًا لهم فيصاب سرحهم ويشتد ذلك عليهم وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد حتى أن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله**»[١] .

يشير سعيد أيوب[٢] إلى أنه سيكون للمسلمين ثلاث أمصار رئيسة حيث تكون قريبة من الصراع :

المصر الأول : يكون (بملتقى البحرين) وهو الواقع بين الخليج العربي

---

(١) ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ٧/ ٤٩١؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ٤/ ٢١٦؛ الحاكم، ، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٢٤ .

(٢) المسيح الدجال، ص٢٣٠ .

والبحر الأحمر.

المصر الثاني: هي شبه الجزيرة العربية بحدودها التي تقدم ذكرها.

المصر الأخير: هو مصر الشام ويضم الأردن وسوريا وفلسطين .

يكون القدس فقط تحت القيادة الإسلامية وقت خروج الدجال، أما الجزء الآخر فيكون تحت سيطرة المسلمين[(١)]، كما يقول رسول الله ﷺ: «**لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن، أنتم شرقيه وهم غربيه**»[(٢)].

ويشير الحديث الأول إلى المجاعة التي تصيب المسلمين فربما يكون ذلك ناتجًا عن حصار يفرضه الدجال على القوات والمدن الإسلامية المرابطة فيها جيوشهم، ويبدو إن لبلاد الشام ولمدينة دمشق بالخصوص، دورًا مهمًا في نهاية هذه الأحداث والقضاء على الدجال كما سيأتي.

* * *

(١) م، ن، ص٢٣٠ .
(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٧/ ٣٤٩ .

النبوءة الرابعة: نزول عيسى بن مريم عليه السلام والنهاية الحتمية لليهود

يُعدُّ المسيح بن مريم عليه السلام الحلقة الأخيرة في سلسلة هذا الفصل، ومن المعلوم أن المسيح نبي من أنبياء بني إسرائيل وهو من أولي العزم وكتابه الإنجيل، وقد أظهرت حياته القصيرة التي عاشها بين أظهرهم، صدَّ قومه ونفورهم وجحودهم لدين الله، فكما هي طباع اليهود التي فطروا أنفسهم عليها مع أنبيائهم، فقد وقفوا من المسيح موقف اتهام لأمه منذ كان في المهد قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾(١).

وعلى الرغم من الآيات البينات التي أيده الله بها منذ أن أوجده الله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢)، ولم تكن هذه الآيات تجد أثرها في قلوبهم بل على النقيض منها تمامًا، فقد وقفوا منه موقف المحارب والمتآمر على حياته، وخير تعبير عن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾(٣).

وانتهت مهمته الأولى بعد أن رفعه الله تعالى إليه، لكن الله أناط به مهمة أخرى أرجأها إلى ما قبل قيام الساعة والمسلمون على مذاهبهم كافة يؤمنون بنزوله عليه السلام، ليقتل الدجال وينشر الإسلام ولا يقبل بغيره، مصداقًا لقول

---

(١) سورة النساء الآية (١٥٦).
(٢) سورة آل عمران الآية (٤٦).
(٣) سورة النساء الآية (١٥٧).

رسول الله ﷺ: «**يدق الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال ويضع الجزية وأن الله يهلك في زمانه الملل كلها إلاَّ الإسلام ويهلك الله المسيح الدجال الأعور الكذاب..**»(١)

إن الذين آمنوا بالمسيح يؤمنون برجوعه وقد جاء ذكر ذلك في الكتاب المقدس: «وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون سأله تلاميذه على انفراد: أخبرنا متى يحدث هذا الخراب وما هي علاقة مجيئك وانقضاء الدهر»(٢). وقد أخبرهم عيسى بن مريم عن علامات تسبقه وتؤدي إلى خروجه: «فأجابهم يسوع: انتبهوا لئلا يضلكم أحد، سيجيء كثير من الناس منتحلين اسمي، فيقولون، أنا هو المسيح ويخدعون كثيرًا من الناس وستسمعون بالحروب وبأخبار الحروب فإياكم أن تفزعوا فهذا لا بد منه ولكنها لا تكون هي الآخرة، ستقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيرة وهذا كله بدء الأوجاع»(٣).

وحول هذه الأحداث يشير إليها رسول الله ﷺ بقوله: «**وتصيبهم مجاعة وجهد حتى أن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ ناداهم مناد من السحر يا أيها الناس أتاكم الغوث فيقول بعضهم لبعض: إن هذا الصوت لرجل شبعان فينزل عيسى بن مريم صلاة الفجر**»(٤) ويحذر أتباعه من الانخداع والسير وراء الدجال على أمر مبين وبشكل مفصل: «**فإذا قال لكم أحد هاهو المسيح هنا أو هاهو هناك فلا تصدقوه، فسيظهر مسخاء دجالون**

---

(١) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٣٣ .

(٢) العهد الجديد، متى، ٢٤/ ٣ .

(٣) متى، ٢٤/ ٤-٥-٦-٧ .

(٤) ابن حنبل، مسند ابن حنبل، ٤/ ٢١٦؛ الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٢٤ .

وأنبياء كذابون يصنعون الآيات والعجائب العظيمة ليضلوا إن أمكن حتى الذين اختارهم الله»(١).

تشير هذه الفقرة وبشكل واضح إلى ذكر المسيح الدجال ووصفه له بالمسخ وهذه الصفة التي أشار إليها رسول الله ﷺ بعشرات الأحاديث عن صفة الدجال وما معه من القدرات الخارقة للعادة. وعندما سألوه عن زمن رجوعه أعاد ذلك إلى الله تعالى فقال: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد لا ملائكة السماوات ولا الابن إلاَّ الأب وحده»(٢) . وفي ذلك دلالة على رجوع المسيح مقرونة بعدم علمه بوقت رجوعه، وأعاد ذلك كله إلى الله وحده، وقوله أيضًا: «فاسهروا لأنكم لا تعرفون أي يوم يجيء ربكم واعلموا أن رب البيت لو عرف في أية ساعة من الليل يجيء اللص، لسهر وما تركه ينقب بينته فكونوا أنتم على استعداد لأن ابن الإنسان يجيء في ساعة لا تنتظرونها»(٣).

هذه الدلائل واضحة المعالم تمامًا وفي مجموعها شهادة على نزول عيسى بن مريم عليه السلام آخر الزمان ومؤيدة بعلامات تسبقه وقد أشارت عشرات الأحاديث التي ذكرها رسول الله ﷺ وقد تقدم ذكرها فضلًا عن تلك الآيات البينات في كتاب الله العزيز.

صفته: وقد كان رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليس بيني وبينه نبي وإنه نازل إذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين**(٤)**كأن رأسه**

(١) متى، ٢٤/٢٣ .
(٢) متى، ٢٤/٣٦
(٣) متى، /٤٢-٤٣-٤٤ .
(٤) ممصرة: أي متفرقة، ابن منظور، لسان العرب، ٥/١٧٦ .

يقطر وإن لم يصبه بلل»[١].

مكان نزوله: من إكرام الله تعالى لأمته أن يكون لجميع أمصار الإسلام مكانتها في نصر الإسلام، فعبر العصور امتازت كل مدينة أو عشيرة بميزة امتدحها رسول الله ﷺ ومن تلك المدن التي خصّها رسول الله كانت مدينة دمشق لكونها مهبط المسيح وإحدى المراكز القيادية للمهدي المنتظر، فقد روى أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ قوله: «**فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**ستفتح عليكم الشام فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فإنها خير مدائن الشام وهي معقل المسلمين من الملاحم، وفسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور**»[٣]. ويكون نزوله في وقت ضائقة كبيرة تصيب المسلمين، فالحروب الكبيرة قد حصدت الألوف من المسلمين، والمجاعة الشديدة التي تصيبهم وخروج الدجال وفتنته التي تصيب جميع سكان الأرض التي تطوى له إلاَّ ما رحم الله، ومن بين تلك الامتحانات الشديدة يخرج الفَرَجُ ويكون نزول عيسى بن مريم عليه السلام.

وقد ذكر رسول الله ﷺ حول ذلك برواية جابر بن عبد الله قال: أن رسول الله ﷺ أشرف على فلق من أفلاق الحرة ونحن معه فقال: «**نعمت الأرض المدينة إذا خرج الدجال على كل نقب من أنقابها ملك لا يدخلها فإذا كان**

---

(١) أبو داود، سنن أبي داود، ٤/ ١١٧؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٣٣ .

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، ٤/ ١١١؛ ابن قدامة، المغني، ٩/ ١٦٩ .

(٣) ابن عساكر،أبو الحسن علي بن حسن(ت ٥٧١هـ). تاريخ مدينة دمشق. تحقيق: علي شيري .(بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)، ١/ ٢٣٩ .

كذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة إلاَّ خرج إليه وأكثر من يخرج إليه من النساء وذلك يوم التخليص يوم تنقي المدينة الخبث كما ينقى الكير من خبث الحديد، يكون معه سبعون ألفًا من اليهود على كل رجل منهم ساح وسيف محلى فيضرب قبته بهذا الضرب الذي بمجتمع السيول»[١]، في هذا الحديث إشارة إلى محاولة اليهود إعادة أمجاد أجدادهم الذي انتهى على يد رسول الله وأصحابه.

وبعد المدينة يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم، ويكون المسلمون يومئذ معتصمين بذروة جبل من جبال الشام فيحاصرهم الدجال نازلًا بأصله حتى إذا طال عليهم البلاء، قال رجل من المسلمين: حتى أنتم متى هكذا وعدو الله نازل بأصل جبلكم هذا هل أنتم إلاَّ بين إحدى الحسنيين بين أن يستشهدكم الله أو يظهركم، فيتبايعون على الموت في سبيل الله بيعة، فعلم الله أنه الصدق من أنفسهم، ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر امرؤ فيها كفه فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيحسر عن أبصارهم فيقولون له من أنت ياعبد الله، فيقول: أنا عبد الله ورسوله وروحه وكلمته عيسى بن مريم اختاروا بين إحدى ثلاث بين أن يبعث الله على الدجال وعلى جنوده عذابًا من السماء، أو يخسف بهم الأرض أو يسلط عليهم ويكف سلاحهم عنكم، فيقولون هذه يارسول الله أشفى لصدورنا ولأنفسنا فيومئذ يرى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده سيفه من الرعدة فينزلون إليهم فيسلطون عليهم)[٢] .

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٣/٣٠٨ .

(٢) الروياني، ، مسند الروياني، وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسطإلى أن قال : ورجاله رجال الصحيح، ٢/٢٩٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢/٢٢٨؛ المقدسي، محمد بن عبد الواحد بن أحمد ٤٣هـ). فضائل بيت المقدس. تحقيق: محمد مطيع الحافظ. ط.١ (سورية: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)، ١/٦٦ .

ويكون الدجال آنذاك محاصرًا المسلمين في بيت المقدس، وإمام المسلمين يومئذ رجل صالح فيقال له: صل الصبح، فإذا كبر ودخل في الصلاة نزل عيسى بن مريم عليه السلام، فإذا رآه الرجل عرفه فيرجع يمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه، ثم يقول: صل فإنما أُقيمت الصلاة لك فيصلي عيسى وراءه، فيقول: افتحوا الباب فيفتح ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو ساج وسيف محلى فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص في النار وكما يذوب الملح ثم يخرج هاربًا، فيقول عيسى: إن لي فيك ضربة لن تفوتني)[١].

(وسلط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم)[٢]، وقد ذكر رسول الله ﷺ بقوله: **«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يامسلم ياعبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلاَّ الغرقد[٣] فإنه من شجر اليهود»**[٤].

(فينطلق (عيسى) حتى يدركه باب لد[٥] فيقتله)[٦]، وبعد ذلك يتم القضاء على جميع اليهود.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة**

(١) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٢/ ٢٢٥ ؛الروياني، مسند الروياني، (مطبعة : دار الكتب العلمية، ١٩٩٧)، ٢/ ١٩٩-٢٠٠

(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٣٦ .

(٣) الغرقد: نبات شوكي يكون بناحية القدس، ابن عساكر، م، ن، ٢/ ٢٢٥ .

(٤) البخاري، ٣/ ١٠٧٠؛ مسلم، ٤/ ٢٢٣٩ .

(٥) لد: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين، الحموي، معجم البلدان، ٥/ ١٥ .

(٦) ابن ماجة، مسند ابن ماجة، ١/ ٤٦٨ .

خير من الدنيا وما فيها»(١).

ويكون مكوث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة، فعن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ قال: «**يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلًا مقسطًا**»(٢)، وتتبدل الأحوال التي كانت إلى الأمن والأمان كما وصفها رسول الله ﷺ بقوله: «**ويلقي الله الأمنة حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر والبقر والذئاب مع الغنم ... ولا يضر بعضهم بعضًا، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون**»(٣).

ومن خلال نظرة مقارنة بين مكوث المسيح بن مريم عليه السلام في الأرض، وبين بقاء المسيح الدجال يمكن أن نجد بينهما فرقًا شاسعًا في الزمن، فالدجال يكون بقاؤه في الأرض أربعين يومًا، وقد أشار رسول الله ﷺ عندما سُئل عن ذلك وما لبثه في الأرض، قال: «**أربعون يومًا يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم**»(٤)، أما عيسى بن مريم فيمكث في الأرض أربعين سنة.

وربما يشير هذا الفرق الواسع من الزمن الطويل بينهما إلى أن إضلال الناس يكون بشهواتهم وإفسادهم ولا يحتاج إلى كثير عناء، إذا عُلم أن صاحب تلك الشهوات رجل معه منها الكثير ويملك من القدرات التي تسيل لها لعاب ضعفاء العقيدة وعبيد الشهوات، وهذه النماذج كثيرة ولم تكن بعيدة عنها قبل ظهور الدجال، ولهذا لم يُكلِّف الدجال إضلالهم قليل جهد، بل دعاهم فأجابوا، لذلك نرى أن الحقبة الزمنية القصيرة قد حققت قفزات ضلالية نوعية

---

(١) البخاري، ٣/ ١٢٧٢؛ مسلم، ١/ ١٣٥.

(٢) الهيثمي، موارد الظمآن، ١/ ٤٦٩.

(٣) ابن حبان، صحيح ابن حبان، ١٥/ ٢٢٣.

(٤) مسلم، ٤/ ٢٢٥٢؛ الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤/ ٥٣٨.

كبيرة جدًا امتدت إلى طول الأرض وعرضها، إلاَّ ما رحم الله على حين أن بقاء عيسى بن مريم استمر بعد نزوله أربعين سنة ؛ لأن إعمار ما أُفسد يتطلب بناءًا رصينًا حتى يمكث ويصبح من الثوابت، الذي لا تهزه الأزمات ويكون نتاجه إحلال الأمن والسلام إلى ربوع بلاد المسلمين، فضلًا عن انتشار الإسلام وإيصال دعوته إلى بقاع الأرض، ولن يقبل بغيره بعد أن تُوِّج بالقضاء على شعب المفسدين.

الخاتمة

بعد أن تم بفضل الله تعالى هذا البحث الذي يتناول تاريخ اليهود بقليل من التفصيل، وقد اقتصرت على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وبعض الكتب التاريخية والسيرة النبوية وربما خرجت عنهم في بعض الروايات القليلة التي تناولتها في ذكر بعض اسمائهم وغير ذلك، والتفنيد للكثير من هذه الروايات التي اعتمدها القدماء، ويمكن ارجاع هذه الأسباب إلى غزارة الروايات الإسرائيلية التي تسللت إلى كتب التاريخ والسير، ويعود ذلك إلى عدم وجود بيانٍ شافٍ من قبل النبي ﷺ أو مصادر محايدة، لذلك عكف غالبية العلماء والمؤرخين على اشباع ما نقص من معلوماتهم حول تلك الحقب إلى الروايات الإسرائيلية نحو ذكر عدد الخارجين من بني إسرائيل على سبيل المثال لا الحصر، فضلًا عن روايات أخرى تناولت هجراتهم وأسبابها إلى غير ذلك، وإلى جانب كل ذلك الروايات التاريخية في التوراة التي تناولت الكثير من تلك القصص والأدعاءات التي أخذها المؤرخون على عللها بلا تحليل أو تمحيص.

أما أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث فيمكن اجمالها بنقاط كالأتي:

١- لا يمكن القول بنقاوة العرق اليهودي وإعادته إلى نبي الله يعقوب، فأغلب الروايات التاريخية تنفي هذا النقاء، وإن خروج بني إسرائيل من مصر كان قد ضم تحت لوائه جنسيات شتى وخروجهم كان لأسباب عصفت بهم ودعت إلى خروجهم مع موسى، أما الذين يعودون إلى نبي الله يعقوب عليه السلام من نسل أسباطه فهم من القلة بحيث لا يشكلون إلاَّ أعدادًا محدودة.

٢- يمكن القول أن اليهود قد ذابوا في المجتمعات التي استوطنوا فيها من خلال الزواج من تلك الشعوب أو تزويجهم، وبذلك كان ضياع وتجزؤ ذلك

الشعب، بحيث لم يبق من نسل يعقوب عليه السلام أي ذكر.

٣- أكدت الروايات التاريخية وبشكل علمي عدم وجود علاقة دينية بين نبي الله يعقوب وقوم موسى، فلكل حقبة استقلالها من حيث النبوة ولا يربط بينهما إلاَّ توحيد الخالق العظيم جل جلاله.

٤- تعدد الفرق في الديانة اليهودية، وبشكل يفقد بعضها الترابط الديني في بديهيات جوهرها، كنكران لبعض الأنبياء والتوجه في صلاتهم كلًا حسب قناعته التي توصل إليها وغيرها من المعتقدات.

٥- اعتراف بعض الفرق اليهودية بنبوة الرسول ﷺ وتحديدها بالعرب دون غيرهم، قصدوا بذلك منع اعتناقها من قبل غير العرب.

٦- كان الهدف من وراء إقامة اليهود وهجرتهم إلى جزيرة العرب خروج النبي من الجنس اليهودي، وبذلك يكون لهم ختم النبوة ولم تخرج عنهم.

٧- الدعوة لليهودية في شبه الجزيرة العربية لم تكن لها قواعد، أو ناصرون بين أهلها، لذلك يمكن عدّ اليهود وديانتهم متقوقعة على نفسها.

٨- العلاقات بين اليهود والمسلمين قبل ظهور الإسلام تقوم على الأمور المادية والتعاملات التجارية.

٩- إقامة اليهود في شبه الجزيرة العربية تولد عنها تأثيرات ثقافية بين الجانبين، فأثرت وتأثرت.

١٠- كان للنزاع العربي اليهودي في المدينة أثره الإيجابي في إيمان الأوس والخزرج، من خلال ذكر اليهود للنبي المنتظر.

١١-فشل الجهود الدعوية الكثيرة التي بذلها رسول الله ﷺ وصحابته واتباعه مع اليهود وقد استمرت إلى وقتنا الحالي.

١٢- شذوذ النفسية اليهودية عن الفطرة البشرية من خلال المؤامرات وقتل الأنبياء وبأفضليتهم على البشر والسيادة على العالم.

١٣- يمكن عدّ اختراق جدار العقيدة اليهودية من الأمور الصعبة جدًا ؛ بسبب كثرة محاولات رسول الله ﷺ معهم في ذلك وتعددها وتنوعها .

١٤- يمكن عدّ أحبار اليهود هم السبب الرئيس والمباشر في ضياع شعوبهم في عدم إيمانهم وتأثيرهم المباشر عليهم.

١٥- لا يمكن الجزم أن المعاملات الحسنة قد تؤتي ثمارها وتعود عليهم بالإيمان.

١٦- تُعدُّ الأساليب التآمرية التي أوجدها أجداد اليهود على عهد رسول الله ﷺ ممتدة جذورها إلى قيام الساعة مع اختلاف وسائلها.

١٧- تُعدُّ بعض الفرق الباطنية الغالية هي امتدادًا يهوديًا كان مؤسسوها ممن اعتنقوا الإسلام زمن رسول الله ﷺ نفاقًا وهي تهدف في جملتها إلى هدم الإسلام.

١٨- اليهود أمة ذات أهداف متعددة تصب جميعها في هدف واحد هو إثارة الحقد والفتن والحروب بين الناس، كي يُقاتل عنهم بالنيابة.

١٩- يُعدُّ اليهود من أنجح الشعوب في الوصول إلى غاياتهم لقدراتهم الكبيرة على التخطيط في الوصول إلى مبتغاهم.

٢٠- تُعدُّ الحرب الوقائية التي شنها رسول الله ﷺ من إخماد نار الفتنة في مهدها، وإجلاء من تآمر منهم من الوسائل الأكثر نجاحًا، ويمكن أن يكون رسول الله ﷺ السبّاق في هذا الأمر.

٢١- إن النبوءات الدينية والتاريخية التي تحدثت عن مستقبل اليهود قد تحقق

منها الكثير وهي تنتظر حلقاتها الأخيرة، مع خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ونهاية اليهود في فلسطين، من خلال الأحاديث النبوية الشريفة والنصوص الدينية في العهد القديم والجديد.

المصادر والمراجع

❑ القرآن الكريم.

❑ الكتاب المقدس.

❑ الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح (ت ٨٥٠هـ) المستطرف في كل فن مستظرف تحقيق: محمد مفيد محمد قميحة ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)

❑ ابن الأثير، مبارك أبو الكرم (ت ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحيط٥ (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م)

❑ ابن الأثير، محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي ط٢ . (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م)

أحمد، سوسة مفصل العرب واليهود في التاريخ ط٥ (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨١م)

❑ ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت١٥١هـ) سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث تحقيق: محمد حميد الله، (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب)

❑ الإسفراييني، طاهر بن محمد(ت ٤٧١هـ) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين تحقيق: كمال يوسف الحوت (بيروت: عالم

الكتب، ١٩٨٣م)

الأصبهاني، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ) الأغاني تحقيق: سمير جبر ط٢ (بيروت: دار الفكر)

❑ الألوسي، محمود أبو الفضل (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (بيروت: دار إحياء التراث العربي)

❑ باشميل، محمد أحمد،

أ-غزوة خيبر ط٥ (دار الفكر، ١٣٩هـ، ١٩٧٩م)

ب- غزوة بني قريظة ط٣ (دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)

❑ البخاري، محمد بن إسماعيل(ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري (بيروت: دار الفكر)

❑ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) فتوح البلدان (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٩هـ)

❑ البغوي،الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد (٥١٦هـ) معالم التنزيل ط٢ تحقيق: خالد العك -ومروان سوار (بيروت : دار المعرفة،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)

❑ ابن بنين، تقي الدين المصري، أبو الربيع، سليمان بن خلف بن عوض، (٦١٤هـ) اتفاق المباني وافتراق المعاني تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر (عمان: دار عمار ١٩٨٥م)

❑ البيضاوي، (ت٧٩١هـ) تفسير البيضاوي تحقيق: عبد القادر عرفات، العشا حسونة (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ،١٩٩٦م)

❑البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ) السنن الكبرى

(بيروت: دار الفكر)

❑ ابن التركماني، علاء الدين المارديني (ت ٧٤٥هـ) الجوهر النقي (المطبعة، الناشر: دار الفكر)

❑ الترمذي، محمد ين عيسى (ت ٢٧٩هـ) سنن الترمذي تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف(بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ)

❑ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت ٧٢٨هـ)

أ-كتب ورسائل ابن تيمية تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي (مكتبة ابن تيمية)

ب_ الصارم المسلول على من شتم الرسول تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودري ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧هـ)

❑ الجراحي، إسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)،كشف الخفاء تحقيق: أحمد قلاش ط٤(بيروت: مؤسسة، ١٤٠٥هـ)

❑ الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الأثر تحقيق: طاهر أحمد الراوي، محمود محمد الطناحي(بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ،١٩٧٩م)

❑ ابن جعفر، عبد الله بن محمد الأصبهاني أبو محمد (. ٣٦٩هـ)

❑ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ط١(بيروت، بغداد: دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م)

❑ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)،

أ-زاد المسير في علم التفسير ط٣ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ)

ب- تلبيس إبليس تحقيق: السيد الجميليط١ (بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

ج- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم حتى ٢٥٧ط١= =بيروت: دار صادر، ١٣٥٨هـ)

❑ حاجي، خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤١٣هـ، ١٩٩٢م)

❑ الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري(ت ٤٠٥هـ) المستدرك على الصحيحين تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م)

❑ ابن حبان، محمد بن أحمد أبو حاتم التميمي السبتي (ت ٣٥٤هـ)

أ- الثقات تحقيق: السيد شرف الدين أحمدط١(دار الفكر: ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م)

ب-صحيح ابن حبان تحقيق: شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)

❑ ابن حبيب،الحسن بن عمر(ت ٧٧٩هـ)، المقتفى من سيرة المصطفى،تحقيق:د مصطفى محمد حسين الذهبي(القاهرة:دار الحديث،١٩٩٦م)

❑ ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)

أ- فتح الباري شرح صحيح البخاري ط٢ (بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر)

ب- تلخيص الحبير (الطباعة والنشر دار الفكر)

ت- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ، ١٩٩٩٢م)

ث- العجاب في بيان الأسباب تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيسط١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٩٩٧م)

❑ حداد، د مهنا يوسف الرؤية العربية لليهودية، (الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)

❑ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد(ت ٤٥٦هـ)

أ-المحلى تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الفكر)

ب-الفصل في الملل(القاهرة: مكتبة الخانجي)

❑ الحلبي، علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٠هـ)

❑ ابن حماد، نعيم المروزي أبو عبد الله(ت ٢٨٨هـ) الفتن لنعيم بن حماد تحقيق: سمير أمين الزهيري ط١ (القاهرة: مكتبة التوحيد، ١٤١٢)

❑ الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان (بيروت: دار الفكر)

❑ ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله (ت ٢٤١هـ)

أ- مسند أحمد (مصر: مؤسسة قرطبة)

ب-- مسائل الإمام أحمد تحقيق: فضل الرحمن بن محمدط١ (دلهي: الدار العلمية، ١٩٨٨م)

❑ الحنبلي المقدسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد (ت ٦٤٣هـ) الأحاديث المختارة تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ط١ (مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤١٠هـ)

❑ حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني مكايد يهودية عبر التاريخ ط٦ (دمشق: دار القلم، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)

❑ ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري (ت ٢٣٣هـ) صحيح ابن خزيمة تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م)

❑ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣هـ) تاريخ بغداد (بيروت: دار الكتب العلمية)

❑ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ) مقدمة ابن خلدون ط٥ (بيروت: دار القلم، ١٩٨٤م)

❑ ابن خياط، خليفة الليثي أبو عمر (ت ٢٤٠هـ) تاريخ خليفة بن خياط تحقيق: د أكرم ضياء العمري ط٢ (دمشق-بيروت: دار القلم- مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ)

❑ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت ٢٥٥هـ) سنن الدارميتحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)

❑ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ (ت ٤٤٤هـ) السنن الواردة في الفتن تحقيق: د ضياء الله بن محمد إدريس المباركفوريط١(الرياض: دار

العاصمة، ١٤١٦هـ)

❑ أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥هـ) سنن أبي داود تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد(بيروت: دار الفكر)

❑ الرافعي، عبد الكريم بن محمد (ت٦٢٣هـ) فتح العزيز في شرح الوجيز (بيروت: دار الفكر)

❑ ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٠هـ) جامع العلوم والحكم ط١ (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ)

❑ رشدي عليان، وأدسعدون الساموك، الأديان دراسة تاريخية مقارنة (جامعة بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م)

❑ الروياني، محمد بن هارون أبو بكر(ت ٣٠٧هـ) مسند الروياني تحقيق: أيمن علي أبو يماني ط١ (القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤١٦هـ)

❑ الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله (٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١هـ)

❑ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي بن يوسف(ت ١١٢٢هـ)

أ- شرح الزرقاني ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)

ب- مناهل العرفان في علوم القرآن تحقيق: مكتب البحوث والدراسات ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م)

❑ الزهري، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر)

❑ السرخسي، شمس الدين (ت ٤٨٣هـ) المبسوط تحقيق: جمع من الأفاضل (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٦هـ)

❑ سعيد أيوب المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى (القاهرة: دار الأعتصام)

❑ ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) طبقات فحول الشعراء تحقيق: محمود محمد شاكر (جدة: دار المدني)

❑ ابن سلمة، عبد الملك (ت ٣٢١هـ) شرح معاني الآثار تحقيق: محمد زهري النجار ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية)

❑ سنقراط، داود عبد الغفور جذور الفكر اليهودي ط١ (عمان: دار الفرقان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م)

❑ السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت ٥٨١هـ) الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام تحقيق: مجدي منصور الشورى ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)

❑ السيوطي، جلال الدين (ت٩١١ هـ)

أ-المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحقيق: فؤاد علي منصور (بيروت: دار الكتب العلمية)

ب--الدر المنثور (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٣م)

ج- شرح سنن النسائيتحقيق: عبد الفتاح أبو غدةط٢(بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)

د- طبقات الحفاظ ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)

هـ- كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م)

و-تاريخ الخلفاء تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ط١ (مصر: مطبعة السعادة، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م)

ز- لباب النقول في أسباب النزول، (بيروت: دار إحياء العلوم)

❑ سيد قطب، في ظلال القرآن ط١(القاهرة: دار الشروق ١٩٨١م)

❑ الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)

أ-الأم تحقيق: محمد زهري النجار ط٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٣هـ)

ب-أحكام القرآن،تحقيق:عبد الغني علب الخالق(بيروت:دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ)

❑ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت ٤٥٨هـ) الملل والنحل تحقيق: محمد سعيد كيلاني (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ)

❑ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (بيروت: دار الفكر)

❑ ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ) مصنف ابن أبي شيبة تحقيق: كمال يوسف الحوت ط١ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)

❑ أبو الشيخ الأنصاري، محمد بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان (ت ٣٦٩هـ)

أ-طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها تحقيق: عبد الغفور عبد الحق

حسين البلوشي ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ)

ب-عظمة الله ومخلوقاته تحقيق: رضا الله بن محمد إدريس المباركفوري ط١(الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ)

ج- أخلاق النبي ﷺ وآدابه تحقيق: د صالح بن محمد الوقيات ط١ (الرياض: دار المسلم، ١٩٩٨م)

❑ شيريب، سبيريد وفيتش حكومة العالم الخفية ترجمة: مأمون سعيد، تحرير وتقديم: أحمد راتب عرموش ط٤ (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م)

❑ الصالحي، محمد بن يوسف الشامي (ت ٩٤٢هـ) سبل الهدى في سيرة خير العباد تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ)

❑ الضحاك، أحمد بن عمرو أبو بكر الشيباني(ت ٢٨٧هـ) الآحاد والمثاني تحقيق: د باسم فيصل أحمد الجوابرة ط١ (الرياض: دار الراية، ١٤١١هـ-١٩٩١م)

❑ طبارة، عبد الفتاح اليهود في القرآن ط٧ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)

❑ الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر (ت٣١٠هـ)

أ-جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ)

ب- تاريخ الأمم والملوك ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)

❑ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت ٣٦٠هـ)المعجم الكبير تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفيط٢ (الموصل: مكتبة العلوم

والحكم، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)

❑ الطيالسي، سليمان بن داود أبو داود الفارسي (ت ٢٠٣هـ) مسند الطيالسي، (بيروت: دار المعرفة)

❑ ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو الشيباني أبو بكر (ت ٢٨٧هـ) كتاب الزهد لأبن أبي عاصم تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ط٢(القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ)

❑ ابن عبد البر، أبو يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣ هـ)

أ-التمهيد لأبن عبد البر تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري(المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ)

ب-الدرر في اختصار المغازي والسير تحقيق: شوقي ضيفط١ (القاهرة: دار المعارف، ١٤٠٣هـ)

❑ عبد الرزاق، أبو بكر الصنعاني (ت ٢١١هـ) مصنف عبد الرزاق تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (الناشر: المجلس العلمي)

❑ ابن عساكر، أبو الحسن علي بن حسن(ت ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق تحقيق: علي شيري (بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ)

❑ العظيم آبادي، محمد شمس الحق (ت١٣٢٩هـ) عون المعبود شرح سنن أبي داود ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)

❑ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت١٠٨٩هـ) شذرات الذهب (بيروت: دار الكتب العلمية)

❑ الغزي، محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ) إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن تحقيق: خليل محمد العربي ط١ (القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤١٥هـ)

❑ الفراهيدي أبي عبد الرحمن الخليل أحمد (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين تحقيق: مهدي المخزومي و د إبراهيم السامرائي (دار النشر: دار مكتبة الهلال)

❑ الفيل، محمد رشيد اليهود وعلم الأجناس (بغداد: مطبعة شفيق، ساعدت وزارة المعارف على نشره)

❑ ابن قدامة، عبد الله المقدسي (ت ٦٢٠هـ) المغني تحقيق: جماعة من العلماء (بيروت: دار الكتاب العربي)

❑ ابن قدامة، عبد الرحمن (ت ٦٨٢هـ)الشرح الكبير (المطبعة: بيروت: دار الكتاب العربي، الناشر: بيروت: دار الكتاب العربي)

❑ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن، (المطبعة: إحياء التراث العربي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية ١٣٧٩هـ)

❑ القزويني، عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ) التدوين في أخبار قزوين تحقيق: عزيز الله العطاردي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧هـ)

❑ القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا يحقيق: يوسف علي الطويلط١ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٧م)

❑ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ)

أ-هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى(المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية)

ب- زاد المعاد في هدي خير العباد تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد الله القادر الأرناؤوط ط١٤ (بيروت: مؤسسة الرسالة- المنار الإسلامية، ١٤٠٧هـ)

❑ الكاشاني، أبو بكر بن مسعود (ت ٥٨٧هـ) بدائع الصنائع ط١ (باكستان: المكتبة الحبيبية، ١٤٠٩هـ)

❑ الكتاني، عبد الحي الإدريسي الحسني الفاسي نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية (بيروت: دار الكتاب العربي)

❑ ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء (٧٧٤هـ)

أ-الفصول في اختصار سيرة الرسول تحقيق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن- دار القلم، ١٣٩٩هـ)

ب-البداية والنهاية تحقيق: أحمد أبو ملحم وآخرون ط٣ (بيروت: دار الكتب العلمية)

ج-تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار الفكر، ١٧٠١هـ)

د- قصص الأنبياء ط١ (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٨٣م)

❑ الكلاعي، سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤هـ) الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي ط١ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٧م)

❑ مالك، بن أنس أبو عبد الله الأصبحي (ت ١٧٩هـ) موطأ مالك تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي(مصر: دار إحياء التراث العربي)

❑ ابن ماجة محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت ٢٧٥هـ) سنن ابن ماجة تحقيق: محمد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر)

❑ ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت ٤٧٥هـ) الإكمال لابن ماكولا ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)

❑ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٢٩هـ) أعلام النبوة تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ط١ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧م)

❑ المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا (ت ١٣٥٣هـ) تحفة الأحوذي (بيروت: دار الكتب العلمية)

❑ أبو المحاسن، يوسف بن محمد الحنفي، معتصر المختصر (بيروت - القاهرة: علام الكتب - مكتبة المتنبي)

❑ نعناعة، محمود المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢)

❑ المسعودي، أبي الحسن علي عبد الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) التنبيه والإشراف

❑ مسلم، بن حجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار النفائس، ١٤٠٣هـ)

❑ المقدسي مطهر، بن طاهر (ت ٥٠٧هـ) البدء والتاريخ (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية)

❑ المناوي المناوي، عبد الرؤوف)ت ١٠٣٠هـ) فيض القديرط١ (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ)

❑ ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، لسان العربط١ (بيروت: دار صادر)

❑ ابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ)البحر الرائق شرح كنز الدفائق تحقيق: الشيخ زكريا عميرات ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)

❑ النحاس، أبي جعفر (ت٣٣٨هـ) معاني القرآن تحقيق: محمد علي الصابوني ط١ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ)

❑ أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ) حلية الأولياء ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)

❑ النووي، أبو زكريامحيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن ابن حسين تهذيب الأسماء ط١ (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م)

❑ ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت ٢١٣هـ) السيرة النبوية تحقيق: طه عبد الرؤوف سعدط١(بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ)

❑ الهيثمي، علي بن أبي بكر أبو الحسن (ت ٨٠٧هـ) موارد الظمآن تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة (بيروت: دار الكتب العلمية)

❑ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي(ت ٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي (بيروت: دار صادر)

❑ أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت ٣٠٧هـ) مسند أبي يعلى الموصلي تحقيق: حسين سليم أسد (المطبعة: دار المأمون للتراث، الناشر: دار المأمون للتراث، دار الثقافة العربية)

فهرس المحتويات